كتاب

الفصل في الملل والاهواء والنحل

للامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم

الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦

الفصل بكسر ففتح جمع فصلة بفتح فسكون كقصعة وقصع النخلة المنقولة

من محلها الى محل آخر لتثمر

وبهامشه

الملل والنحل لامام ابي الفتح محمد

بن عبد الكريم الشهرستاني

المتوفي سنة ٥٤٨

الجزء الثالث

(طبع على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد امين الخانجي واخيه)

الطبعة الاولى

طبع بالمطبعة الادبية بسوق الخضار القديم سنة ١٣٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الكلام في الرؤية ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان الى ان الله تعالى لا يرى في الآخرة وقد روينا هذا القول عن مجاهد وعذره في ذلك ان الخبر لم يبلغ اليه ورويناهذا القول ايضاً عن الحسن البصري وعكرمة وقد روى عن عكرمة والحسن ايجاب الرؤية له تعالى وذهبت المجسمة الى ان الله تعالى يرى في الدنيا والآخرة وذهب جمهور اهل السنة والمرجئة وضرار ابن عمرو من المعتزلة الى ان الله تعالى يرى في الاخرة ولا يرى في الدنيا اصلاً وقال الحسن بن محمد النجار هو جائز ولم يقطع به

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وعمدة من انكر ان الرؤية المعهودة عندنا لا تقع الا على الالوان لا على ما عداها البتة وهذا مبعد عن الباري عز وجل وقد احتج من انكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينها وهذا سوء وضع منهم لاننا لم نقل قط بتجويز هذه الرؤية على الباري عز وجل وانما قلنا انه تعالى يرى في الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة في العين الآن لكن بقوة موهوبة من الله تعالى وقد سماها بعض القائلين بهذا القول الحاسة السادسة وبيان ذلك اننا نعلم الله عز وجل بقلوبنا علماً صحيحاً هذا ما لا شك فيه فيضع الله تعالى في الابصار قوة تشاهد بها الله وترى بها كالتي وضع في الدنيا في القلب وكالتي وضعها الله عز وجل في اذن موسى صلى الله عليه وسلم حتى شاهد الله وسمعه مكلماً له واحتجت المعتزلة بقول الله عز وجل *لا تدركه الابصار

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى انما نفى الادراك

عمرو وهو في نفسه واحد وافلاطن يقول ذلك المعنى الذي اثبته في العقل يجب ان يكون له شيء يطابقه في الخارج فينطبق عليه وذلك هو المثال الذي في العقل وهو جوهر لا عرض اذ تصور وجوده لا في موضوع وهو متقدم على الاشخاص الجزوئية تقدم العقل على الحس وهو تقدم ذاتي وشرفي معا وتلك المثل مبادي الموجودات الحسية منها بدأت واليها تعود وتتفرع على ذلك ان النفوس الانسانية هي متصلة بالابدان اتصال تدبير وتصرف وكانت هي موجودة قبل وجود الابدان وكان لها نحو من انحاء الوجود العقلي وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها عن بعض وخالفه في ذلك تلميذه ارسطوطاليس ومن بعده من الحكماء وقالت ان النفوس حدثت مع حدوث الابدان وقد رأيت في كلام ارسطوطاليس كما يأتي حكايته انه ربما يميل الى مذهب افلاطن في كون النفوس موجودة قبل وجود الابدان الا ان نقل المتأخرين ما قدمناذكره وخالفه ايضاً في حدوث العالم فان افلاطن يخيل وجود حوادث لا اول لها لانك اذا قلت حادث فقد اثبت الاولية لكل واحد ومتى ثبت لكل واحد ثبت للكل وقال ان صورها لا بد وان تكون حادثة لكن الكلام في هيولاها وعنصرها فاثبت عنصراً قبل وجودها فظن بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم وهو اذا اثبت واجب الوجود لذاته واطلق لفظ

والادراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية وهو معنى الاحاطة ليس هـذا المعنى في النظر والرؤية فالادراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة برهان ذلك قول الله عز وجل *فلما ترآى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين * ففرق الله عز وجل بين الادراك والرؤية فرقاً جلياً لانه تعالى اثبت الرؤية بقوله فلما ترآى الجمعان واخبر تعالى انه رأى بعضهم بعضاً فصحت منهم الرؤية لبني اسرائيل ونفى الله الادراك بقول موسى عليه السلام لهم كلا ان معي ربي سيهدين فاخبر تعالى انه رأى اصحاب فرعون بني اسرائيل ولم يدركوهم ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى عز وجل فهو غير الذي اثبته فالادراك غير الرؤية والحجة لقولنا هو قول الله تعالى *وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة* واعترض بعض المعتزلة وهو ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي فقال ان الى ها هنا ليست حرف جر لكنها اسم وهي واحدة الآلاء وهي النعم فهي في موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا بعيد لوجهين احدهما ان الله تعالى اخبر ان تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهي النعمة والنعمة نعمة فاذا حصلت لهـا النعمة فبعيد ان ينتظر ما قد حصل لها وانما ينتظر ما لم يقع بعد والثاني تواتر الاخبار عن النبي صلى الله عليـه وسلم ببيان إن المراد بالنظر هو الرؤية لا ما تأوله المتأولون وقال بعضهم ان معناها الى ثواب ربها اي منتظرة ناظرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فاسد جداً لانه لا يقال في اللغة نظرت الى فلان بمعنى انتظرته

﴿ قال ابو محمد ﴾ وحمل الكلام على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرض لا يجوز تعديه الا بنص او اجماع لان من فعل غير ذلك افسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله فان قال قائل ان حمل اللفظ على المعهود اولى من حمله على غير المعهود قيل له الاولى في ذلك حمل الامور على معهودها في اللغة ما لم يمنع من ذلك نصّ او اجماع او ضرورة ولم يأت نصّ ولا

الابداع على العنصر فقد اخرجه عن الازلية بذاته بل يكون وجوده بوجود واجب الوجود كسائر المبادي التي ليست زمانية ولا وجودها ولا حدوثها حدوث زمـاني فالبسائط حدوثها ابداعي غير زماني والمركبات حدوثها بوسائط البسائط حدوث زماني وقال ان العالم لا يفسد فسادا كلياً و يحكى عنه في سؤاله عن طيماوس ما الشيء لا حدوث له وما الشيء الحادث وليس بباق وما الشيء الموجود بالفعل وهو ابداً بحال واحد وانما يعني بالاول وجود الباري و بالثاني وجود الكائنات الفاسدات التي لا تثبت على حالة واحدة و بالثالث وجود المبادي والبسائط التي لا يتغير ومن اسولته ما الشيء الكائن ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له يعنى بالاول الحركة المكانية والزمان لانه لم يؤهله لاسم الوجود و يعنى بالثاني الجواهر العقلية التي هي فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود اذلها السرمد والبقاء والدهر و يحكى عنه انه قال الاستقسات لم تزل تتحرك حركة مشوهة مضطربة غير ذات نظم وان الباري تعالى نظمها ورتبها وكان هذا العالم وربما عبر عن الاستقسات بالاجزاء اللطيفة وقيل انه عنى بها الهيولي الازلية العارية عن الصور حتى اتصلت الصور والاشكال بها وترتبت وانتظمت ورايت في رموز له انه قال ان النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها ومافيه

اجماع ولا ضرورة تمنع ما ذكرنا في معنى النظر وقد وافقتنا المعتزلة على انه لا عالم عندنا الا بضمير وانه لا فعال الا بمعاناة ولا رحيم الا برقة قلب ثم اجمعوا معنا على ان الله تعالى عالم بكل ما يكون بلا ضمير وانه عز وجل فعال بلا معاناة ورحيم بلا رقة فاي فرق بين تجويزهم ما ذكرنا وبين تجويزهم رؤية ونظراً بقوة غير القوة المعهودة لو لا الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ بالله من ذلك وقد قال بعض المعتزلة اخبرونا اذا روي الباري اكله يرى ام بعضه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا سؤال تعلموه من الملحدين اذ سألونا نحن والمعتزلة فقالوا اذا علمتم الباري تعالى اكله تعلمونه ام بعضه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا سؤال فاسد مغالط به لانهم اثبتوا كلاً وبعضاً حيث لا كل ولا بعض والكل والبعض لا يقعان الا في ذي نهاية والباري تعالى خالق النهاية والمتناهي فهو عز وجل لا متناه ولا نهاية فلا كل له ولا بعض

﴿ قال ابو محمد ﴾ والآية المذكورة والاحاديث الصحاح المأثورة في رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة القبول لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا حرمنا الله ذلك بفضله ومحال ان تكون هذه الرؤية رؤية القلب لان جميع العارفين به تعالى يرونه في الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار في الاخرة بلا شك فان قال قائل انما اخبر تعالى بالرؤية عن الوجه قيل وبالله تعالى التوفيق معروف في اللغة التي بها خوطبنا ان تنسب الرؤية الى الوجه والمراد بها العين قال بعض الاعراب

انافس من ناجاك مقدار لفظة ... وتعتاد نفسي ان نأت عنك معينها

وان وجوهاً يصطبحن بنظرة ... اليك لمحسود عليك عيونها

﴿ الكلام في القران وهو القول في كلام الله تعالى ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ واختلفوا في كلام الله عز وجل بعد ان اجمع اهل الاسلام

كلهم

من الروح والبهجة والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية فسقطت رياستها قبل الهبوط واهبطت حتى يستوي ريشها وتطير الى عالمها باجنحة مستفادة من هذا العالم وحكي (ارسطوطاليس) عنه انه اثبت المبادي خمسة اجناس الجوهر والاتفاق والاختلاف والحركة والسكون ثم فسر كلامه فقال اما الجوهر فيعني به الوجود واما الاتفاق فلان الاشياء متفقة بانها من الله تعالى واما الاختلاف فلانها مختلفة في صورها واما الحركة فان لكل شيء من الاشياء فعلاً خاصاً وذلك نوع من الحركة لا حركة النقلة واذا تحركت نحو الفعل وفعل فله سكون بعد ذلك لا محالة قال واثبت البخت ايضاً سادساً وهو نطق عقلي وناموس لطبيعة الكل وقال جرجيس انه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جداً وزعم الرواقيون انه نظام لعلل الاشياء وللاشياء المعلولة وزعم بعضهم ان علل الاشياء ثلاثة المشتري والطبيعة والبخت وقال افلاطن ان في العالم طبيعة عامة تجمع الكل وفي كل واحد من المركبات طبيعة خاصة وحد الطبيعة بانها مبدأ الحركة والسكون في الاشياء اي مبدأ التغير وهو قوة سارية في الموجودات كلها تكون السكنات والحركات بها فطبيعة الكل محركة الكل والمحرك الاول يجب ان يكون ساكناً والا تسلسل القول فيه

كلهم ان لله تعالى كلاماً وعلى ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتورات والانجيل والزبور والصحف فكل هذا لا اختلاف فيه بين احد من اهل الاسلام ثم قالت المعتزلة ان كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق وقالوا ان الله عز وجل كلم موسى بكلام احدثه في الشجرة وقال اهل السنة ان كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل وانه غير مخلوق وهو قول الامام احمد بن حنبل وغيره رحمهم الله وقالت الاشعرية كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى وانه ليس لله تعالى الا كلام واحد .

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج اهل السنة بحجج منها ان قالوا ان كلام الله تعالى لو كان غير الله لكان لا يخلو من ان يكون جسماً او عرضاً فلو كان جسماً لكان في مكان واحد ولو كان ذلك لكنا لم يبلغ الينا كلام الله عز وجل ولا كان يكون مجموعاً عندنا في كل بلد كذلك وهذا كفر ولو كان عرضاً لاقتضى حاملاً ولكان كلام الله تعالى الذي هو عندنا هو غير كلامه الذي عند غيرنا وهذا محال ولكان ايضاً يفنى بفناء حامله وهذا لا يقولونه وبالله تعالى التوفيق قالوا ولو سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى من غير الله تعالى لما كان له عليه السلام في ذلك فضل علينا لاننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره فصح ان لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو انه عليه السلام سمع كلام الله بخلاف من سواه وايضاً فقد قامت الدلائل على ان الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعاني فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقاً وجب ضرورة ان يكون كلام الله تعالى ليس مخلوقاً وليس غير الله تعالى كما قلنا في العلم سواء بسواء

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الاشعرية فيلزمهم في قولهم ان كلام الله غير الله ما الزمناهم في العلم وفي القدرة سواء سواء مما قد تقصيناه قبل هذا والحمد لله رب العالمين واما قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد فخلاف مجرد لله تعالى ولجميع اهل الاسلام لان الله عز وجل يقول * قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد

الى ما لا نهاية له وحكى ارسطوطاليس في مقالة الالف الكبرى من كتاب ما بعد الطبيعة ان افلاطن كان يختلف في حداثته الى اقراطولس فكتب عنه ما روى عن ارقطس ان جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لا يحيط بها ثم اختلف بعده الى سقراط وكان من مذهبه طلب الحدود دون النظر في طبائع المحسوسات وغيرها فظن افلاطن ان نظر سقراط في غير الاشياء المحسوسة لان الحدود ليست للمحسوسات لانها انما تقع على اشياء دائمة كلية اعني الاجناس والانواع فعند ذلك ما سمي افلاطن الاشياء الكلية صوراً لانها واحدة ورأى ان المحسوسات لا تكون الا بمشاركة الصور اذ كانت الصور رسوماً ومثالات لها متقدمة عليها وانما وضع سقراط الحدود مطلقاً لا باعتبار المحسوس وغير المحسوس وافلاطن ظن انه وضعها لغير المحسوسات فاثبتها مثلاً عامة وقال افلاطن في كتاب النواميس ان اشياء لا ينبغي للانسان ان يجهلها منها ان له صانعاً وان صانعه يعلم افعاله وذكر ان الله تعالى انما يعرف بالسلب اي لا شبيه له ولا مثال وانه ابدع العالم من لا نظام الى نظام وان كل مركب فهو للانحلال وانه لم يسبق العالم زمان ولم يبدع عن شيء ثم ان الاوائل اختلفوا في الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد ام الابداع نسبة الى المبدع ونسبة الى المبدع وكذلك

البحر قبل ان تنفد كلمات ربي* ويقول تعالى* ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله*

قال ابو محمد ولا ضلال اضل ولا حياء اعدم ولا مجاهرة اطم ولا تكذيب لله اعظم ممن سمع هذا الكلام الذي لا يشك مسلم انه خبر الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بان لله كلمات لا تنفد ثم يقول هو من رأيه الخسيس انه ليس لله تعالى الا كلام واحد (١) فان ادعوا انهم فروا من ان يكثروا مع الله اكذبهم قولهم ان ها هنا خمسة عشر شيئاً كلها متغايرة وكلها غير الله وخلاف الله وكلها لم تزل مع الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

قال ابو محمد وقالت ايضاً هذه الطائفة المنتمية الى الاشعرية ان كلام الله تعالى عزّ وجل لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وانما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى وان الذي نقرأ في المصاحف ويكتب فيها ليس شيء منها كلام الله وان كلام الله تعالى الذي لم يكن ثم كان ولا يحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى لا يزايل الباري ولا يقوم بغيره ولا يحل في الاماكن ولا ينتقل ولا هو حروف موصلة ولا بعضه خير من بعض ولا افضل ولا اعظم من بعض وقالوا لم يزل الله تعالى قائلاً لجهنم هل امتلأت وقائلاً للكفار اخسؤا فيها ولا تكلمون ولم يزل تعالى قائلاً لكل ما اراد تكوينه كن

قال ابو محمد وهذا كفر مجرد بلا تأويل وذلك اننا نسألهم عن القرآن اهو كلام الله ام لا فان قالوا ليس هو كلام الله كفروا باجماع الامة وان قالوا بل هو كلام الله سألناهم عن القرآن اهو الذي يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويحفظ في الصدور ام لا فان قالوا لا كفروا باجماع الامة وان

(١) قوله الا كلام واحد الخ هذا الرجل ان ذهب الى ان الكلام هو العلم كيف يجعله متكثراً وهو يقول علم الله ليس غيره وان ذهب الى ان كلام الله غير العلم فكيف ينكر على من يطلقه على صفة تكون امرا ونهيا وغير ذلك من سائر معاني الكلام هذا مما لا يظهر له معنى

في الارادة انها المراد والمريد على حسب اختلاف متكلمي الاسلام في الخالق والمخلوق والارادة انها خلق ام مخلوقة ام صفة في الخالق قال انكساغورس بمذهب فلوطرخيس ان الارادة ليست هي غير المراد ولا غير المريد وكذلك الفعل لانهما لا صورة لهما ذاتية وانما يقومان بغيرهما فالارادة مرة مستبطنة في المريد ومرة ظاهرة في المراد وكذلك الفعل واما افلاطن وارسطوطاليس فلا يقبلون هذا القول وقالا ان صورة الارادة وصورة الفعل قائمتان وهما ابسط من صورة المراد كالقاطع للشيء هو المؤثر واثره في الشيء والمقطوع هو المؤثر فيه القابل للاثر ليس هو المؤثر ولا المؤثر فيه والا انعكس حتى يكون المؤثر هو الاثر والمؤثر فيه هو الاثر وهو محال فصورة المبدع فاعلة وصورة المبدَع مفعولة وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول فالفعل صورة واثر فصورته من جهة المبدع واثره من جهة المبدع والصورة من جهة المبدع في حق الباري تعالى ليست زائدة على ذاته حتى يقال صورة ارادة وصورة تأثير مفترقان بل هما حقيقة واحدة واما برميندس الاصغر فقد اجاز قولهم في الارادة ولم يجز في الفعل وقال ان الارادة يكون بلا توسط من الباري تعالى فجايز ما وضعه الله واما الفعل فيكون بتوسط منه وليس ما هو بلا توسط كالذي يكون بتوسط بل الفعل قط لن يتحقق الا بتوسط

قالوا نعم تركوا قولهم الفاسد واقروا ان كلام الله تعالى في المصاحف ومسموع من القراء ومحفوظ في الصدور كما يقول جميع اهل الاسلام

* قال ابو محمد * وقال قوم في اللفظ بالقرآن ونسبوا الى اهل السنة انهم يقولون ان الصوت غير مخلوق والخط غير مخلوق

* قال ابو محمد * وهذا باطل وما قال قط مسلم ان الصوت الذي هو الهواء غير مخلوق وان الخط غير مخلوق

* قال ابو محمد * والذي نقول به وبالله تعالى التوفيق هو ما قاله الله عز وجل ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا نزيد على ذلك شيئاً وهو ان قول القائل القرآن وقوله كلام الله كلاهما معنى واحد واللفظان مختلفان والقرآن هو كلام الله عز وجل على الحقيقة بلا مجاز ونكفر من لم يقل ذلك ونقول ان جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى على الحقيقة على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى * نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين * ثم نقول ان قولنا القرآن وقولنا كلام الله لفظ مشترك يعبر به عن خمسة اشياء فنسمي الصوت المسموع الملفوظ به قرآناً ونقول انه كلام الله تعالى على الحقيقة و برهان ذلك هو قول الله عز وجل * وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله * وقوله تعالى * وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه * وقوله تعالى * فاقرؤا ما تيسر من القرآن * وانكر على الكفار وصدق مؤمني الجن في قولهم * انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد * فصح ان المسموع وهو الصوت الملفوظ به هو القرآن حقيقة وهو كلام الله تعالى حقيقة من خالف هذا فقد عاند القرآن ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآناً وكلام الله على الحقيقة فاذا فسرنا الزكاة المذكورة في القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا في كل هذا كلام الله وهو القرآن ونسمي المصحف كله قرآناً وكلام الله و برهاننا على ذلك قول الله عز وجل * انه لقرآن كريم في كتاب مكنون * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض الحرب لئلا يناله

الارادة ولا ينعكس فاما الاولون مثل ثاليس وانبدقلس قالوا الارادة من جهة المبدع هي المبدع ومن جهة المبدع هي المبدع وفسروا هذا بان الارادة من جهة الصورة هي المبدع ومن جهة الاثر هي المبدع ولا يجوز ان يقال انها من جهة الصورة هي المبدع لان صورة الارادة عند المبدع قبل ان يبدع فغير جايز ان يكون ذات صورة الشيء الفاعل هي المفعول بل من جهة اثر ذات الصورة هي المفعول ومذهب افلاطن وارسطوطاليس هذا بعينه وفي الفصل انغلاق الحكماء الاصول الذين هم من القدماء الا انا ربما لم نجد لهم رأياً في المسائل المذكورة غير حكم مرسلة عملية اوردناها لئلا تشذ مذاهبهم عن القسمة ولا يخلو الكتاب عن تلك الفوائد فمنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن في الشعر عندهم بل الركن في الشعر ايراد المقدمات المخيلة فحسب ثم يكون الوزن والقافية معينين في التخييل فان كانت المقدمة التي يوردها في القياس الشعري مخيلة فقط تمحض القياس شعرياً وان انضم اليها قول اقناعي تركبت المقدمة من معينين شعري واقناعي وان كان الضميم اليه قولاً يقينياً تركبت المقدمة من شعري و برهاني ومنهم النساك ونسكهم وعبادتهم عقلية لا شرعية و يقتصر ذلك على تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وسياسة المدينة الفاضلة التي

العدو وقوله تعالى *لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة* وكتاب الله تعالى هو القران باجماع الامة فقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المصحف قراناً والقرآن كلام الله تعالى باجماع الامة فالمصحف كلام الله تعالى حقيقة لا مجازاً وسمي المستقر في الصدور قراناً ونقول انه كلام الله تعالى برهاننا على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ امر بتعاهد القران وقال عليه السلام انه اشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال الله تعالى *بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم* فالذي في الصدور هو القران وهو كلام الله على الحقيقة لا مجازاً ونقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اية الكرسي اعظم اية في القران وان ام القرآن فاتحة الكتاب لم ينزل في القران ولا في التوراة ولا في الانجيل مثلها وان قل هو الله احد تعدل ثلث القران وقال الله عز وجل *ماننسخ من اية او ننسها نأت بخير منها اومثلها* فان قالوا انما يتفاضل الاجر على قراءة ذلك قلنا لهم نعم ولا شك في ذلك ولا يكون التفاضل في شيء مما يكون فيه التفاضل الا في الصفات التي هي اعراض في الموصوف بها واما في الذوات فلا ونقول ايضاً ان القران هو كلام الله تعالى وهو علمه وليس شيئاً غير الباري تعالى برهان ذلك قول الله عز وجل *ولو كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم* وقال تعالى *وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته* وباليقين يدري كل ذي فهم انه تعالى انما عني سابق علمه الذي سلف بما ينفذه ويقضيه

* قال ابو محمد * فهذه خمسة معان يعبر عن كل معنى منها بانه قران وانه كلام الله ويخبر عن كل واحد منها اخباراً صحيحاً بانه القرآن وانه كلام الله تعالى بنص القران والسنة للذين اجمع عليهما جميع الامة واما الصوت فهو هواء مندفع من الحلق والصدر والحنك واللسان والاسنان والشفتين الى اذان السامعين وهو حروف الهجاء والهواء وحروف الهجاء والهواء كل

هي الجثة الانسانية وربما وجدنا لبعضهم رأياً في بعض المسائل المذكورة عن المبدع والابداع وانه عالم وان اول ما ابدعه ماذا وان المبادي كم هي وان المعاد كيف يكون وصاحب الرأي موافق للاوائل المذكورين اوردنا اسمه وذكرنا مقالته وان كانت كالمكررة ونبتدي بهم ونجعل فلوطرخيس مبدأ آخر رأي

(فلوطرخيس) قيل انه اول من شهر بالفلسفة ونسبت اليه الحكمة تفلسف بمصر ثم سار الى ملطية واقام بها وقد يعد من الاساطين قال ان الباري تعالى لم يزل بالازلية التي هي ازلية الازليات وهو مبدع فقط وكل مبدع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته عنده اي كانت معلومة له والصور عنده بلا نهاية اي المعلومات بلا نهاية قال ولو لم تكن الصور عنده ومعه لما كان ابداع ولا بقاء للمبدع ولو لم تكن باقية قائمة لكانت تدثر بدثور الهيولي ولو كان كذلك لارتفع الرجاء والخوف ولكن لما كانت الصور باقية دائمة ولها الرجاء والخوف كان دليلاً على انها لاتدثر ولما عدل عنها الدثور ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلاً على ان الصور ازلية في علمه تعالى قال ولا وجه الا القول باحد الاقوال اما ان يقال الباري تعالى لا يعلم شيئاً البتة وهذا من المحال الشنيع واما ان يقال يعلم بعض الصور دون بعض وهذا من النقص الذي لا يليق بكمال الجلال واما ان يقال بعلم جميع

ذلك مخلوق بلا خلاف قال الله عز وجل *وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم* وقال تعالى *بلسان عربي مبين* واللسان العربي ولسان كل قوم هي لغتهم واللسان واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك والمعاني المعبر عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة انما هي الله تعالى والملائكة والنبيون وسموات وارضون وما فيهما من الاشياء وصلاة وزكاة وذكر امم خالية والجنة والنار وسائر الطاعات وسائر اعمال الدين وكل ذلك مخلوق حاشا الله وحده لا شريك له خالق كل ما دونه واما المصحف فانما هو ورق من جلود الحيوان ومركب منها ومن مداد مؤلف من صمغ وزاج وعفص وماء وكل ذلك مخلوق وكذلك حركة اليد في خطه وحركة اللسان في قراءته واستقرار كل ذلك في النفوس هذه كلها اعراض مخلوقة وكذلك عيسى عليه السلام هو كلمة الله وهو مخلوق بلا شك قال الله تعالى *بكلمة منه اسمه المسيح* واما علم الله تعالى فلم يزل وهو كلام الله تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى اصلاً ومن قال ان شيئاً غير الله تعالى لم يزل مع الله عز وجل فقد جعل لله عز وجل شريكاً ونقول ان لله عز وجل كلاماً حقيقة وانه تعالى كلم موسى ومن كلم من الانبياء والملائكة عليهم السلام تكليماً حقيقة لا مجازاً ولا يجوز ان يقال البتة أن الله تعالى متكلم لانه لم يسم بذلك نفسه ومن قال أن الله تعالى مكلم موسى لم ننكره لانه يخبر عن فعله تعالى الذي لم يكن ثم كان ولا يحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى كلاماً لنفي الخرس عنه لما ذكرنا قبل من أنه ان كان يعني الخرس المعهود فانه لا ينتفي الا بالكلام المعهود الذي هو حركة اللسان والشفتين وان كان انما ينفي خرساً غير معهود فهذا لا يعقل اصلاً ولا يفهم وايضاً فيلزمه ان يسميه تعالى شماماً لنفي الخشم عنه ومتحركاً لنفي الخدر وهذا كله الحاد في اسمائه عز وجل لكن لما قال الله تعالى ان له كلاماً قلناه واقررنا به ولو لم يقله عز وجل لم يحل لاحد ان يقوله و بالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة اشياء وقوعاً مستويا صحيحاً

الصور والمعلومات وهذا هو الرأي الصحيح ثم قال ان اصل المركبات هو الماء فاذا تخلخل صافياً وجد النار واذا تخلخل وفيه بعض الثقل صار هواء واذا تكاثف تكاثفا مبسوطاً صار ارضاً وحكي فلوطرخيس ان ابرقليطس زعم ان الاشياء انما انتظمت بالبخت وجوهر البخت هو نطق عقلي ينفذ في الجوهر الكلي (رأي اكسنوفانس) كان يقول ان المبدع الاول هو آنية ازلية دائمة ديمومية القدم لا تدرك بنوع صفة منطقية ولا عقلية مبدع كل صفة وكل نعت نطقي وعقلي فاذا كان هذا هكذا فقولنا ان صورنا في هذا العالم المبدعة لم تكن عنده او كانت او كيف ابدع محال فان العقل مبدع والمبدع مسبوق بالمبدع والمسبوق لا يدرك السابق ابداً فلا يجوز ان يصف المسبوق السابق بل يقول ان المبدع ابدع كيف ما احب وكيف ما شاء فهو هو ولا شيء معه وهذه الكلمة اعني هو ولا شيء بسيط لا مركب معه وهو يجمع كل ما يطلبه من العلم لانك اذا قلت ولا شيء معه فقد نفيت عنه ازلية الصورة والهيولى وكل مبدع من صورة وهيولى وكل مبدع من صورة فقط ومن قال ان الصور ازلية مع انيته فليس هو فقط بل هو واشياء كثيرة فليس هو مبدع للصور بل كل صورة انما ظهرت ذاتها فعند اظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم وهذا اشنع ما يكون من القول وكان

منها اربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق لم يجز البتة لاحد ان يقول ان القرآن مخلوق ولا ان يقال ان كلام الله مخلوق لان قائل هذا كاذب اذ أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام الله عز وجل ووجب ضرورة ان يقال أن القرآن لا خالق له ولا مخلوق وان كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق لان الاربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز ان تطلق على القرآن ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ولان المعنى الخامس غير مخلوق ولا يجوز ان توضع صفة البعض على الكل الذي لا تعمه تلك الصفة بل واجب ان يطلق نفي تلك الصفة التي للبعض على الكل وكذلك لو قال قائل ان الاشياء كلها مخلوقة او قال للحق مخلوق او قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لان الله تعالى شيء موجود حق ليس مخلوقاً لكن اذا قال الله تعالى خالق كل شيء جاز ذلك لانه قد اخرج بذكر الله تعالى ان المخلوق في كلامه الاشكال ومثال ذلك فيما بيننا ان ثيابا خمسة الاربعة منها حمر والخامس غير احمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذباً ولكان من قال هذه الثياب ليست حمراً صادقاً وكذلك من قال الانسان طبيب يعني كل انسان لكان كاذباً ولو قال ليس الانسان طبيباً يعني كل انسان لكان صادقاً وكذلك لا يجوز ان يطلق ان الحق مخلوق ولا ان العلم مخلوق لان اسم الحق يقع على الله تعالى وعلى كل موجود واسم العلم يقع على كل علم وعلى علم الله عز وجل وهو غير مخلوق لكن يقال الحق غير مخلوق والعلم غير مخلوق هكذا جملة فاذا بين فقيل كل حق دون الله تعالى فهو مخلوق وكل علم دون الله تعالى فهو مخلوق فهو كلام صحيح وهكذا لا يجوز ان يقال ان كلام الله مخلوق ولا أن القرآن مخلوق ولكن يقال علم الله غير مخلوق وكلام الله غير مخلوق والقران غير مخلوق ولو أن قائلاً قال أن الله مخلوق وهو يعني صوته المسموع او الالف واللام والهاء او الحبر التي كتبت هذه الكلمة به لكان في ظاهر قوله عند جميع الامة كافراً ما لم يبين فيقول صوتي او هذا الخط مخلوق

هرمس وعاذيمون يقول ليست اوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس بحال بل مثل بدعة الاشياء مثل الذي يخرج من ذاته بلا حدث ولا فعل ظهر فلا يزال يخرجه من القوة الى الفعل حتى يوجد فيكمل فيحسه و يدركه وليس شيء معقول البتة والعالم دائم لا يزول ولا يفنى فان المبدع لا يجوز ان يفعل فعلاً يدثر الا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال (راى زينون الاكبر) كان يقول ان المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الابداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فالعوالم في كل حين ودهر فما كان منها مشاكلاً لنا ادركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه الا انه ذكر وجه التجدد فقال ان الموجودات باقية داثرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها واما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى وذكر ان الدثور قد يلزم الصور والهيولى وقال ايضاً ان الشمس والقمر والكواكب يستمد القوة من جوهر السماء فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضاً ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها في علم الباري تعالى والعلم يقتضي بقاؤها دائماً وكذلك الحكمة تقتضي ذلك لان بقاؤها على هذا الحال افضل والباري تعالى قادر على ان يفني العوالم يوما ما ان اراد وهذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذه حقيقة البيان في هذه المسألة الذي لم نتعدّ فيه ما قاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم واجمعت الامة كلها على جملته واوجبته الضرورة والحمد لله رب العالمين فان سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضي ان اللفظ المسموع هو غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه وهو كلام الله عز وجل نفسه كما قال تعالى *حتى يسمع كلام الله* وكلام الله تعالى غير مخلوق لما ذكرنا واما من افرد السؤال عن الصوت وحروف الهجا والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونقول ان الله تعالى قد قال ما اخبرنا انه قاله وانه تعالى لم يقل بعدما اخبرنا انه سيقول في المستأنف ولكن سيقوله ومن تعدى هذا فقد كذّب الله جهلاً واما من قال ان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكل ما كونه او يريد تكوينه فان هذا قول فاحش موجب ان العالم لم يزل لان الله تعالى اخبرنا انه تعالى *اذا اراد شيئاً فانما امره ان يقول له كن فيكون* فصح ان كل مكوّن فهو كائن اثر قول الله تعالى له كن بلا مهلة فلو كان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكان كل مكوّن لم يزل وهذا قول من قال ان العالم لم يزل وله مدبر خالق لم يزل وهكذا كفر مجرد نعوذ بالله منه وقول الله تعالى هو غير تكليمه لان تكليم الله تعالى من كلم فضيلة عظيمة

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال الله تعالى *منهم من كلم الله* واما قوله فقد يكون سخطاً قال تعالى انه قال لاهل النار *اخسئوا فيها ولا تكلمون* وقال لابليس *ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي* قال اخرج منها ولا يجوز ان يقال ابليس كليم الله ولا ان اهل النار كلماء الله فقول الله عز وجل محدث بالنص وبرهان ذلك ايضاً قول الله تعالى *ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً اولئك لا خلاق لهم في الآخرة. ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم* ثم قال تعالى انه قال لهم *اخسئوا فيها ولا تكلمون* وقال تعالى انهم قالو *ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون* فنص تعالى على انه لا يكلمهم وانه يقول لهم

الراي قد مال اليه الحكماء المنطقيون والجدليون ذو الالهيين وحكي فلوطرخيس ان زينون كان يزعم ان الاصول هو الله تعالى والعنصر فقط فالله تعالى هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل حكمه قال اكثروا من الاخوان فان بقاء النفوس ببقاء الاخوان كما ان شفاء الابدان بالادوية وقيل رأي ذيبنون فتى على شاطئ البحر محزوناً يتلهف على الدنيا فقال له يا فتى ما يلهفك على الدنيا لو كنت في غاية الغنى وانت راكب في لجة البحر قد انكسرت السفينة واشرفت على الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما في يدك قال نعم قال لو كنت ملكاً على الدنيا واحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغني وانت الملك الان فتسلي الفتى وقال لتلميذه كن بما ياتى من الخير مسروراً وبما يجتنب من الشر محبوراً وقيل له اي الملوك افضل ملك اليونانيين ام ملك الفرس قال من ملك شهوته وغضبه وسئل بعد ان هرم ما حالك قال اميز الصوت قليلاً قليلاً على مهل وقيل له اذا مت من يدفنك قال من يؤذيه نتن جيفتي وسئل ما الذى يهرم قال الغضب والحسد وابلغ منها الغم وقال الفلك تحت تدبيرى ونعى اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك على انما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت وقال لا تخف موت البدن وقال ولكن يجب عليك ان تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف موت النفس

فثبت يقيناً ان قول الله تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه لكن يقول كل كلام وتكليم فهما قول وليس كل قول منه تعالى كلاماً ولا تكليماً بنص القرآن ثم نقول و بالله تعالى التوفيق ان الله تعالى اخبرنا انه كلم موسى وكلم الملائكة عليهم السلام وثبت يقيناً انه كلم محمداً صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * فخص تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى وقال تعالى * وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء * ففي هذه الايات والحمد لله اكبر نص على تصحيح كل ما قلناه في هذه المسئلة وما توفيقنا الا بالله واخبرنا تعالى في هذه الاية انه لا يكلم بشراً الا باحد هذه الوجوه الثلاثة فقط فنظرنا فيها فوجدناه تعالى قد سمى ما تأتينا به الرسل عليهم السلام تكليماً انتقل منه للبشر فصح بذلك ان الذي اتتنا به رسله عليهم السلام هو كلام الله وانه تعالى قد كلمنا بوحيه الذي اتتنا به رسله عليهم السلام واننا قد سمعنا كلام الله عز وجل الذي هو القرآن الموحى الى النبي بلا شك والحمد لله رب العالمين ووجدناه تعالى قد سمى وحيه الى انبيائه عليهم السلام تكليماً لهم ووجدناه عز وجل قد ذكر وجهاً ثالثاً وهو التكليم الذي يكون من وراء حجاب وهو الذي فضل به بعض النبيين على بعض وهو الذي يطلق عليه تكليم الله عز وجل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام * من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة * واما القسمان الاولان فانما يطلق عليهما تكليم الله عز وجل بصلة لا مجرداً فنقول كلم الله جميع الانبياء بالوحي اليهم ونقول في القسم الثاني كلمنا الله تعالى في القران على لسان نبيه عليه السلام بوحيه اليه ونقول قال لنا الله عز وجل * اقيموا الصلاة واتو الزكاة * ونقول اخبرنا الله تعالى عن موسى وعيسى وعن الجنة والنار في القران وفيما اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ولو قال قائل حدثنا الله تعالى عن الامم السالفة وعن الجنة والنار في القران على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

والنفس الناطقة عندك لا تموت فقال اذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق الى حد البهيمية وان كان جوهرها لا يبطل فقد ماتت من العيش العقلي وقال اعط الحق من نفسك فان الحق يخصمك ان لم تعطه حقه وقال شحة المال وتد الشر لان سائر الافات يتعلق بها ومحبة الشرف وتد العيوب لان سائر العيوب متعلقة بها وقال احسن مجاورة النعم فتنعم ولا تسيء بها فتسيء بك وقال اذا ادركت الدنيا الهارب منها جرحته واذا ادركها الطالب لها قتلته وقيل له وكان لا يقتني الا قوت يومه ان الملك يبغضك فقال وكيف يحب الملك من هو اغنى منه وسئل باى شئ تخالف الناس في هذا الزمان البهائم قال بالشرارة قال وما راينا العقل قط الا خادماً للجهل وفي رواية للسجزي الا خادماً للجد والفرق بينهما ظاهر فان الطبيعة ولوازمها اذا كانت مستولية على العقل استخدمه الجهل واذا كان ما قسم للانسان من الخير والشر فوق تدبيره العقلي كان الجد مستخدماً للعقل و يعظم جد الانسان بالعقل وليس يعظم العقل بالجد ولهذا خيف على صاحب الجد ما لم يخف على صاحب العقل والجد اصم اخرس لا يفقه ولا ينفقه وانما هو ريح تهب و برق يلمع ونار تلوح وصحو يعرض وحلم يمنع وهذا اللفظ اولى فانه عميم الحكم فقال ما رأينا العقل قط وقد يعرض العقل ان يرى ولا يستخدمه الجهل وذلك هو الاكثر

لكان قولاً صحيحاً لا مدفع له لان الله تعالى يقول * ومن اصدق من الله حديثاً * وكذلك يقول قص الله علينا اخبار الامم في القرآن قال تعالى * نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن * ونقول سمعنا كلام الله تعالى في القرآن على التحقيق لا مجازاً وفضل علينا الملائكة والانبياء عليهم السلام في هذا بالوجه الثاني الذي هو تكليمهم بالوحي اليهم في النوم واليقظة دون وسيطة و بتوسط الملك ايضاً وفضل جميع الملائكة و بعض الرسل على جميعهم عليهم السلام بالوجه الثالث الذي هو تكليم في اليقظة من وراء حجاب دون وسيطة ملك لكن بكلام مسموع بالاذان معلوم بالقلب زائد على الوحي الذي هو معلوم بالقلب فقط او مسموع من الملك عن الله تعالى وهذا هو الوجه الذي خص به موسى عليه السلام من الشجرة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المستوا الذي سمع فيه صريف الاقلام وسائر من كلم الله تعالى كذلك من النبيين والملائكة عليهم السلام قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * وقال تعالى * واذ قال ربك للملائكة اني جاعل * ولا يجوز ان يكون شيء من هذا بصوت اصلاً لانه كان يكون حينئذٍ يفيد بوسيطة مكلم غير الله تعالى وكان ذلك الصوت بمنزلة الرعد الحادث في الجو والقرع الحادث في الاجسام والوحي اعلى من هذه منزلة والتكليم من وراء حجاب اعلى من سائر الوحي بنص القرآن لان الله تعالى سمى ذلك تفضيلاً كما تلونا وكل ما ذكرنا وان كان يسمى تكليماً فالتكليم المطلق اعلى في الفضيلة من التكليم الموصول كما ان كل روح فهو روح الله تعالى على الملك لكن اذا قلنا روح الله على الاطلاق يعني بذلك جبريل او عيسى عليهم السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما

﴿ قال ابو محمد ﴾ واذا قرأنا القرآن قلنا كلامنا هذا هو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازاً ولا يحل حينئذ لاحد أن يقول ليس كلامي هذا كلام الله تعالى وقد انكر الله عز وجل هذا على من قاله اذ يقول تعالى * سارهقه

وقال زينون في الجرادة خلقة سبعة جبابرة رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر اسد وجناحاها جناحا نسر ورجلاها رجل جمل وذنبها ذنب حية (رأى ذيمقراطيس وشيعته) فانه كان يقول في المبدع الاول انه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط الاربعة وهي الاستقسات اوائل الموجودات كلها دفعة واحدة واما المركبة فانها كانت دائمة داثرة الا ان ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ثم ان العالم بجملته باق غير داثر لانه ذكر ان هذا العالم متصل بذلك العالم الاعلى كما ان عناصر هذه الاشياء متصلة بلطيف ارواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر في الظاهر فان صفوفها من الروح البسيط الذي فيها فاذا كان كذلك فليس يدثر الا من جهة الحواس فاما من نحو العقل فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم اذا كان صفوها فيه وصفوه متصل بالعوالم البسيطة وانما شنع عليه الحكماء من جهة قوله ان اول مبدع هو العناصر و بعدها ابدعت البسائط الروحانية فهو يرتقي من الاسفل الى الاعلى ومن الاكدر الى الاصفى ومن شيعته (قلوخوس) الا انه خالفه في المبدع الاول وقال بقول سائر الحكما غير انه قال ان المبدع الاول هو مبدع الصور فقط دون الهيولى فانها لم تزل مع المبدع فانكروا عليه وقالوا ان الهيولى لو كانت ازلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيرت من حال الى حال ولما قبلت فعل غيرها اذ الازلي

صعوداً انه فكر وقدر فقتل كيف قدر* الى قوله تعالى فقال* ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر*

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك يقول احدنا ديني دين محمد صلى الله عليه وسلم واذا عمل عملاً اوجبته سنة قال عملي هذا عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحل لاحد من المسلمين ان يقول ديني غير دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة وكذلك ليس له ان يقول اذا عمل عملاً جاءت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غير عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قاله لادب ولكان كاذباً وكذلك يقول احدنا ديني هو دين الله عز وجل يريد الذي امر به عز وجل ولو قال ديني غير دين الله عز وجل لوجب قتله بالردة وكذلك يقول اذا حدث احدنا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً كلامي هذا هو نفس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ان كلامي هذا هو غير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان كاذباً وهذه اسماء اوجبتها ملة الله عز وجل واجمع عليها اهل الاسلام ولم يخف علينا ولا على من سلف من المسلمين ان حركة لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير حركة السنتنا وكذلك حركة اجسامنا في العمل وكذلك ما توصف به النفوس من العلم ولكن التسمية في الشريعة ليست الينا انما هي لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن خالف هذا كان كمن قال فرعون وابو جهل مؤمنان وموسى ومحمد كافران فاذا قيل له في ذلك قال او ليس ابو جهل وفرعون مؤمنين بالكفر ومحمد وموسى كافران بالطاغوت فهذا وان كان لكلامه مخرج فهو عند اهل الاسلام كافر لتعديه ما اوجبته الشريعة من التسمية وقد شهدت العقول بوجوب الوقوف عند ما اوجبه الله تعالى في دينه فمن عد عن ذلك وزعم انه اتبع دليل عقله في خلاف ذلك فليعلم انه فارق قضية العقل الصادقة الموجبة للوقوف عند حكم الشريعة وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال تعالى* ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير

لا يتغير وهذا الرأي مما كان يعزى الى افلاطون الالهي والراي في نفسه مزيف والعزوة اليه غير صحيحة ومما نقل عن (ذيمقراطيس وزينون الاكبر وفيثاغورس) انهم كانوا يقولون ان الباري تعالى متحرك بحركة فوق هذه الحركة الزمانية وقد اشرنا الى المذهبين وبينا ان المراد باضافة الحركة والسكون اليه تعالى ونزيده شرحاً من احتجاج كل فريق على صاحبه قال اصحاب السكون ان الحركة ابداً لا تكون الا ضد السكون والحركة لا تكون الا بنوع زمان اما ماض واما مستقبل والحركة لا تكون الا مكانية منتقلة واما مستوية ومن المستوية يكون الحركة المستقيمة والمنفرجة والمكانية تكون مع الزمان فلو كان الباري تعالى متحركاً لكان داخلاً في الدهر والزمان قال اصحاب الحركة ان حركته اعلى من جميع ما ذكرتموه وهو مبدع الدهر والمكان وابداعه ذلك هو الذي يعني بالحركة والله اعلم (راى فلاسفة اقاذاميا) فانهم كانوا يقولون ان كل مركب ينحل ولا يجوز ان يكون مركباً من جوهرين متفقين في جميع الجهات والا فليس بمركب فاذا كان هذا هكذا فلا محالة انه اذا انحل المركب دخل كل جوهر فاتصل بالاصل الذي منه كان فما كان منها بسيطاً روحانياً لحق بعالمه الروحاني البسيط والعالم الروحاني باق غير داثر وما كان منها جاسياً غليظاً لحق بعالمه ايضاً وكل جاسي اذا انحل فانما يرجع حتى يصل الى

سبيل

سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً * نعوذ بالله من ذلك ﴿ قال ابو محمد ﴾ قال بعضهم فاذا سمعنا نحن كلام الله تعالى وسمعه موسى عليه السلام فاي فرق بينه وبيننا قلنا اعظم الفرق وهو ان موسى والملائكة عليهم السلام سمعوا الله تعالى يكلمهم ونحن سمعنا كلام الله تعالى من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اذ امره ان يقرأ عليه القرآن فقال له ابن مسعود يارسول الله اقرأه عليك وعليك أُنزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فصح يقيناً ان القران الذي انزله الله تعالى نفسه فسمعه من غيره وقالوا فكلام الله تعالى اذاً يحل فينا قلنا هذا تهويل بارد ونعم اذا سمى الله تعالى كلامنا اذا قرأنا كلاماً له تعالى فنحن نقول بذلك ونقول ان كلام الله في صدورنا وجار على السنتنا ومستقر في مصاحفنا ونبرأ ممن انكر ذلك بقوله الفاسد المخرج له عن الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ الكلام في اعجاز القران ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد ذكرنا قيام البرهان عن أن القران معجز قد اعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الانس والجن بتعجيز رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من ذكرنا عن ان يأتوا بمثله وتبكيتهم بذلك في محافلهم وهذا امر لا ينكره احد مؤمن ولا كافر واجمع المسلمون على ذلك ثم اختلف اهل الكلام في خمسة انحاء من هذه المسألة فالنحو الاول قول روى عن الاشعري وهو ان المعجز الذي تحدّى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل الينا ولا سمعناه وهذا كلام في غاية النقصان والبطلان اذ من المحال ان يكلف احد ان يجيء بمثل لما لم يعرفه قط ولا سمعه وايضاً فيلزمه ولا بد بل هو نفس قوله انه اذا لم يكن المعجز الا ذلك فان المسموع المتلوّ عندنا ليس معجزاً بل مقدوراً على مثله وهذا كفر مجرد لا خلاف فيه لاحد فانه خلاف للقران لان الله تعالى الزمهم بسورة او عشر سور منه وذلك الكلام الذي هو عند الاشعري هو المعجز ليس له سوراً ولا كثيراً بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين

الطف من كل لطيف فاذا لم يبق من اللطافة شيء اتحد باللطيف الاول المتحد به فيكونان متحدين الى الابد واذا اتحدت الاواخر بالاوائل وكان الابدع هو اول مبدع ليس بينه وبين مبدعه جواهر آخر متوسط فلا محالة ان ذلك المبدع الاول متعلق بنور مبدعه فيبقى خالد دهر الدهور وهذا الفصل قد نقل وهو يتعلق بالمعاد لا بالمبدأ وهؤلاء يسمون مشائين افاذاميا واما (المشاؤون) المطلق هم اهل لوقين وكان افلاطون يلقن الحكمة ما شيا تعظيماً لها وتابعه على ذلك ارسطوطاليس فيسمي هو واصحابه المشائين واصحاب الرواق هم اهل الظلال وكان لافلاطون تعليمان احدهما تعليم كليس وهو الروحاني الذي لا يدرك بالبصر ولكن بالفكرة اللطيفة وتعليم كابس وهو الهيولانيات (راى هرقلى الحكيم) وانه كان يقول ان اول الاوائل النور الحق لا يدرك من جهة عقولنا لانها ابدعت من ذلك النور الاولى الحق وهو الله حقاً وهو اسم الله باليونانية انما يدل على انه مبدع الكل وهذا الاسم عندهم شريف جداً وكان يقول ان بدو الخلق واول شيء ابدع والذي هو اول لهذه العالم هو المحبة والمنازعة ووافق في هذا الراي انبذقلس حيث قال الاول الذي ابدع هو المحبة والغلبة وقال هرقل السماء متحركة من ذاتها والارض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها والشمس حللت كل ما فيها من الرطوبة فاجتمعت

وله قول اخر كقول جميع المسلمين ان هذا المتلو هو المعجز والنحو الثاني هل الاعجاز متماد ام قد ارتفع بتمام قيام الحجة به في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض اهل الكلام ان الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ولو عورض الان لم تبطل بذلك الحجة التي قد صحت كما ان عصى موسى اذ قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ولا اسقط حجته عودها عصا كما كانت وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت وكذلك سائر الايات وقال جمهور اهل الاسلام ان الاعجاز باق الى يوم القيامة والاية بذلك باقية ابدا كما كانت

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا هو الحق الذي لا يحل القول بغيره لانه نص قول الله تعالى اذ يقول * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا نص جرى على انه لا يأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقينا ان ذلك على التأبيد وفي المستأنف ابدا ومن ادعى ان المراد بذلك الماضي فقد كذب لانه لا يجوز ان تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل الى معنى الماضي الا بنص آخر جلي وارد بذلك او باجماع متيقن ان المراد به غير ظاهره او ضرورة ولا سبيل في هذه المسألة الى شيء من هذه الوجوه وكذلك قوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا * عموم لكل انس وجن ابد * لا يجوز تخصيص شيء من ذلك اصلا بغير ضرورة ولا اجماع

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن قال بالوقف وانه ليس للعموم صيغة ولا للظاهر فلا حجة هاهنا نقوم له على الطائفة المذكورة فصح ان اعجاز القران باق الى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين والنحو الثالث ما المعجز منه انظمه ام في نصه من الانذار بالغيوب فقال بعض اهل الكلام ان نظمه ليس معجزا وانما اعجازه ما فيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجز نظمه وما فيه من الاخبار بالغيوب وهذا هو الحق الذي ما خالفه فهو

ضلال

فصار البحر والذي حجرت الشمس ونفذت فيه حتى لم تذر فيه شيئا من الرطوبة صار منه الحصى والحجارة والجبل وما لم ينفذ فيه الشمس اكثر ولم ينزع عنه الرطوبة كلها فهو التراب وكان يقول ان السماء في النشأة الاخرى تصير بلا كواكب لان الكواكب تهبط سفلا حتى تحيط بالارض وتلتهب فيصير متصلا بعضها ببعض حتى تكون الدائرة حول الارض وانما هبط منها ما كان من اجزائها نارا محضة ويصعد ما كان نورا محضا فتبقى النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذي احاط به النار الى الابد في عقاب السرمد وتصعد النفوس الشريفة الخالصة الطيبة الى العالم الذي يمحض نورا وبهاء وحنا في ثواب السرمد وهناك الصور الحسان لذات البصر والالحان الشجية لذات السمع ولانها ابدعت بلا توسط مادة وتركب استقصات فهي جواهر شريفة روحانية نورانية وقال ان الباري يمسح تلك الانفس في كل دهر مسحة فيتجلى لها حتى تنظر الى نوره المحض الخارج من جوهره الحق فحينئذ يستلذ عشقها وشوقها ومجدها فلا يزال ذلك دائما ابد الابد (راى ابيقورس) خالف الاوائل في الاوائل قال المبادي اثنان الخلاء والصور واما الخلاء فمكان فارغ واما الصور فهي فوق المكان والخلاء ومنها ابدعت الموجودات وكل ما كون منها فانه ينحل اليها فمنها المبدا واليها المعاد وربما يقول

ضلال وبرهان ذلك قول الله تعالى *فأتوا بسورة من مثله* فنص تعالى على انهم لا يأتون بمثل سورة من سوره وأكثر سوره ليس فيها أخبار بغيب فكان من جعل المعجز الأخبار الذي فيه بالغيوب مخالفاً لما نص الله تعالى على انه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة والحمد لله رب العالمين * والنحو الرابع ما وجه اعجازه فقالت طائفة وجه اعجازه كونه في أعلى مراتب البلاغة وقالت طوائف انما وجه اعجازه ان الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط فأما الطائفة التي قالت انما اعجازه لأنه في أعلى درج البلاغة فانهم شغبوا في ذلك بأن ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى *ولكم في القصاص حياة* ونحو هذا وموه بعضهم بان قال لو كان كما تقولون من ان الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب ان يكون أغث ما يمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ

﴿قال أبو محمد﴾ ما نعلم لهم شغباً غير هذين وكلاهما لا حجة لهم فيه اما قولهم لو كان كما قلنا لوجب ان يكون أغث ما يمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة أبلغ فهذا هو الكلام الغث حقاً لوجوه أحدها انه قول بلا برهان لانه ينعكس عليه قوله بنفسه فيقال له بل لو كان اعجازه لكونه في أعلى درج البلاغة لكان لا حجة فيه لان هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم وثانيها انه لا يسأل الله تعالى عما يفعل ولا يقال له لم عجزت بهذا النظم دون غيره ولم ارسلت هذا الرسول دون غيره ولم قلبت عصا موسى حية دون ان تقلبها أسداً وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآية ان تكون خارجة عن المعهود فقط وثالثها انهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم ان يقولوا هلا كان هذا الاعجاز في كلام بجميع اللغات

الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر والانسان كالحيوان مرسل مهمل في هذا العالم والحالات التي ترد على الانفس في هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها فان عملت خيرا وحسناً فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شرا وقبيحاً فيرد عليها حزن وترح وانما سرور كل نفس بالانفس الاخرى وكذا حزنها مع الانفس الاخرى بقدر ما يظهر لها من أفاعيلها وتبعه جماعة من التناسخية على هذا الرأي (حكم سولون الشاعر) وكان عند الفلاسفة من الانبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط وأجمعوا على تقديمه والقول بفضائله قال سولون لتلميذه تزود من الخير وأنت مقبل خير لك من ان تتزود وأنت مدبر وقال من فعل خيرا فليجتنب ما خالفه والا دعي شريرا وقال ان أمور الدنيا حق وقضاء فمن أسلف فليقض ومن قضى فقد وفى وقال اذا عرضت لك فكرة سوء فادفعها عن نفسك ولا ترجع باللائمة على غيرك الكريم رأيك بما أحدث عليك وقال ان فعل الجاهل في خطائه أن يذم غيره وفعل طالب الادب أن يذم نفسه وفعل الاديب أن لا يذم نفسه

فيستوى في معرفة اعجازه العرب والعجم لان العجم لا يعرفون اعجاز القرآن الا باخبار العرب فقط فبطل هذا الشغب الغث والحمد لله رب العالمين
﴿ قال أبو محمد ﴾ واما ذكرهم *ولكم في القصاص حياة* وما كان نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم ان كان كما تقولون ومعاذ الله من ذلك فانما المعجز منه على قولكم هذه الآيات خاصة واما سائره فلا وهذا كفر لا يقوله مسلم فان قالوا جميع القرآن مثل هذه الآيات في الاعجاز قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها اذاً وهل هذا منكم الا ايهام لأهل الجهل ان من القرآن معجزاً وغير معجز ثم نقول لهم قول الله تعالى واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وأتينا داود زبورا أمعجز هو على شروطكم في كونه في أعلى درج البلاغة أم ليس معجزاً فان قالوا ليس معجزاً كفروا وان قالوا انه معجز صدقوا وسئلوا هل على شروطكم في أعلى درج البلاغة فان قالوا نعم كابروا وكفوا مؤنتهم لانها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم في البلاغة وأيضاً فلو كان اعجاز القرآن لانه في أعلى درج البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن وسهل بن هرون والجاحظ وشعر امرئ القيس ومعاذ الله من هذا لان كل ما يسبق في طبقته لم يؤمن ان يأتي من يماثله ضرووة فلا بد لهم من هذه الخطة او من المصير الى قولنا ان الله تعالى منع من معارضته فقط وايضاً فلو كان اعجازه من انه في أعلى درج البلاغة المعهودة لوجب ان يكون ذلك الآية ولما هو اقل من آية وهذا ينقض قولهم ان المعجز منه ثلاث آيات لا اقل فان قالوا فقولوا انتم هل القرآن موصوف بانه في اعلى درج البلاغة ام لا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تريدون ان الله قد بلغ به ما اراد فنعم هو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء ابلغ منها وان كنتم تريدون هل هو في اعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين

ولا غيره وقال اذا انصب الدهن وأريق الشراب وانكسر الاناء فلا تغتم بل قل كما ان الارباح لا يكون الا فيما يباع ويشترى كذلك الخسران لا يكون الا في الموجودات فانف الغم والخسارة عنك فان لكل ثمناً وليس يجيء بالمجان وسئل ايما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على المقة والشهوة وقال لابنه دع المزاح فان المزاح لقاح الضغائن وسأله رجل قال هل ترى أن أتزوج أو أدع قال أي الامرين فعلت ندمت عليه وسئل أي شيء أصعب على الانسان قال أن لا يعرف عيب نفسه وأن يمسك عما لا ينبغي أن يتكلم به ورأى رجلا عثر فقال له تعثر برجلك خير من ان تعثر بلسانك وسئل ما الكرم فقال النزاهة عن المساوي وقيل له ما الحياة قال التمسك بأمر الله تعالى وسئل ما النوم فقال النوم موتة خفيفة والموت نومة طويلة وقال ليكن اختيارك من الاشياء جديدها ومن الاخوان أنفعهم وقال أنفع العلم ما أصابته الفكرة وأقله نفعاً ماقلته بلسانك وقال ينبغي أن يكون المرء حسن الشكل في صغره وعفيفاً عند ادراكه وعدلا في شبابه وذا رأي في كهولته

المخلوقين فلا لانه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من اعلاه ولا من ادناه ولا من اوسطه وبرهان هذا ان انساناً لو ادخل في رسالة له او خطبة او تأليف او موعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجاً عن البلاغة المعهودة جملة بلاشك فصح انه ليس من نوع بلاغة الناس اصلاً وان الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الاعجاز وسلبه جميع كلام الخلق برهان ذلك ان الله حكى عن قوم من اهل النار انهم يقولون اذا سئلوا عن سبب دخولهم النار * لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين * وحكى تعالى عن كافر قال * ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر * وحكى عن آخرين انهم قالوا * ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه * فكان هذا كله اذ قاله غير الله عز وجل غير معجز بلا خلاف اذ لم يقل احد من اهل الاسلام ان كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له اصاره معجزا ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لا يحتاج الى غيره والحمد لله * والنحو الخامس ما مقدار المعجز منه فقالت الاشعرية ومن وافقهم ان المعجز انما هو مقدار اقل سورة منه وهو انا اعطيناك الكوثر فصاعدا وان ما دون ذلك ليس معجزاً واحتجوا في ذلك بقول الله تعالى قل فأتوا بسورة من مثله قالوا ولم يتحد تعالى باقل من ذلك وذهب سائر اهل الاسلام الى ان القرآن كله قليله وكثيره معجز وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا حجة لهم في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله لانه تعالى لم يقل ان ما دون السورة ليس معجزاً بل قد قال تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرآن

وحافظاً للسنن عند الفناء حتى لا يلحقه الندامة وقال ينبغي للشاب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعد الانسان للشتاء من البرد الذي يهجم عليه وقال يابني احفظ الامانة تحفظك وصنها حتى تصان وقال جوعوا الى الحكمة واعطشوا الى عبادة الله تعالى قبل أن يأتيكم المانع منها وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ولا تتصلوا بالاشراف فتعدوا فيهم ولا تعتمدوا الغنى ان كنتم تلامذة الصدق ولا تهملوا من أنفسكم في أيامكم واياكم ولا تستخفوا بالمساكين في جميع أوقاتكم وكتب اليه بعض الحكماء يستوصفه أمر عالمي العقل والحس فقال اما عالم العقل فدار ثبات وثواب وأما عالم الحس فدار بوار وغرور وسئل ما فضل علمك على علم غيرك قال معرفتي بأن علمي قليل وقال أخلاق محمودة وجدتها في الناس الا انها انما توجد في قليل صديق يحب صديقه غائباً كمحبته حاضراً وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الاغنياء ومقر بعيوبه اذا ذكر وذاكر يوم نعيمه في يوم بؤسه ويوم بؤسه في يوم نعيمه وحافظاً لسانه عند غضبه (حكم أوميرس الشاعر) وهو من القدماء الكبار الذي يجريه أفلاطون وارسطوطاليس في أعلى

ولا يختلف اثنان في ان كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز ثم تعارضهم في تحديدهم المعجز بسورة فصاعدا فنقول أخبرونا ماذا تعنون بقولكم ان المعجزمقدار سورة أسورة كاملةلا اقل ام مقدار الكوثر في الآيات ام مقدارها في الكلمات ام مقدارها في الحروف ولا سبيل الى وجه خامس فان قالوا المعجز سورة تامةلا اقل لزمهم ان سورة البقرة حاشا آية واحدة او كلمة واحدة من آخرها او من أولها ليست معجزة وهكذا كل سورة وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سورة في القرآن سوى كلمة من أولها او من وسطها اومن آخرها مقدور على مثلها وان قالوا بل مقدارها من الآيات لزمهم ان آية الدين ليست معجزة لانها ليست ثلاث آيات ولزمهم مع ذلك ان والفجر وليال عشر والشفع والوتر معجز كآية الكرسي وآيتان اليها لانها ثلاث آيات وهذا غير قولهم ومكابرة ايضاً ان تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كله غيرمعجزة ولزمهم ايضاً ان والضحى والفجر والعصر هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات لانهن ثلاث آيات فان قالوا هن متفرقات غير متصلات لزمهم اسقاط الاعجاز عن الف آية متفرقة وامكان المجيء بمثلها ومن جعل هذا ممكنا فقد كابر العيان وخرج عن الاسلام وابطل الاعجاز عن القرآن وفي هذا كفاية لمن نصح نفسه وازمهم ايضاً ان ولكم فى القصاص حياة ليس معجزاً وهذا نقض لقولهم في انه في اعلى درج البلاغة وكذلك كل ثلاث آيات غير كلمة وهذا خروج عن الاسلام وعن المعقول وان قالوا بل في عدد الكلمات او قالوا عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم احدهما ابطال احتجاجهم بقوله تعالى بسورة من مثله لانهم جعلوا معجزاً ماليس سورة ولم يقل تعالى بمقدار سورة فلاح تمويههم والثاني ان صورة الكوثر عشر كلمات اثنان واربعون حرفاً وقد قال تعالى «وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل

المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من اتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ فمن ذلك قوله لاخير في كثرة الرؤساء وهذه كلمة وجيزة تحتها معان شريفة لما في كثرة الرؤساء من الاختلاف الذي يأتي على حكمة الرئاسة بالابطال ويستدل بها في التوحيد ايضاً لما في كثرة الآلهة من المخالفات التي تعكر على حقيقة الآلهية بالافساد وبالجملة لو كان أهل بلد كلهم رؤساء ما كان رئيس ألبتة ولو كان أهل بلد كلهم رعية لما كان رعية ألبتة ومن حكمه قال اني لاعجب من الناس اذ كان يمكنهم الاقتداء بالله فيدعون ذلك الى الاقتداء بالبهائم ثم قال له تلميذه لعل هذا انما يكون لانهم قد رأوا انهم يموتون كما يموت البهائم فقال له بهذا السبب يكثر تعجبي منهم من قبل انهم يحسبون بأنهم لا يسون بدناً ميتاً ولا يحسبون ان في ذلك البدن نفساً غير ميتة وقال من يعلم ان الحياة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت على الحياة وقال العقل نحوان طبيعي وتجربي وهما مثل الماء والارض وكما ان النار تذيب كل صامت وتخاصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الامور ويخاصها ويفصلها

واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان اثنتا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفاً وان اقتصرنا على الاسماء فقط كانت عشر كلمات اثنين وستين حرفاً فهذا اكثر كلمات وحروفاً من سورة الكوثر فينبغي ان يكون هذا معجزاً عندكم ويكون ولكم في القصاص حياة غير معجز فان قالوا ان هذا غير معجز تركوا قولهم في اعجاز مقدار اقل سورة في عدد الكلمات وعدد الحروف وان قالوا بل هو معجز تركوا قولهم في انه في أعلى درج البلاغة ويلزمهم ايضاً انا ان اسقطنا من هذه الاسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمات ان لا يكون شيء من ذلك معجزاً فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده وايضاً فاذا كانت الآية منه او الآيتان غير معجزة وكانت مقدوراً على مثلها واذا كان ذلك فكله مقدور على مثله وهذا كفر فان قالوا اذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم ان اعجازه انما هو من طريق البلاغة لان طريق البلاغة في الآية كهو في الثلاث ولا فرق والحق من هذا هو ما قاله الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وان كل كلمة قائمة المعنى يعلم اذا تليت انها من القرآن فانها معجزة لا يقدر احد على المجيء بمثلها ابداً لان الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك كمن قال ان آية النبوة ان الله تعالى يطلقني على المشي في هذه الطريق الواضحة ثم لا يمشي فيها احد غيري ابداً او مدة يسميها فهذا اعظم ما يكون من الآيات وان الكلمة المذكورة انها متى ذكرت في خبر على انها ليست قرانا فهي غير معجزة وهذا هو الذي جاء به النص والذي عجز عنه اهل الارض مذ اربعمائة عام واربعين عاماً ونحن نجد في القرآن ادخال معنى بين معنيين ليس بينهما كقوله تعالى *وما تتنزل الا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك* وليس هذا من بلاغة الناس في ورد

ويعدها للعمل ومن لم يكن لهذين النحويين فيه موضع فان خير أموره له قصر العمر وقال ان الانسان الخير أفضل من جميع ما على الارض والانسان الشرير أخس وأوضع من جميع ما على الارض وقال لن تنبل واحلم تعز ولا تكن معجباً فتمتهن واقهر شهوتك فان الفقير من انحط الى شهواته وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزوّد عنها الخسارة وقال الامراض ثلاثة أشياء الزيادة والنقصان في الطبائع الاربع وما يهيجه الاحزان فشفاء الزائد والناقص في الطبائع الادوية وشفاء ما يهيجه الاحزان كلام الحكماء والاخوان وقال العمى خير من الجهل لان أصعب مايخاف من العمى التهور في بئر ينهد منه الجسد والجهل يتوقع منه هلاك الابد وقال مقدمة المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات القحة وقال برقليطس ان أوميرس الشاعر لما رأى تضاد الموجودات دون فلك القمر قال بالتيه هلاك التضاد من هذا العالم ومن الناس والسادة يعني النجوم واختلاف طبائعها وأراد بذلك أن يبطل التضاد والاختلاف حتى يكون هذا العالم المتحرك المتنقل داخلا في العالم الساكن القائم الدائم ومن مذهبه أن بهرام واقع

ولا في صدر ومثل هذا في القرآن كثير والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام في القدر ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في هذا الباب فذهبت طائفة الى ان الانسان مجبر على افعاله وانه لا استطاعة له أصلا وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الازارقة وذهبت طائفة اخرى الى ان الانسان ليس مجبراً واثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل ما اختار فعله ثم افترقت هذه الطائفة على فرقتين فقالت احداهما الاستطاعة التي يكون بها الفعل لا تكون الا مع الفعل ولا يتقدمه البتة وهذا قول طوائف من أهل الكلام ومن وافقهم كالنجار والاشعري ومحمد بن عيسى برغوث الكاتب وبشر بن غياث المريسي وابي عبد الرحمن العطوي وجماعة من المرجئة والخوارج وهشام بن الحكم وسليمان بن جرير واصحابهما وقالت الاخرى ان الاستطاعة التي يكون بها الفعل هي قبل الفعل موجودة في الانسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب ومؤنس بن عمران وصالح قبة والناسي وجماعة من الخوارج والشيعة ثم افترق هؤلاء على فرق فقالت طائفة ان الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل أيضاً للفعل ولتركه وهو قول بشر بن المعتمر البغدادي وضرار بن عمرو الكوفي وعبد الله بن غطفان ومعمر بن عمرو العطار البصري وغيرهم من المعتزلة وقال ابو الهذيل محمد بن الهذيل العبدي البصري العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل البتة ولا تكون الا قبله ولا بد وتفنى مع أول وجود الفعل وقال أبو اسحق بن ابراهيم بن سيار النظام وعلى الاسواري وابو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان الاصم ليست الاستطاعة شيئاً غير نفس المستطيع وكذلك أيضاً قالوا في العجز انه ليس شيئاً غير العاجز الا النظام فانه قال هو آفة دخلت على المستطيع

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاما من قال بالاجبار فانهم احتجوا فقالوا لما كان الله

الزهرة فتولدت من بينهما طبيعة هذا العالم وقال ان الزهرة هي علة التوحد والاجتماع وبهرام علة التفرق والاختلاف والتوحد ضد التفرق فلذلك صارت الطبيعة ضداً تركب ونقص وتوحد وتفرق وقال الخط شيء أظهره العقل بوساطة القلم فلما قابل النفس عشقته بالعنصر هذه حكمه وأما مقطعات أشعاره قال ينبغي للانسان أن يفهم الامور الانسانية . ان الادب للانسان ذخر لا يسلب . ادفع من عمرك ما يجريك . ان أمور العالم تعلمك العلم . ان كنت ميتاً فلا تحقر عداوة من لا يموت . كل ما يختار في وقته يفرح به . ان الزمان يبين الحق وينيره . اذكر نفسك أبداً انك انسان . ان كنت انساناً فافهم كيف تضبط غضبك . اذا زلتك مضرة فاعلم انك كنت أهلها . اطلب رضى كل أحد لا رضى نفسك فقط . ان الضحك في غير وقته هو ابن عم البكاء . ان الارض تلد كل شيء ثم تسترده . ان الرأي من الجبان جبان . انتقم من الاعداء نقمة لا تضرك . كن مع حسن الجراة ولا تكن متهوراً . ان كنت ميتاً فلا تذهب مذهب من لا يموت . ان أردت أن تحيى فلا تعمل عملا يوجب الموت . ان الطبيعة كونت الاشياء بارادة

تعالى فعالا وكان لا يشبهه شيء من خلقه وجب ان لا يكون احد فعالا غيره وقالوا أيضاً معنى اضافة الفعل الى الانسان انما هو كما تقول مات زيد وانما اماته الله تعالى وقام البناء وانما اقامه الله تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وخطأ هذه المقالة ظاهر بالحس والنص وباللغة التي بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم فاما النص فان الله عز وجل قال في غير موضع من القرآن*جزاء بما كنتم تعملون لم تقولون مالا تفعلون وعملوا الصالحات*فنص تعالى على اننا نعمل ونفعل ونصنع واما الحس فان بالحواس وبضرورة العقل وببديهة علمنا يقيناً علماً لا يخالج فيه الشك ان بين الصحيح الجوارح وبين من لاصحة بجوارحه فرقاً لائحاً لجوارحه لان الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختاراً لها دون مانع والذي لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله اصلا ولا بيان ابين من هذا الفرق والمجبر في اللغة هو الذي يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده فاما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى في اللغة مجبراً واجماع الامة كلها على لاحول ولا قوة الا بالله مبطل قول المجبرة ووجب ان لنا حولا وقوة ولكن لم يكن لنا ذلك الا بالله تعالى ولو كان ما ذهب اليه الجهمية لكان القول لا حول ولا قوة الا بالله لا معنى له وكذلك قوله تعالى* لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين*فنص تعالى على ان انا مشيئة الا انها لا تكون منا الا ان يشاء الله كونها وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن عرف عناصر الاشياء من الواجب والممتنع والممكن ايقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها لان الحركة الاختيارية باول الحس هي غير الاضطرارية وان الفعل الاختياري من ذي الجوارح المؤوفة ممتنع وهو من ذي الجوارح الصحيحة ممكن واننا بالضرورة نعلم ان المقعد لو رام القيام جهده لما امكنه ونقطع يقيناً

الرب تعالى. من لا يفعل شيئاً من الشر فهو الهي. آمن بالله فانك توفق في أمورك. ان مساعدة الاشرار على أفعالهم كفر بالله. ان المغلوب من قاتل الله والبخت. أعرف الله والامور الانسانية. اذا أراد الله خلاصك عبرت البحر على البادية. ان العقل الذي يناطق الله لشريف. ان قوام السنة بالرئيس. ان لفيف الناس وان كانت لهم قوة فليس لهم عقل. ان السنة توجب كرامة الوالدين. مثل كرامة الاله. رأى ان والديك آلهة لك ان الاب من هو ربي لا من وُلد. ان الكلام في غير وقته يفسد العمر كله. اذا حضر البخت تمت الامور. ان سنن الطبيعة لا يتعلم. ان اليد تغسل اليد والاصبع الاصبع. وليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك. يعني بالمدخر لنفسه العلم والحكمة والمدخر لغيره المال والكرم يحمل ثلاثة عناقيد عنقود الالتذاذ وعنقود الشكر وعنقود الشيم خير أمور العالم الحسي أوساطها وخير أمور العالم العقلي أفضلها وقيل ان وجود الشعر في أمة اليونان كان قبل الفلسفة وانما أبدعه أوميرس وثاليس كان بعده ثلاثمائة واثنين وثلاثين سنة وأول فيلسوف كان منهم في سنة تسعمائة واحدى وخمسين من وفاة موسى عليه السلام

انه لا يقوم وان الصحيح الجوارح لا ندري اذا رأيناه قاعداً يقوم ام يتكئ ام يتمادى على قعوده وكل ذلك منه ممكن واما من طريق اللغة فأن الاجبار والاكراه والاضطرار والغلبة أسماء مترادفة وكلها واقع على معنى واحد لا يختلف وقوع الفعل ممن لا يؤثره ولا يختاره ولا يتوهم منه خلافه البتة واما من آثر ما يظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل اليه هواه فلا يقع عليه اسم اجبار ولا اضطرار لكنه مختار والفعل منه مراد متعمد مقصود ونحو هذه العبارات عن هذا المعنى في اللغة العربية التي نتفاهم بها فان قال قائل فلم ابيتم هاهنا من اطلاق لفظة الاضطرار واطلقتموها في المعارف فقلتم انها باضطرار وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في الانسان فالجواب ان بين الامرين فرقاً بيناً وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله وممكن ذلك منه وليس كذلك ما عرفه يقيناً ببرهان لانه لا يتوهم ألبتة انصرافه عنه ولا يمكنه ذلك اصلا فصح انه مضطر اليها وايضاً فقد أثنى الله عز وجل على قوم دعوه فقالوا *ولا تحملنا مالا طاقة لنا به* وقد علمنا ان الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة في اللغة العربية الفاظ مترادفة كلها واقع على معنا واحد وهذه صفة من يمكن عنه الفعل باختياره او تركه باختياره ولاشك في ان هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيأ من الطاعات والاعمال واجتناب المعاصي فلولا ان هاهنا اشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقاً لانهم كانوا يصيرون داعين الله عز وجل في ان لا يكلفهم مالا طاقة لهم به وهم لا طاقة لهم بشيء من الاشياء فيصير دعاؤهم في ان لا يكلفوا ماقد كلفوه وهذا محال من الكلام والله تعالى لا يثني على المحال فصح بهذا ان هاهنا طاقة موجودة على الافعال وبالله تعالى التوفيق *واما احتجاجهم بان الله تعالى لما كان فعالا وجب ان لا يكون فعال غيره فخطأ من القول لوجوه احدها ان النص قد ورد بان للانسان افعالا

وهذا ماخبر به كورفس في كتابه وذكر فرفوريوس ان ثاليس ظهر في سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك بختنصر حكم (بقراط) واضع الطب الذي قال بفضله الاوائل والاواخر كان اكثر حكمته في الطب وشهرته به فبلغ خبره بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسف وكتب الى فيلاطس ملك قوة وهو بلد من بلاد اليونانيين يأمر بتوجيه بقراط اليه وأمر له بقناطير من الذهب فأبى ذلك وتلكأ عن الخروج اليه ضنا بوطنه وقومه وكان لا يأخذ على المعالجة أجرة من الفقراء وأوساط الناس وقد شرط أن يأخذ من الاغنياء أحد ثلاثة أشياء طوقاً أو اكليلا أو سواراً من ذهب فمن حكمه ان قال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه وقيل له اي العيش خير قال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف وقال الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ولكن يحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء وقال يداوي كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة متطلعة الى هوائها ونازعة الى غذائها ولما حضرته الوفاة قال خذوا جامع العلم مني من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من

وأعمالا قال تعالى * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون *فاثبت الله لهم الفعل وكذلك نقول ان الانسان يصنع لان النص قد جاء بذلك ولولا النص ما اطلقنا شيئاً من هذا وكذلك لما قال الله تعالى*وفاكهة مما يتخيرون*علمنا ان للانسان اختياراً لان اهل الدنيا واهل الجنة سواء في انه تعالى خالق اعمال الجميع على ان الله تبارك وتعالى قال*وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة*فعلمنا ان الاختيار الذي هو فعل الله تعالى وهو منفي عن سواه هو غير الاختيار الذي اضافه الى خلقه ووصفهم به ووجدنا هذا ايضاً حسا لان الاختيار الذي توحد الله تعالى به هو ان يفعل ماشاء كيف شاء واذا شاء وليست هذه صفة شيء من خلقه واما الاختيار الذي اضافه الله تعالى الى خلقه فهو ماخلق فيهم من الميل الى شيء ما والايثار له على غيره فقط وهنا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق ومنها ان الاشتراك في الاسماء لايقع من اجله التشابه الا ترى انك تقول الله الحي والانسان حي والانسان حليم كريم عليم والله تعالى حليم كريم عليم فليس هذا يوجب اشتباهها بلا خلاف وانما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة في الموصوفين والفرق بين الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منا هو ان الله تعالى اخترعه وجعله جسما او عرضا او حركة او سكونا او معرفة او ارادة او كراهية وفعل عز وجل كل ذلك فينا بغير معاناة منه وفعل تعالى لغير علة واما نحن فانما كان فعلا لنا لانه عز وجل خلقه فينا وخلق اختيارنا له واظهره عز وجل فينا محمولا لا كتساب منفعة او لدفع مضرة ولم نخترعه نحن واما من قال بالاستطاعة قبل الفعل فعمدة حججهم ان قالوا لايخلو الكافر من أحد امرين اما ان يكون مأمورا بالايمان اولا يكون مأمورا به فان قلتم انه غير مأمور بالايمان فهذا كفر مجرد وخلاف للقرآن والاجماع وان قلتم هو مأمور بإيمان وهكذا تقولون فلا يخلو

النافع وقال لو خلق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض لانه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض ودخل على عليل فقال له أنا وانت والعلة ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول لما تسمع مني صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلبا وسئل ما بال الانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدواء قال مثل ذلك مثل البيت اكثر ما يكون غباراً اذا كنس وحديث ابن الملك اذ عشق جارية من حظايا ابيه فنهك بطنه واشتدت علته فاحضر بقراط فجس نبضه ونظر الى تفسرته فلم ير أثر علة فذاكره حديث العشق فرآه يهش لذلك و يطرب فاستخبر الحال من خاصته فلم يكن عندها خبر وقالت ما خرج قط من الدار فقال بقراط للملك مر رئيس الخصيان بطاعتي فامره بذلك فقال أخرج على النساء فخرجن و بقراط واضع أصبعه على نبض الفتى فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وطار قلبه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعينة لهواه فسار الى الملك فقال بن الملك قد عشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن ذاك قال هو يحب حليلتي قال انزل عنها ولك عنها بدل فتحازن بقراط ووجم وقال

من احد وجهين اما ان يكون امر وهو يستطيع ما امر به فهذا قولنا لاقولكم او يكون امر وهو لايستطيع ما امر به فقد نسبتم الى الله عز وجل تكليف مالايستطاع ولزمكم ان تجيزوا تكليف الاعمى ان يرى والمقعد ان يجرى او يطلع الى السماء وهذا كله جور وظلم والجور والظلم منفيان عن الله عز وجل وقالوا اذ لا يفعل المرء فعلا الا باستطاعة موهوبة من الله عز وجل ولا تخلو تلك الاستطاعة من ان يكون المرء اعطيها والفعل موجود او اعطيها والفعل غير موجود فان كان اعطيها والفعل موجود فلا حاجة به اليها اذ قد وجد الفعل منه الذي يحتاج الى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل بها وان كان اعطيها والفعل غير موجود فهذا قولنا ان الاستطاعة قبل الفعل قالوا والله تعالى يقول * ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا * قالوا فلولم تتقدم الاستطاعة الفعل لكان الحج لا يلزم احدا قبل ان يحج وقال تعالى * وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * وقال تعالى * فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا * فلو كانت الاستطاعة للصوم لاتتقدم الصوم ما لزمت أحدا الكفارة به وقال تعالى * يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون * فصح ان استطاعة الخروج موجودة مع عدم الخروج وقال تعالى * فاتقوا الله مااستطعتم * ولهم ايضا في خلق الافعال اعتراض نذكره ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

باب ما الاستطاعة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ان الكلام على حكم لفظة قبل تحقيق معناها ومعرفة المراد بها وعن اي شيء يعبر بذكرها طمس للوقوف على حقيقتها فينبغي اولا ان نوقف على معنى الاستطاعة فاذا تكلمنا عليه وقررناه

هل رأيت أحداً كاف أحداً طلاق امرأته لاسيما الملك في عدله ونصفته يأمرني بمفارقة حياتي ومفارقتها مفارقة روحي قال الملك انى اوثر ولدي عليك وأعوضك من هو أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد بالسيف قال بقراط ان الملك لا يسمى عدلا حتى ينصف من نفسه ما ينتصف من غيره أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك قال يا بقراط عقلك أتم من معرفتك فنزل عنها لابنه وبرئ الفتى وقال بقراط ان تأكل ما تستمرئ وما لا تستمرئ فانه يأكلك وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لانه كان اثنين احدهما خفيف رافع والآخر ثقيل واضع فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع وقال الجسد يعالج جملة على خمسة اضرب ما في الرأس بالغرغرة وما في المعدة بالقيء وما في البدن باسهال البطن وما بين الجلدتين بالعرق وما في العمق وداخل العرق بارسال الدم وقال الصفراء بيتها المرارة وسلطانها في الكبد والبلغم بيته المعدة وسلطانه في الصدر والسوداء بيتها الطحال وسلطانها في القلب والدم بيته القلب وسلطانه في الرأس وقال لتلميذ له ليكن أفضل وسيلتك الى الناس

بحول الله تعالى وقوته سهل الاشراف على صواب هذهِ الاقوال من خطأها بعون الله تعالى وتأييده فنقول وبالله تعالى نتأيد ان من قال ان الاستطاعة هي المستطيع قول في غاية الفساد ولوكان لقائله اقل علم باللغة العربية ثم بحقائق الاسماء والمسميات ثم بماهية الجواهر والاعراض لم يقل هذا السخف أما اللغة فان الاستطاعة انماهي مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب الذي هو فعل الضارب والحمرة التي هي صفة الاحمر والاحمرار الذي هو صفة المحمر وما اشبه هذا والصفة والفعل عرضان بلا شك في الفاعل مناوفي الموصوف والمصادر هي احداث المسمين بالاسماء باجماع من اهل كل لسان فاذاكانت الاستطاعة في اللغة التي بها نتكلم نحن وهم انما هي صفة في المستطيع فبالضرورة نعلم ان الصفة هي غير الموصوف لان الصفات تتعاقب عليه تتمضى صفه وتأتي أخرى فلوكانت الصفة هي الموصوف لكان الماضي من هذه الصفات هو الموصوف الباقي ولا سبيل الى غير هذا البتة فاذ لا شك في ان الماضي هو غير الباقي فالصفات هي غير الموصوف بها وماعدا هذا فهو من المحال والتخايط فان قالوا ان الاستطاعة ليست مصدر استطاعة ولا صفة المستطيع كابروا وأتوا بلغة جديدة غير اللغة الذي نزل بها القرآن والتي لفظة الاستطاعة التي فيها نتنازع انما هي كلمة من تلك اللغة ومن احال شيئاً من الالفاظ اللغوية عن موضوعها في اللغة بغير نص محيل لها ولا باجماع من اهل الشريعة فقد فارق حكم اهل العقول والحياء وصار في نصاب من لا يتكلم معه ولا يعجز احد ان يقول الصلاة ليست ما تعنون بها وانما هي امر كذا والماء هو الخمر وفي هذا بطلان الحقائق كلها وأيضاً فاننا نجد المرء مستطيعاً ثم نراه غير مستطيع لخدر عرض في اعضائه أو لتكتيف وضبط أو لاغماء وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شيء فصح بالضرورة ان الذي عدم من

محبتك لهم والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكى عن بقراط قوله المعروف العمر قصير والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر والقضاء عسر وقال لتلاميذه اقسموا الليل والنهار ثلاثة أقسام فاطلبوا في القسم الاول العقل الفاضل واعملوا في القسم الثاني بما أحرزتم من ذلك العقل ثم عاملوا في القسم الثالث من لا عقل له وانهزموا من الشر ما استطعتم وكان له ابن لا يقبل الادب فقالت امرأته ان ابنك هو منك فأدبه فقال لها هو مني طبعاً ومن غيري نفساً فما أصنع به وقال ما كان كثيراً فهو مضاداً للطبيعة فليكن الاطعمة والاشربة والنوم والجماع والتعب قصداً وقال ان صحة البدن اذا كان في الغاية كان أشد خطراً وقال ان الطب هو حفظ الصحة بما يوافق الاصحا ودفع المرض بما يضاده وقال من سقي السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحبل واجترأ على المريض فليس من شيعتي وله ايمان معروفة على هذه الشرائط وكتبه كثيرة في الطب وقال في الطبيعة أنها القوة التي تدبر جسم الانسان فتصوره من النطفة الى تمام الخلقة خدمة للنفس في اتمام هيكلها ولا يزال هو المدبر له غذاء من الثدي وبعده مما

الاستطاعة هو غير المستطيع الذي كان ولم يعدم هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس وبهذا أيقنا ان الاستطاعة عرض من الاعراض تقبل الاشد والاضعف فنقول استطاعة أشد من استطاعة واستطاعة أضعف من استطاعة وايضاً فان الاستطاعة لها ضد وهو العجز والاضداد لا تكون الا أعراضاً تقتسم طرفي البعد كالخضرة والبياض والعلم والجهل والذكر والنسيان وما أشبه هذا وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولا ينكره الا اعمى القلب والحواسي ومعاند مكابر للضرورة والمستطيع جوهر والجوهر لا ضد له فصح بالضرورة ان الاستطاعة هي غير المستطيع بلاشك وايضاً فلو كانت الاستطاعة هي المستطيع لكان العجز ايضاً هو العاجز والعاجز هو المستطيع بالامس فعلى هذا يجب ان العجز هو المستطيع فان تمادوا على هذا لزمهم ان العجز عن الامر هو الاستطاعة عليه وهذا محال ظاهر فان قالوا ان العجز غير المستطيع وهو آفة دخلت على المستطيع سئلوا عن الفرق الذي من اجله قالوا ان الاستطاعة هي المستطيع ومنعوا ان يكون العجز هو العاجز ولا سبيل الى وجود فرق في ذلك وبهذا نفسه يبطل قول من قال ان الاستطاعة هي بعض المستطيع سواء بسواء لان العرض لا يكون بعضاً للجسم وأما من قال ان الاستطاعة كل ما توصل به الى الفعل كالابرة والدلو والحبل وما أشبه ذلك فقوله فاسد تبطله المشاهدة لانه قد توجد هذه الآلات وتعدم صحة الجوارح فلا يمكن الفعل فان قالوا قد تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح ولا يمكن الفعل قلنا صدقتم وبوجود هذه الآلات تم الفعل الا ان لفظة الاستطاعة التي في معناها نتنازع هي لفظة قد وضعت في اللغة التي بها نتفاهم ونعبر عن مرادنا على عرض في المستطيع فليس لأحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها في اللغة برأيه من غير نص ولا اجماع ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ولم يصح تفاهم ابداً وقد علمنا

يقينا

به قوامه من الاغذية ولها ثلاث قوى المولدة والمربية والحافظة ويخدم الثلاث أربع قوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة (حكم ديمقراطيس) كان من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن ابن اسفنديار وهو وبقراط كانا في زمان واحد قبل أفلاطون وله آراء في الفلسفة وخصوصاً في مبادي الكون والفساد وكان أرطوطاليس يؤثر قوله على قول أستاذه أفلاطون الالهي وما أنصف قال ديمقراطيس ان الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالاصباغ ولكن الجمال الباطن لا يشبه به الا من هو له بالحقيقة وهو مخترعة ومنشأة وقال ليس ينبغي ان تعد نفسك من الناس ما دام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك وقال ليس ينبغي ان تمتحن الناس في وقت ذلتهم بل في وقت عزتهم وتملكهم وكما ان الكير يمتحن به الذهب كذلك الملك يمتحن به الانسان فيتبين خيره من شره وقال ينبغي ان تأخذ في العلوم بعد أن تنقي نفسك عن العيوب وتعودها الفضائل فانك ان لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلوم وقال من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ومن أعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه وقال لا ينبغي ان تعد النفع

يقيناً أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط في اللغة التي بها نتفاهم على حبل ولا على مهماز ولا على ابرة فان قالوا قد صح عن ائمة اللسان كابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ان الاستطاعة زاد وراحلة قيل لهم نعم قد صح هذا ولا خلاف بين احد له فهم باللغة أنهما عنيا بذلك القوة على وجود زاد وراحلة وبرهان ذلك ان الزاد والرواحل كثير في العالم وليس كونهما في العالم موجباً عندهما فرض الحج على ما لا يجدهما فصح ضرورة انهما عنيا بذلك القوة على احضار زاد وراحلة والقوة على ذلك عرض كما قلنا وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول ايضاً اذ ذكروا قول الله عز وجل * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم * لان هذا هو نص قولنا ان القوة عرض ورباط الخيل عرض فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين فاذ قد سقطت هذه الاقوال كلها وصح ان الاستطاعة عرض من الاعراض فواجب علينا معرفة ما تلك الاعراض فنظرنا ذلك بعون الله عز وجل وتأييده فوجدنا بالضرورة الفعل لا يقع باختيار الامن صحيح الجوارح التي يكون بها ذلك الفعل فصح يقيناً ان سلامة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ثم نظرنا سالم الجوارح لا يفعل مختاراً الا حتى يستضيف الى ذلك ارادة الفعل فعلمنا ان الارادة ايضاً محركة للاستطاعة ولا نقول ان الارادة استطاعة لان كل عاجز عن الحركة فهو مريد لها وهو غير مستطيع وقد علمنا ضرورة ان العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لانهما ضدان والضدان لا يجتمعان معاً ولا يمكن ايضاً ان تكون الارادة بعض الاستطاعة لانه كان يلزم من ذلك ان في تعاجز المريد استطاعة ما لان بعض الاستطاعة استطاعة وبعض العجز عجز ومحال ان يكون في العاجز عن الفعل استطاعة له البتة فالاستطاعة ليست عجزا فمن استطاع على شيء وعجز عن اكثر منه ففيه استطاعة على ما يستطيع عليه هي غير الاستطاعة التي فيه على ما استطاع عليه وبالله

الذي فيه الضرر العظيم نفعاً ولا الضرر الذي فيه النفع العظيم ضرراً ولا الحياة التي لا تحمد ان تعد حياة وقال مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرائحة وقال عالم معاند خير من جاهل منصف وقال ثمرة العزة التواني وثمرة التواني الشقاء وثمرة الشقاء ظهور البطالة وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن وقال يجب على الانسان أن يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من أنواع الخبث وقال لا تطمع أحداً ان يطأ عقبك اليوم فيطاؤك غدا وقال لا تكن حلواً جداً لئلا تبلع ولا مراً جداً لئلا تلفظ وقال ذنب الكلب يكسب له الطعام وفمه يكسب الضرب وكان بأثينية نقاش غير حاذق فأتى ديمقراطيس وقال جصص بيتك فأصوره قال صوره أولاً حتى أجصصه وقال مثل العلم مع من لا يقبل وان قبل لا يعلم كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوي به وقيل له لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد أذنيه قيل له لا تتكلم وضع يده على شفتيه قيل له لا تعلم قال لا أقدر انما أراد به ان البواطن لا تندرج تحت الاختيار فأشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان مضطر الحدوث

تعالى التوفيق ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لايقدر معه على الفعل اصلا فعلمنا ان هاهنا شيئاً آخر به تم الاستطاعة ولا بد وبه يوجد الفعل فعلمنا ضرورة ان هذا الشئ اذ هو تمام الاستطاعة ولا تصح الاستطاعة الا به فهو باليقين قوة اذ الاستطاعة قوة وأن ذلك الشئ قوة بلا شك فقد علمنا انه ما اتى به من عند الله تعالى لانه تعالى مؤتي القوى اذ لايمكن ذلك لاحد دونه عز وجل فصح ضرورة ان الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع وهذان الوجهان قبل الفعل وقوة اخرى من عند الله عز وجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعها يكون الفعل وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان على صحة هذا القول اجماع الامة كلها على سؤال الله تعالى التوفيق والاستعاذة به من الخذلان فالقوة التي ترد من الله تعالي على العبد فيفعل بها الخير تسمى بالاجماع توفيقا وعصمة وتأييدا والقوة التي ترد من الله تعالى فيفعل العبد بها الشر تسمى بالاجماع خذلانا والقوة التى ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها ماليس طاعة ولا معصية تسمى عونا او قوة او حولا وتبين من صحة هذا صحة قول المسلمين لاحول ولا قوة الا بالله والقوة لاتكون لاحد البتة فعل الا بها فصح انه لاحول ولا قوة لاحد الا بالله العلى العظيم وكذلك يسمى تيسيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد وافقنا جميع المعتزلة على ان الاستطاعة فعل الله عز وجل وانه لايفعل احد خيرا ولا شرا الا بقوة اعطاه الله تعالى اياها الا انهم قالوا يصلح بها الخير والشر معاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجملة القول في هذا بان عناصر الاخبار ثلاثة وهو ممتنع او واجب او ممكن بينهما هذا أمر بضرورة الحس والتمييز فاذا الامر كذلك فان عدمت صحة الجوارح كان له مانع الى الفعل واما الصحيح الجوارح المرتفع الموانع فقد يكون منه الفعل وقد لا يكون

كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه أكثر منه بسائر جوارحه فلهذا ما لم يستطع ان يتصرف في أصله لاستحالة أن يكون فاعل أصله ولهذا الكلام شرح آخر وهو انه أراد التمييز بين العقل والحس فان الادراك العقلي لا يتصور الانفكاك عنه واذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والاعراض عنه بخلاف الادراك الحسي وهذا يدل على ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيز البدن وقد قيل ان الاختيار في الانسان مركب من انفعالين أحدهما انفعال نقيصة والثاني انفعال تكامل وهو الى الانفعال الاول أميل بحكم الطبيعة والمزاج والآخر ضعيف فيه الا اذا وصل اليه مدد من جهة العقل والتمييز والنطق فينشيء الرأي الثاقب ويحدث الحزم الصائب فيحب الحق ويكره الباطل فمتى وقف هذا المدد من القوة الاختيارية كانت الغلبة للانفعال الآخر ولولا يركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه الى هذين الوجهين لتأتي للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ولا ترجح ولا هنية ولا تربح ولا استشارة ولا استخارة وهذا الرأي الذي رآه هذا الحكيم لم أجد أحداً أبدله ولا عثر عليه أو حكم

فهذه

فهذه هي الاستطاعة الموجودة قبل الفعل برهان ذلك قول الله عزوجل حكاية عن القائلين *لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون* فاكذبهم الله في انكارهم استطاعة الخروج قبل الخروج وقوله تعالى *ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا* فلو لم تكن هنا استطاعة قبل فعل المرء الحج لما لزم الحج الا من حج فقط ولما كان احد عاصياً بترك الحج لانه ان لم يكن مستطيعاً للحج حتى يحج فلا حج عليه ولا هو مخاطب بالحج وقوله تعالى *فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً* فلو لم يكن على المظاهر العائد لقوله استطاعته على الصيام قبل ان يصوم لما كان مخاطباً بوجوب الصوم عليه اذا لم يجد الرقبة اصلا ولكان حكمه مع عدم الرقبة وجوب الاطعام فقط وهذا باطل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بايعه فمن لم يستطع فقاعدا فمن لم يستطع فعلى جنب وهذا اجماع متيقن لا شك فيه فلو لم يكن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لما كان احد مأموراً بالصلاة قبل ان يصليها كذلك ولكان معذوراً ان صلى قاعداً وعلى جنب بكل وجه لانه اذا صلى كذلك لم يكن مستطيعاً للقيام وهذا باطل وقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم فلو لم يكن هاهنا استطاعة لشيء مما امرنا به ان نفعله لما لزمنا شيء مما امرنا به مما لم نفعله ولكنا غير عصاة بالترك لاننا لم نكلف بالنص الا ما استطعنا وقوله صلى الله عليه وسلم اتستطيع ان تصوم شهرين قال فلو لم يكن احد مستطيعاً للصوم الا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه عليه السلام محالاً وحاشا له من ذلك ومما يتبين صحة هذا وان المراد في كل ما ذكر ناصحة الجوارح وارتفاع الموانع قول الله تعالى *ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون* فنص تعالى على ان في عدم السلامة بطلان الاستطاعة وان وجود السلامة

به وأومى اليه (حكم أوقليدس) وهو أول من تكلم في الرياضيات وأفراده علماً نافعاً في العلوم منقحاً للخاطر ملقحاً للفكر وكتابه معروف باسمه وذلك حكمته وقد وجدنا له حكما متفرقة فأوردناها على سوق مرامنا وطرد كلامنا فمن ذلك قوله الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية وقال له رجل يهدده اني لا آلوا جهدا في ان أفقدك حياتك قال أوقليدس وانا لا آلوا جهدا في أن أفقدك غضبك وقال كل أمر تصرفنا فيه وكانت النفس الناطقة هي المقدرة له فهو داخل في الافعال الانسانية ومالم تقدره النفس الناطقة فهو داخل في الافعال البهيمية قال ومن أراد أن يكون محبوبه محبوبك وافقك على ما يحب فاذا اتفقتما على محبوب واحد صرتما الى الاتفاق وقال افزع الى ما يشبه الرأي العام التدبيري العقلي وانهم ما سواه وقال ما أستطيع على خلعه ولم يضطر الى لزومه المرء فلم الاقامة على مكروهه وقال الامور جنسان أحدهما يستطاع خلعه والمصير الى غيره والآخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه والاغتمام والاسف على كل واحد منهما غير سائغ في الرأي وقال ان كانت الكائنات من المضطرة فما الاهتمام

بخلاف ذلك فصح ان سلامة الجوارح استطاعة واذا صح هذا فبيقين ندري ان سلامة الجوارح يكون بها الفعل وضده والعمل وتركه والطاعة والمعصية لان كل هذا يكون بصحة الجوارح فان قال قائل فان سلامة الجوارح عرض والعرض لا يبقى وقتين قيل له هذه دعوى بلا برهان والايات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبة ان هذه الاستطاعة من سلامة الجوارح وارتفاع الموانع موجودة قبل الفعل ثم لو كان ماذكرتم ما كان فيه دفع لما قاله عز وجل من ذلك ثم وجدنا الله تعالى قدقال * وكانوا لا يستطيعون سمعا * وقال تعالى حاكيا قول الخضر لموسى عليه السلام * انك لن تستطيع معي صبرا * وقال * ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا * وعلمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف قال الله تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فيقنا ان الاستطاعة التى اثبتها الله تعالى قبل الفعل هي غير الاستطاعة التي نفاها مع الفعل ولا يجوز غير ذلك البتة فاذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنا شيئان أحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثاني لا يكون الا مع الفعل وهو القوة الواردة من الله تعالى بالعون والخذلان وهو خلق الله تعالى للفعل فيمن ظهر منه وسمى من اجل ذلك فاعلا لما ظهر منه اذ لا سبيل الى وجود معنى غير هذا البتة فهذا هو حقيقة الكلام في الاستطاعة بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والاجماع وضرورة الحس وبديهة العقل فعلى هذا التقسيم بينا الكلام في هذا الباب فاذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعل فانما نعني بذلك الاستطاعة التي بها يقع الفعل ويوجد واجبا ولا بد وهي خلق الله تعالى للفعل في فاعله واذا اثبتنا الاستطاعة قبل الفعل فانما نعني بها صحة الجوارح وارتفاع الموانع التي يكون الفعل بها ممكنا متوهما لا واجبا ولا ممتنعا وبها يكون المرء مخاطبا مكلفا مامورا منهيا وبعدمها يسقط عنه الخطاب والتكليف ويصير الفعل منه

تمنعا

بالمضطر اذ لا بد منه وان كانت غير مضطرة فلم أنههم فيما يجوز الانتقال عنه وقال الصواب اذا كان عامياً كان أفضل لان الخاص يتم بالتحري وتلتاء أمر ما وقال العمل على الانصاف ترك الاقامة على المكروه وقال اذا لم يضطرك الى الاقامة عليه شيء فان أقمت رجعت باللائمة عليك وقال الحزم هو العمل على ان لا تثق بالامور التي في الامكان غيرها وتغيرها وقال كل فائت وجدت في الامور منه عوضاً وأمكنك اكتساب مثله فما الاسف على فوته وان لم يكن منه عوض ولا يصادف له مثل فما الاسف على ما لا سبيل الى مثله ولا امكان في دفعه وقال لما علم العاقل انه لا ثقة بشيء من أمر الدنيا التي منها ما منه بد واقتصر على ما لا بد منه وعمل بما يوثق به بأبلغ ما قدر عليه وقال اذا كان الامر ممكناً فيه التصرف فوقع بحال ما تحب فاعتده ربحاً وان وقع بحال ما تكره فلا تحزن فانك قد عملت فيه على غير ثقة بوقوعه على ما تحب وقال لم أرى أحداً الا ذاماً للدنيا وأمورها اذ هي على ما هي من التغير والتنقل فالمستكثر منها يلحقه أن يكون أشد اتصالا بما يذم وانما يذم الانسان ما يكره

ممتنعا ويكون عاجزا عن الفعل
﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون الله عز وجل فيما اعترضت به المعتزلة الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولا بد فنقول وبالله تعالى التوفيق انهم قالوا اخبرونا عن الكافر المأمور بالايمان أهو مامور بما لا يستطيع ام بما يستطيع فجوابنا وبالله تعالى نتأيد انا قد بينا آنفا ان صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه وغير مستطيع ما لم يفعل الله عز وجل فيه ما به يكون تمام استطاعته ووجود الفعل فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه آخر وهذا مع انه نص القرآن كما اوردنا فهو ايضاً مشاهد كالبناء المجيد فهو مستطيع بظاهر حاله ومعرفته بالبناء غير مستطيع للآلات التي لا يوجد البناء الا بها وهكذا في جميع الاعمال وايضاً فقد يكون المرء عاصيا لله تعالى في وجه مطيعا له في آخر مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت فان قالوا فقد نسبتم لله تكاليف ما لا يستطاع قلنا هذا باطل ما نسبنا اليه تعالى الا ما اخبر به عن نفسه انه لا يكلف أحدا الا ما يستطيع بسلامة جوارحه وقد يكلفه مالا يستطيع في علم الله تعالى لان الاستطاعة التي بها يكون الفعل ليست فيه بعد ولا يجوز ان يطلق على الله تعالى أحد القسمين دون الاخر واما قولهم ان هذا كتكليف المقعد الجرى والاعمى النظر وادراك الالوان والارتفاع الى السماء فان هذا باطل لان هؤلاء ليس فيهم شئ من قسمى الاستطاعة فلا استطاعة لهم اصلا واما الصحيح الجوارح ففيه احد قسمي الاستطاعة وهو سلامة الجوارح ولولا ان الله عز وجل آمننا بقوله تعالى ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ لكان غير منكر ان يكلف الله تعالى الاعمى ادراك الالوان والمقعد الجرى والطلوع الى السماء ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم ولله تعالى ان يعذب من شاء دون ان يكلفه وان ينعم من شاء

والمستقل مستقل مما يكره واذا استقل مما يكره كان ذلك أقرب الى ما يحب وقال أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء فعله وقال الجشع بين شرين والاعدام يخرجه الى التسفه والجدة تخرجه الى الشر وقال لا تمن أخاك على أخيك في خصومه فانهما يصطلحان على قليل وتكتسب المذمة (حكم بطليوس) وهو صاحب المجسطي الذي تكلم في هيئة الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل فمن حكمه انه قال ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهي وأحسن منه أن لا يشتهي الى ما ينبغي وقال الحكيم الذي اذا صدق صبر لا الذي اذا قذف كظم وقال لمن يغني الناس و يسأل أشبه بالملوك ممن يستغنى بغيره و يسأل وقال لأن يستغنى الانسان عن الملك اكرم له من أن يستغنى به وقال موضع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب من ظهر الحمار وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقمون فيه و يثلبونه فهز رمحا كان بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وأن يتباعدوا عنه قيد رمح ثم يقولوا ما أحبوا قال العلم في موطنه كالذهب في معدنه لا يستنبط الا بالدؤوب والتعب والكد والنصب

دون أن يكلفه كما رزق من شاء العقل وحرمه الجماد والحجارة وسائر الحيوان وجعل عيسى بن مريم نبيا في المهد حين ولادته وشد على قلب فرعون فلم يؤمن قال تعالى * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * وليس في بداية العقول حسن ولا قبيح لعينه ألبتة وقالت المعتزلة متي اعطى الانسان الاستطاعة أقبل وجود الفعل فان كان قبل وجود الفعل قالوا فهذا قولنا وان كان حين وجود الفعل فما حاجتنا اليها فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الاستطاعة قسمان كما قلنا فاحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثاني مع الفعل وهو خلق الله للفعل في فاعله ولولاهما لم يقع الفعل كما قال الله عز وجل ولو كانت الاستطاعة لا تكون الا قبل الفعل ولا بد ولا تكون مع الفعل اصلا كما زعم ابو الهذيل لكان الفاعل اذا فعل عديم الاستطاعة وفاعلا فعلا لا استطاعة له على فعله حين فعله واذ لا استطاعة له عليه فهو عاجز عنه فهو فاعل عاجز عما يفعل معا وهذا تناقض ومحال ظاهر

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولهم الزامات سخيفة هى لازمة لهم كما تلزم غيرهم سواء بسواء منها قولهم متى احرقت النار العود افي حال سلامته ام وهو غير محترق فان كانت احرقته في حال سلامته فهو اذا محرق غير محرق وان كانت احرقته وهو محرق فما الذي فعلت فيه وكسؤالهم متى كسر المرء العود أ كسره وهو صحيح فهو اذا مكسور صحيح او كسره وهو مكسور فما الذي احدث فيه وكسؤالهم متى اعتق المرء عبده افي حال رقه فهو حر عبد معا او في حال عتقه فاي معنى لعتقه اياه ومتى طلق المرء زوجه اطلقها وهي غير مطلقة فهي مطلقة لا مطلقة معاً ام طلقها وهي مطلقة فما الذي اثر فيها طلاقه ومتى مات المرء في حياته مات ام وهو ميت ومثل هذا كثير

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذه سفسطة وسؤالات سخيفة مموهة والحق

ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار وقال بطليوس دلالة القمر في الايام أقوى ودلالة الشمس والزهرة في الشهور أقوى ودلالة المشتري وزحل في السنين أقوى ومما ينقل عنه انه قال نحن كائنون في الزمن الذي يأتي بعد هذا زمن الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقي ذلك الكون والوجود في ذلك العالم (حكماء أهل لمطال وهم خروسيس وزينون) قولهما الخالص ان الباري الاول واحد محض هو هوان فقط أبدع العقل اوالنفس دفعة واحدة ثم أبدع جميع ماتحتهما بتوسطهما وفي بدو ما أبدعهما أبدعهما جوهرين لا يجوز عليهما الدثور والفناء وذكروا أن للنفس جرمين جرم من النار والهواء وجرم من الماء والارض فالنفس متحدة بالجرم الذي من النار والهواء والجرم الذي من النار والهواء متحد بالجرم الذي من الماء والارض فالنفس تظهر أفاعيلها في ذلك الجرم وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا قدر مكاني وباصطلاحنا سميناه جسماً وأفاعيل النفس فيها نيرة بهية ومن الجسم الى الجرم ينحدر النور والحسن والبهاء ولما ظهرت أفاعيل النفس عندنا بمتوسطين كانت أظلم ولم يكن لها نور شديد

فيها ان تفريق النار اجزاء ما عملت فيه هو المسمى احراقا وليس للاحراق شيء غير ذلك فقولهم هل احرقت وهو محرق تخليط لان فيه ايهاما ان الاحراق غير الاحراق وهذه سخافة وكذلك كسر العود انما هو اخراجه عن حال الصحة والكسر نفسه هو حال العود حينئذ وكذلك اخراج العبد من الرق الى عتقه هو عتقه ولا مزيد ليست له حال اخرى وكذلك خروج المرأة من الزوجية الى الطلاق هو تطليقها نفسه وكذلك فراق الروح للجسد وهو الاماتة والموت نفسه ولا مزيد وليست هاهنا حال اخرى وقع الفعل فيها وبالله تعالى التوفيق •

﴿ الكلام في ان اتمام الاستطاعة لا يكون الا مع الفعل لا قبله ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ يقال لمن قال ان الاستطاعة كلها ليست الا قبل الفعل وانها قبل الفعل بتمامها وتكون أيضاً مع الفعل اخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل ان يؤمن في حال كفره على الايمان قدرة تامة ام لا وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة في حال تركه وعن الزاني هل يقدر في حال زناه على ترك الزنا بان لا يكون منه زنا اصلا ام لا وبالجملة فالاوامر كلها انما هي امر بحركة او امر بسكون أوامر باعتقاد اثبات شيء ما او امر باعتقاد ابطال شيء ما وهذا كله يجمعه فعل أو ترك فاخبرونا هل يقدر الساكن المأمور بالحركة على الحركة حال السكون أو يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون في حال الحركة وعن معتقد ابطال شيء ما وهو مأمور باعتقاد اثباته هل يقدر في حال اعتقاده ابطاله على اعتقاد اثباته ام لا وعن معتقد اثبات شيء ما وهو مأمور باعتقاد ابطاله هل يقدر في حال اعتقاده اثباته على اعتقاد ابطاله ام لا وعن المأمور بالترك وهو فاعل ما امر بتركه أيقدر على تركه في حال فعله فيكون فاعلا لشيء تاركا لذلك الشيء معاً ام لا فان قالوا نعم هو قادر على ذلك كابروا العيان وخالفوا المعقول والحس واجازوا كل طامة

وذكروا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية استصحبت الاجزاء النارية والهوائية وهي جسمها في ذلك العالم جسماً روحانياً نورانياً علوياً طاهراً مهذباً من كل ثقل وكدر وأما الجرم الذي من الماء والارض فيدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوي لان ذلك الجسم خفيف لطيف لا وزن له ولا تلمس وانما يدرك من البصر فقط كما يدرك الاشياء الروحانية من العقل فالطف ما يدرك الحس البصري من الجواهر النفسانية وألطف ما يدرك من ابداع الباري تعالى الآثار التي عند العقل وذكروا ان النفس انما هي مستطيعة ما خلاها الباري تعالى أن تفعل واذا ربطها فليست بمستطيعة كالحيوان الذي اذا خلاه مدبره أعني الانسان كان مستطيعاً في كل ما دعا اليه وتحرك اليه واذا ربطه لم يقدر حينئذ أن يكون مستطيعاً وذكروا ان دنس النفس وأوساخ الجسد انما تكون لازمة للانسان من جهة الاجزاء وأما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل لانه اذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزئية والعقل الجزئي من العقل الكلي غلظت وصارت من حيز أجرم لانها كلما سفلت اتحدت بالجرم

من كون المرء قاعداً قائماً معاً ومؤمناً بالله كافراً به معاً وهذا اعظم ما يكون من المحال الممتنع وان قالوا انه لا يقدر قدرة تامة يكون بها الفاعل لشيء هو فاعل لخلافه قالوا الحق ورجعوا الى انه لا يستطيع احد استطاعة تامة يقع بها الفعل الا حتى يفعله وكل جواب اجابوا به هاهنا فانما هو ايهام ولواذ ومدافعة بالراح لانه الزام ضروري حسي متيقن لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قالوا لسنا نقول انه يقدر على ان يجمع بين الفعلين المتضادين معاً ولكننا قلنا انه قادر على ان يترك ما هو فيه ويفعل ما امر به قيل لهم هذا هو نفسه الذي اردنا منكم وهو انه لا يقدر قدرة تامة ولا يستطيع استطاعة تامة على فعل ما دام فاعلا لما ينافيه فاذا ترك كل ذلك وشرع فيما امر به فحينئذ تمت قدرته واستطاعته لا بد من ذلك وهذا هو نفس ما موهوا به في سؤالهم لنا هل امر الله تعالى العبد بما يستطيع قبل ان يفعله ام بما لا يستطيع حتى يفعله وهذا لهم لازم لانهم شنعوه وعظموه وانكروه ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك الزاما صحيحاً فقبحه عائد عليهم وانما يلزم الشيء من يصححه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد اجاب في هذه المسألة عبد الله بن احمد الكعبي البلخي احد رؤساء الأصلح من المعتزلة بان قال انا لا نختلف في ان الله عز وجل قادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن وليس يوصف بالقدرة على ان يجعله ساكناً متحركاً معاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس كما قال الجاهل الملحد فيما وصف الله تعالى به بل الله تعالى قادر على ان يجعل الشيء ساكنا متحركا معاً في وقت واحد من وجه واحد ولكن كلام البلخي هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء(١) من ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال ويقال لهم لم لا

(١) قوله الكفرة الخ تقدم له هذا الكلام مراراً وتقدم لنا ان هذه مقالة الاشعرية وانهم قالوها فراراً من المحال لكل لو تعلقت القدرة بكل شي حتى

من حيز الماء والارض وهما ثقيلان يذهبان سفلا وكلما اتصلت النفس الجزئية بالنفس الكلية والعقل الجزئي بالعقل الكلي ذهبت علوا لانهما تتحد بالجسم من حيز النار والهواء وكلاهما لطيفان يذهبان علوا وهذان الجرمان مركبان وكل واحد منهما من جوهرين واجتماع هذين الجرمين يوجب الاتحاد شيئاً واحداً عند الحسن البصري فأما عند الحواس الباطنة وعند العقل فليست شيئاً واحداً في هذا العالم مستبطن في الجرم لانه أشد روحانية ولان هذا العالم ليس مشاكلاً ولا مجانساً والجرم مشاكل ومجانس لهذا العالم فصار الجرم أظهر من الجسم لمجانسة هذا العالم وتركيبه وصار الجسم مستبطناً في الجرم لان هذا العالم غير مشاكل له وغير مجانس فأما في ذلك العالم فالجسم ظاهر على الجرم لان ذلك العالم عالم الجسم لانه مجانس ومشاكل له ويكون لطيف الجرم الذي من لطيف الماء والارض المشاكل لجوهر النار والهواء مستبطناً في الجسم كما كان الجسم مستبطناً في هذا العالم في الجرم فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا كان ذلك الجسم باقياً دائماً لا يجوز عليه الدثور والفناء ولذته دائمة لا تملها النفوس ولا العقول

يوصف بالقدرة على ذلك ألان له قدرة على ذلك ولا يوصف بها ام لانه لاقدرة له على ذلك ولا محيد لهم عن هذا وهذه طائفة جعلت قدرة الله تعالى متناهية بل قطعوا قطعا بانه تعالى لايقدر على الشيء حتي يفعله وهذا كفر مجرد لاخفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال للمعتزلة ايضا انتم تقرون ايضا معنا بان الله تعالى لم يزل عليما بان كل كائن فانه سيكون على ماهو عليه اذا كان ولم يزل الله تعالى يعلم ان فلانا سيطاء فلانة في وقت كذا فتحمل منه بولد يخلقه الله تعالى من منيهما الخارج منهما عند جماعه اياها وانه يعيش ثمانين سنة ويملك ويفعل ويصنع فاذا قلتم ان ذلك الفلان يقدر قدرة تامة على ترك ذلك الوطأ الذي لم يزل الله تعالى يعلم انه سيكون وانه يخلق ذلك الولد منه فقد قطعتم بانه قادر على ان يمنع الله من خلق ماقد علم انه سيخلقه وانه قادر قدرة تامة على ابطال علم الله عز وجل وهذا كفر ممن اجازه فان قال قائل فانكم انتم تطلقون ان المرء مستطيع قبل الفعل لصحة جوارحه فهذا يلزمكم قلنا هذا لايلزمنا لاننا لم نطلق ان له قدرة تامة على ذلك اصلا بل قلنا انه لايقدر على ذلك قدرة تامة البتة ومعنى قولنا انه مستطيع بصحة جوارحه اي انه متوهم منه ذلك لوكان ونحن لم نطلق الاستطاعة الا على هذا الوجه حيث اطلقها الله عز وجل فان قالوا ان الله تعالى قادر على كل ذلك ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذي لم يزل قلنا وهذا ايضا مما تكلمنا فيه آنفا بل الله تعالى قادر على كل ذلك بخلاف خلقه على ماقد مضى كلامنا فيه وبالله تعالى التوفيق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد نص الله تعالى على ما قلنا بقوله عز وجل

الواجب والمستحيل لكان الواجب ممكنا لان من دخل تحت القدرة لا بد ان يكون ممكنا حتى تغيره القدرة من حال الى حال وكذا شريك الباري لايكون مستحيلا بل ممكنا وهذا من أشنع المقالات فليتأمل اه مصححه

ولا ينفذ ذلك السرور والحبور ونقلوا عن أفلاطون أستاذهم لما كان الواحد لا بدء له صار نهاية كل متناه وانما صار الواحد لا نهاية له لانه لا بدء له لا لانه لا نهاية له وقال ينبغي للمرء أن ينظر كل يوم الى وجهه في المرآة فان كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين وان كان حسنا لم يشنه بقبيح وقال انك لن تجد الناس الا رجلين اما مؤخرا في نفسه قدمه حظه أو مقدما في نفسه أخره دهره فارض بما أنت فيه اختيارا والا رضيت اضطرارا * الحكماء الذين تلوهم في الزمان وخالفوهم في الرأي مثل ارسطوطاليس ومن تابعه على رأيه مثل الاسكندر الرومي والشيخ اليوناني وديوجانس الكلبي وغيرهم وكلهم على رأي ارسطوطاليس في المسائل التي نوردها عن القدماء ونحن نذكر من آرائه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التي شرعت فيها الاوائل وخالفهم المتأخرون وخصوها في ستة عشر مسئلة رأى (ارسطوطاليس) بن نيقوماخوس من أهل اسطاخوا وهو المقدم المشهور والمعلم الاول والحكيم المطلق عندهم وانما ولد في أول سنة من ملك ازدشير بن دارا فلما أتت عليه سبعة عشر سنة أسلمه ابوه الى أفلاطون

سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون*الى قوله*ولو ارادوا الخروج لاعدّوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين*فاكذبهم الله تعالى في نفيهم عن انفسهم الاستطاعة التي هي صحة الجوارح وارتفاع الموانع ثم نص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا امر تكوين لا امر بالقعود لانه تعالى ساخط عليهم لقعودهم وقد نص تعالى على انه*انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون*فقد ثبت يقينا انهم مستطيعون بظاهر الامر بالصحة في الجوارح وارتفاع الموانع وان الله تعالى كون فيهم قعودهم فبطل ان يتم استطاعتهم لخلاف فعلهم الذي ظهر منهم وقال عز وجل*من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * فبين عز وجل بيانا جليا ان من اعطاه الهدى اهتدى ومن اضله فلا يهتدي فصح يقينا أن بوقوع الهدى له من الله تعالى وهو التوفيق يفعل العبد مايكون به مهتديا وان بوقوع الاضلال من الله تعالى وهو الخذلان وخلق ضلال العبد يفعل المرء مايكون به ضالا فان قال قائل معنى هذا من سماه الله مهتديا ومن سماه ضالا قيل له هذا باطل لان الله تعالى نصّ على ان من اضله الله فلن تجد له وليا مرشدا فلو اراد الله تسميته كما زعمتم لكان هذا القول منه عز وجل كذبا لان كل ضال فله اولياء على ضلاله يسمونه مهتديا وراشدا وحاشا لله من الكذب فبطل تأويلهم الفاسد وصح قولنا والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال الله تعالى مخبرا عن الخضر الذي آتاه الله تعالى العلم والحكمة والنبوة حاكياً عن موسى عليه السلام وفتاه*فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً*وقال تعالى مخبراً عنه ومصدقاً عنه وما فعلته عن أمري نصح ان كل ما قال الخضر عليه السلام فمن وحي الله عز وجل ثم أخبر عز وجل بان الخضر قال لموسى

فمكث عنده نيفا وعشرين سنة وانما سموه بالمعلم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمها حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعاني التي في الذهن نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر وهو واضع لا بمعنى انه لم يكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها بل بمعنى انه جرد آلة عن المادة فقومها تقريبا الى أذهان المتعلمين حتى يكون كالميزان عندهم يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطأ والحق بالباطل الا انه أجمل القول اجمال الممهدين وفصله المتأخرون تفصيل الشارحين وله حق السبق وفضيلة التمهيد وكتبه في الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة ونحن اخترنا في نقل مذهبه شرح ثامسطيوس الذي اعتمده مقدم المتأخرين ورئيسهم أبو علي بن سينا وأوردنا نكتا من كلامه في الالهيات وأحلنا باقي مقالاته في المسائل على نقل المتأخرين اذ لم يخالفوه في رأي ولا نازعوه في حكم كالمقلدين له المتهالكين عليه وليس الامر على مامالت اليه ظنونهم*المسئلة الاولى في اثبات واجب الوجود الذي هو المحرك الاول وقال في كتاب

عليه السلام * انك لن تستطيع معي صبرا * فلم ينكر الله تعالى كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام لكن أجابه بقوله * ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً * فلم يقل له موسى عليه السلام اني مستطيع للصبر بل صدق قوله في ذلك اذ أقره ولم ينكره ورجا ان يجد الله له استطاعة على الصبر فيصبر ولم يوجبه موسى عليه السلام أيضاً لنفسه الا أن يشاء الله تعالى ثم كرر عليه الخضر بعد ذلك مرات انه غير مستطيع للصبر اذ لم يصبر فلم ينكر ذلك موسى عليه السلام فهذه شهادة ثلاثة انبياء محمد وموسى والخضر صلى الله عليه وسلم واكبر من شهادتهم شهادة الله عز وجل بتصديقهم في ذلك اذ قد نصه الله تعالى علينا غير منكر له بل مصدقاً لهم وهذا لا يرده الا مخذول وقال عز وجل * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً * فنص تعالى نصاً جلياً على انهم كانوا لا يستطيعون السمع الذي أمروا به وانهم مع ذلك كانت أعينهم في غطاء عن ذكر الله عز وجل ومع ذلك استحقوا على ذلك جهنم وكانوا في ظاهر الامر مستطيعين بصحة جوارحهم وهذا نص قولنا بلا تكلف والحمد لله رب العالمين على هداه لنا وتوفيقه ايانا لا اله الا هو وقال تعالى * اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * فنفى الله عز وجل عنهم استطاعة شيء من السبل غير سبيل الضلال وحده وفي هذا كفاية لمن عقل وقال تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * فنص تعالى على إن من لم يأذن له في الايمان لم يؤمن وان من أذن له في الايمان آمن وهذا الاذن هو التوفيق الذي ذكرنا فيكون به الايمان ولا بد وعدم الاذن هو الخذلان الذي ذكرنا نعوذ بالله منه وقال تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام ومصدقاً له اذ يقول * والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن

اثولوجيا من حرف اللام ان الجوهر يقال على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك قال انا وجدنا المتحركات على أثر اختلاف جهاتها وأوضاعها ولا بد لكل متحرك من محرك فاما ان المحرك يكون متحركا فيتسلسل القول ولا ينحصر والا فيستند الى محرك غير متحرك ولا يجوز أن يكون فيه شيء ما بالقوة فانه يحتاج الى شيء آخر يخرجه من القوة الى الفعل فالفعل اذاً أقدم على ما بالقوة وكل جائز وجوده ففي طبيعته معنى ما بالقوة وهو الامكان والجواز فيحتاج الى واجب به يجب وكذلك كل متحرك فيحتاج الى محرك فواجب الوجود بذاته ذات وجودها غير مستفاد من وجود غيره وكل موجود فوجوده مستفاد عنه بالفعل وجائز الوجود له في نفسه وذاته الامكان وذلك اذا أخذته بشرط علته فله الوجوب واذا أخذته بشرط لا علته الامتناع * المسئلة الثانية في ان واجب الوجود واحداً أخذ ارسطوطاليس يوضح ان المبدأ الاول واحد من حيث ان العالم واحد ويقول ان الكثرة بعد الاتفاق في الحد ليست هي كثرة العنصر وأما ماهو بالآنية الاولى فليس له عنصر لانه تمام قائم بالفعل لا يخالط القوة

وا كن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن*فنص تعالى على ان رسوله صلى الله عليه وسلم ان لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا وجهل وانه تعالى صرف الكيد عنه فسلم وهذا نص جلي على انه اذا وفقه اعتصم واهتدى وقال تعالى حا كياً عن ابراهيم خليله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومصدقاً له*لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين* فهذا نص على ان من أعطاه الله عز وجل قوة الايمان آمن واهتدى وان من منعه تلك القوة كان من الضالين وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى* واصبر وما صبرك الا بالله * فنص تعالى على انه أمره بالصبر ثم أخبره انه لا صبر له الا بعون الله تعالى فاذا أعانه بالصبر صبر وقال تعالى *ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل*وهذا نص جلي على ان من أضله الله تعالى بالخذلان له فلا يكون مهتدياً وقال تعالى* واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً*فهذا نص لا اشكال فيه على ان الله عز وجل منعهم ان يفقهوه فان قال قائل انما قال تعالى انه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون ولذلك قال تعالى*وما يضل به الا الفاسقين*وكذلك يطبع الله على قلوب الكافرين*قيل له وبالله تعالى التوفيق لو صح لك هذا التأويل لكان حجة عليك لانه تعالى قد منعهم للتوفيق وسلط عليهم الخذلان وأضلهم وطبع على قلوبهم فاجعله كيف شئت فكيف وليس ذلك على ما تأولت ولكن الآيات ظواهرها وعلى ما يقتضيه لفظها دون تكلف هو ان الله تعالى لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين حين أضلهم لا قبل ان يضلهم وكذلك انما صاروا لا يؤمنون حين جعل بينهم وبينه حجاباً وحين جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم الوقر لا قبل ذلك وانما صاروا كافرين حين طبع على قلوبهم لا قبل ذلك وقال تعالى*ولولا ان ثبتناك لقد

فاذا المحرك الاول واحد بالكلية والعدد أي الاسم والذات قال فمحرك العالم واحد لان العالم واحد هذا نقل ثامسطيوس وأخذ من نصر مذهبه يوضح ان المبدأ الاول واحد من حيث انه واجب الوجود لذاته قال ولو كان كثير الحمل واجب الوجود عليه وعلى غيره بالتواطؤ فيشملهما جنسا وينفصل أحدهما عن الآخر نوعا فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق أجزاء المركب على المركب سبقا بالذات فلا يكون واجبا بذاته ولانه لو لم يكن هو بعينه لذاته لا لشيء عينه بل أمر خارج عينه فكان واجب الوجود بذلك الامر الخارج فلم يكن واجبا بذاته هذا خلف * المسئلة الثالثة في ان واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعاقل ومعقول لذاته عقل من غيره أولم يعقل اما انه عقل فلانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية فلا يحتجب ذاته عن ذاته واما انه عقل لذاته فلانه مجرد لذاته واما انه معقول لذاته فلانه غير محجوب عن ذاته بذاته أو بغيره قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شيء فهو يعقل العالم العقلي دفعة واحدة من غير احتياج الى انتقال وتردد من معقول الى معقول وانه ليس

كدت تركن اليهم شيئاً قليلا* فنص تعالى على انه لولا ان ثبت نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوفيق لركن اليهم فانما يثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ثبته الله عز وجل لا قبل ذلك ولو لم يعطه التثبيت وخذله لركن اليهم وضل واستحق العذاب على ذلك ضعف الحياة وضعف الممات فتباً لكل مخذول يظن في نفسه الخسيسة انه مستغن عما افتقر اليه محمد صلى الله عليه وسلم من توفيق الله وتثبيته وانه قد استوفى من الهدى مالا مزيد عليه وانه ليس عند ربه أفضل مما أعطاه بعد ولا أكثر وقد أمرنا عز وجل ان نقول* إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين* فنص تعالى على امرنا بطلب العون منه وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين فلو لم يكن ها هنا عون خاص من آتاه الله إياه اهتدى ومن حرمه إياه وخذله ضل لما كان لهذا الدعاء معنى لان الناس كلهم كانوا يكونون معانين منعماً عليهم مهديين وهذا بخلاف النص المذكور وقال تعالى* ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم* فنص تعالى على انه ختم على قلوب الكافرين وان على سمعهم وابصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى ابصارهم الا الذي ختم على قلوبهم عز وجل وهذا هو الخذلان الذي ذكرنا ونعوذ بالله منه وهذا نص على انهم لا يستطيعون الايمان ما دام ذلك الختم على قلوبهم والغشاوة على ابصارهم واسماعهم فلو ازالها تعالى لآمنوا الا ان يعجزوا ربهم عز وجل عن ازالة ذلك فهذا خروج عن الاسلام وقال تعالى* ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا* فنص تعالى كما ترى على انه من لم يتفضل عليه ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة فصح ان التوفيق به يكون الايمان وان الخذلان به يكون الكفر والعصيان وهو اتباع الشيطان ومعنى قوله

يعقل الاشياء على انها أمور خارجة عنه فيعقلها منه كحالنا عند المحسوسات بل يعقلها من ذاته وليس كونه عاقلاً وعقلا بسبب وجود الاشياء المعقولة حتى يكون وجودها قد جعله عقلاً بل الامر بالعكس أي عقله للاشياء جعلها موجودة وليس للاول شيء يكمله فهو الكامل لذاته المكمل لغيره فلا يستفيد وجوده من وجود كالاً وأيضاً فانه لو كان يعقل الاشياء من الاشياء لكان وجودها متقدماً على وجوده ويكون جوهره في نفسه في قوامه وطباعه ان يقبل معقولات الاشياء فيكون في طباعه بالقوة من حيث يكمل بما هو خارج عنه حتى يقال لولا ما هو خارج عنه لم يكن له ذلك المعنى وكان فيه عدمها فيكون الذي له في طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير اضافة الى غيره ان يكون عادماً للمعقولات ومن شأنه أن يكون له ذلك فيكون باعتبار نفسه مخالطاً للامكان والقوة واذا فرضنا انه لم يزل ولا يزال موجوداً بالفعل فيجب أن يكون له من ذاته الامر الاكمل الافضل لا من غيره قال واذا عقل ذاته عقل ما يلزمها لذاتها بالفعل وعقل كونه مبدأ وعقل كل ما يصدر عنه على ترتيب الصدور عنه والا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وان كان

تعالى الا قليلا على ظاهره وهو استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمة الله تعالى لهم اي لاتبعتم الشيطان الا قليلا لم يرحمهم الله فاتبعوا الشيطان اذ رحمكم انتم فلم تتبعوه وهذا نص قولنا ولله تعالى الحمد وقال تعالى *فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا* وهذا نص ما قلنا ان من اضله الله تعالى لا سبيل له الى الهدى وان الضلال وقع مع الاضلال من الله تعالى للكافر والفاسق وقال تعالى *ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده* فاخبر تعالى ان عنده هدى يهدي به من يشاء من عباده فيكون مهتدياً وهذا تخصيص ظاهر كما ترى وقال تعالى *فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء* فهذا نص ما قلنا وان الله تعالى قد نص قائلا لنا ان من اراد هداه شرح صدره للاسلام فآمن بلا شك وان من اراد ضلاله ولم يرد هداه ضيق صدره واحرجه حتى يكون كمريد الصعود الى السماء فهذا لا يؤمن البتة ولا يستطيع وهو في ظاهره مستطيع بصحة جوارحه

﴿ قال ابو محمد ﴾ إن الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التي لا تحتمل تاويلا ومن شهادة خمسة من الانبياء ابراهيم وموسى ويوسف والخضر ومحمد عليهم السلام بانهم لا يستطيعون فعلا لشيء من الخير الا بتوفيق الله تعالى لهم وانهم ان لم يوفقهم ضلوا جميعا مع ما اوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن عرف تراكيب الاخلاق المحمودة والمذمومة علم انه لا يستطيع احد غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه فتجد الحافظ لا يقدر على تاخر الحفظ والبليد لا يقدر على الحفظ والفهيم لا يقدر على الغباوة والغبي لا يستطيع ذكاء الفهم والحسود لا يقدر على ترك الحسد

ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم له وهو الكون الناقص كماله فيكون حاله كحال النائم وان كان يعقل الاشياء من الاشياء فتكون الاشياء متقدمة عليه تتقوم بما يعقله ذاته وان كان يعقل الاشياء من ذاته فهو المراد والمطالب وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة أخرى تؤدي قريباً من هذا المعنى فيقول ان كان جوهره العقل وان يعقل فأما ان يعقل ذاته أو غيره فان كان يعقل شيئاً آخر فما هو في حد ذاته غير مضاف الى ما يعقله وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لان يعقل بأن يكون بعض الاحوال ان يعقل له أفضل من أن لا يعقل وبأن لا يعقل يكون له أفضل من ان يعقل فانه لا يمكن القسم الآخر وهو ان يكون يعقل الشيء الآخر أفضل من الذي له في ذاته من حيث هو في ذاته شيء يلزمه ان يعقل فيكون فضله وكماله بغيره وهذا محال * المسئلة الرابعة في ان واجب الوجود لا يعتريه تغير وتأثر من غيره بأن يبدع أو يعقل قال الباري تعالى عظيم الرتبة جداً غير محتاج الى غيره ولا متغير بسبب من غيره سواء كان التغير زمانياً أو كان تغيراً بأن ذاته يقبل من غيره أثراً وان كان دائماً في الزمان

والنزيه النفس لا يقدر على الحسد والحريص لا يقدر على ترك الحرص والبخيل لا يقدر على البذل والجبان لا يقدر على الشجاعة والكذاب لا يقدر على ضبط نفسه عن الكذب كذلك يوجدون من طفوليتهم والسيئ الخلق لا يقدر على الحلم والحيي لا يقدر على القحة والوقح لا يقدر على الحياء والعيي لا يقدر على البيان والطيوش لا يقدر على الصبر والغضوب لا يقدر على الحلم والصبور لا يقدر على الطيش والحليم لا يقدر على الغضب والعزيز النفس لا يقدر على المهانة والمهين لا يقدر على عزة النفس وهكذا في كل شيء فصح انه لا يقدر احد الا على ما يفعل بما يتم الله تعالى فيهم القوة على فعله وان كان خلاف ذلك متوهما منهم بصحة البنية وعدم المانع

﴿ قال ابو محمد ﴾ والملائكة والحور العين والجن وجميع الحيوان كله في الاستطاعة سواء كما ذكرنا ولا فرق بين شيء في ذلك كله وكلهم قد خلق الله عز وجل فيهم الاستطاعة الظاهرة بصحة الجوارح ولا يكون منهم فعل الا بعون وارد من الله تعالى اذا ورد كان الفعل معه ولا بد قد خلق الله عز وجل فيهم اختيارا وارادة وحركة وسكونا هم افعالهم على غيرها والملائكة وحور العين معصومون لم يخلق الله تعالى فيهم معصية اصلا لا طاعة ولا معصية واما الذي يقدر على كل ما يفعل وما لا يفعل ولم يزل قادرا على كل ما يخطر بالقلب فهو واحد لا شريك له وهو الله عز وجل ليس كمثله شي ولم يكن له كفواً احد وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الهدى والتوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل * واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى * وبقوله تعالى * انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا *

وانما لا يجوز له ان يتغير كيف ما كان لان انتقاله انما يكون الى الشر لا الى الخير لان كل رتبة غير رتبته فهو دون رتبته وكل شيء يناله ويوصف به فهو دون نفسه ويكون أيضاً شيئاً مناسباً للحركة خصوصاً ان كانت بعدية زمانية وهذا معنى قوله ان التغير الى الشيء الذي هو شر وقد ألزم على كلامه انه اذا كان العقل الاول يعقل أبداً ذاته فانه يتعب ويكل ويتغير ويتأثر وأجاب ثامسطيوس عن هذا بأنه انما لا يتعب لانه يعقل ذاته وكما لا يتعب من ان يجب فانه لا يتعب من أن يعقل ذاته قال أبو علي بن سينا ليست العلة انه لذاته يعقل أو لذاته يجب بل لانه ليس مضاد الشيء في جوهر العاقل فان التعب هو أذى يعرض لسبب خروج عن الطبيعة وانما يكون ذلك اذا كانت الحركات التي يتوالى مضادة لمطلوب الطبيعة فأما الشيء الملائم واللذيذ المحض ليس منافاة بوجه فلم يجب ان يكون تكرره متعبا * المسئلة الخامسة في ان واجب الوجود حي بذاته باق بذاته أي كامل في أن يكون بالفعل مدركاً لكل شيء نافذ الامر في كل شيء وقال ان الحياة التي عندنا يقترن بها من ادراك خسيس وتحريك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهـذا حق وقد قال تعالى * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هـدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى ان الذين هدى بعض الناس لا كلهم وقال تعالى * ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل * وهي قراة مشهورة عن عاصم بفتح الياء من يهدي وكسر الدال فاخبر تعالى ان في الناس من لم يهده وقال تعالى * من يضلل الله فلا هادي له * فاخبر تعالى ان الذين اضـل فلم يهدهم وقال تعالى * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صـدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء * فاخبر تعالى ان الذين هدى غـير الذي أضل ومثل هذا كثير وكل ذلك كلام الله عز وجل وكله حق لا يتعارض ولا يبطل بعضه بعضا قال الله تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * فصح يقيناً ان كل ما أوردنا من الآيات فكلها متفق لا مختلف فنظرنا فى الآيات المذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة وهو ان الله تعالى اخبر انه هدى ثمود فلم يهتدوا وهدى الناس كلهم السبيل ثم هم بعد اما شاكر واما كفور وأخبر تعالى فى الآيات الاخر انه هـدى قوماً فاهتدوا ولم يهد آخرين فلم يهتدوا فعلمنا ضرورة ان الهدى الذي أعطاه الله عز وجل جميع الناس هو غير الذي أعطاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم اياه هـذا أمر معلوم بضرورة العقل وبديهته فاذ لا شك في ذلك فقد لاح الامر وهو ان الهدى في اللغة العربيـة من الاسماء المشتركة وهي التي يقع الاسم منها على مسميين مختلفين بنوعهما فصاعدا فالهدى يكون بمعنى الدلالة تقول هديت فلاناً الطريق بمعنى أريته اياه ووقفته عليه وأعلمته اياه سواء سلكه أو تركه وتقول فلان هاد بالطريق أي دليل فيه فهذا الهدى الذي هداه الله ثمود وجميع الجن والملائكه وجميع الانس كافرهم ومؤمنهم لانه تعالى دلهم على الطاعات

خسيس فاما هناك المشار اليه بلفظ الحياة وهو كون العقل التام بالفعل الذي ينعقل من ذاته كل شيء وهو باقي الدهر ازلي فهو حي بذاته باق بذاته عالم بذاته وانما يرجع جميع صفاته الى ما ذكرنا من غير تكثر ولا تغير في ذاته * المسئلة السادسة في انه لا يصدر عن الواحد الا واحد قال الصادر الاول هو العقل الفعال لان الحركات اذا كانت كثيرة والكل متحرك محرك فيجب ان يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات فلو كانت المتحركات والمحركات ينسب اليه لا على ترتيب أول وثاني بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الى محرك محرك ومتحرك متحرك فتكثر ذاته وقد أقمنا البرهان على انه واحد من كل وجه فلن يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد وهو العقل الفعال وله في ذاته و باعتبار ذاته امكان الوجود و باعتبار علته وجوب الوجود فتكثر ذاته لا من جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم يزيد التكثر في الاسباب فتكثر المسببات والكل ينسب اليه * المسئلة السابعة في عدد المفارقات قال اذا كان عدد المتحركات مترتبا على عدد المحركات فيكون الجواهر المفارقة كثيرة علي ترتيب اول وثاني

والمعاصي وعرفهم ما يسخط مما يرضي فهذا معنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير والتيسير له وخلقه لقبول الخير في النفوس فهذا هو الذي اعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم والمهتدين من الانس والجن ومنعه الكفار من الطائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ولو اعطاهم اياه تعالى لما كفروا ولا فسقوا وبالله تعالى التوفيق ومما يبين هذا قوله تعالى في الآيات المذكورة *انا هديناه السبيل* فبين تعالى ان الذي هداهم له فهو الطريق فقط وكذلك ايضاً قوله تعالى* الم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين*فهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وكذلك قوله تعالى* ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين*وقوله تعالى*ولو شاء الله لجمعهم على الهدى*وهذا بلا شك غير ما هدى جميعهم عليه من الدلالة والتبيين للحق من الباطل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً الا طريق جهنم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا نص جلي على ما قلنا وبيان ان الدلالة لهم على طريق جهنم يحملون فيه اليها هدى لهم الى تلك الطريق ونفى عنهم تعالى في الآخرة كل هدى الى شيء من الطرق الا طريق جهنم ونعوذ بالله من الضلال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال بعض من يتعسف القول بلا علم ان قول الله عز وجل *وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى* وقوله تعالى* انا هديناه السبيل * وقوله تعالى * وهديناه النجدين * انما أراد تعالى بكل ذلك المؤمنين خاصة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل لوجهين احدها تخصيص الآيات بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل والثاني ان نص الآيات يمنع من

فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير متناهي القوة يحرك كما يحرك المشتهي المعشوق ومحرك آخر مزاول للحركة فيكون صورة للجرم المساوي فالاول عقل مفارق والثاني نفس مزاول فالمحركات المفارقة تحرك على انها مشتهاة معشوقة والمحركات المزاولة تحرك على انها مشتهية عاشقة ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات الاكر وذلك شيء لم يكن ظاهرا في زمانه وانما ظهر بعد والاكر تسعة لما دل الرصد عليها فالعقول المفارقة عشرة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال* المسئلة الثامنة في ان الاول مبتهج بذاته قال ارسطوطاليس اللذة في المحسوسات هو الشعور بالملائم وفي المعقولات الشعور بالكمال الواصل اليه من حيث يشعر به فالاول مغتبط بذاته متلذذ بها لانه يعقل ذاته على كمال حقيقتها وشرفها وان جل عن ان ينسب اليه لذة انفعالية بل يجب أن يسمى ذلك بهجة وعلاء وبهاء كيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مردودون في قضاء حاجات خارجة عما يناسب حقيقتنا التي نحن بها ناس وذلك لضعف عقولنا وقصورنا في المعقولات وانغماسنا في الطبيعة البدنية لكننا

التخصيص ولا بد وهو ان الله تعالى قال * وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى * فرد تعالى الضمير في فاستحبوا العمى على الهدى الى المهديين انفسهم فصح ان الذين هدوا لم يهتدوا وايضاً فان الله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء * وقال له تعالى * وانك لتهدي الى صراط مستقيم * فصح يقيناً ان الهدى الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذي ليس هو عليه وانما هو لله تعالى وحده فان ذكر ذاكر قول الله عز وجل * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون * فليس هذا على ما ظنه من لا ينعم النظر من ان الله وحده لو اسمعهم لم يسمعوا بذلك بل ظاهر الآية مبطل لهذا الظن لانه تعالى قال ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم فصح يقيناً ان من علم الله تعالى فيه خيراً اسمعه وثبت ان فيه خيراً ثم قال تعالى * ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون * فصح يقيناً انه اراد بلا شك انه لو أسمعهم لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لا يجوز غير هذا اصلا لانه تعالى قد نص على أن اسماعه لا يكون الا لمن علم فيه خيراً ومن المحال الباطل ان يكون من علم الله تعالى فيه خيرا يتولى عن الخير ويعرض عنه فبطل ما حرفوه بظنونهم من كلام الله عز وجل وكذلك قوله تعالى * انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا * فانه تعالى قسم من هدى السبيل قسمين كفوراً وشاكراً فصح ان الكفور أيضاً هدى السبيل فبطل ما توهموه من الباطل ولله تعالى الحمد وصح ماقلنا

الكلام في الاضلال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد تلونا من كلام الله تعالى في الباب الذي قبل هذا والباب الذي قبله متصلا به نصوصا كثيرة بأن الله تعالى اضل من شاء من خلقه وجعل صدورهم ضيقة حرجة فان اعترضوا بقول الله تعالى عن

نتوصل اليها على سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتصال بالحق الاول فيكون كسعادة عجيبة في زمان قليل جداً وهذه الحالة له أبداً وهو لنا غير ممكن لانا مدينون ولا يمكننا ان نشيم تلك البارقة الا خطفة وخلسة

* المسئلة التاسعة في صدور نظام الكل وترتيبه منه قال قد بينا ان الجوهر على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك وقد بينا القول في الواحد الغير المتحرك وأما الاثنان الطبيعيان فهما الهيولي والصورة أو العنصر والصورة وهما مبدأ الاجسام الطبيعية وأما العدم فيعد من المبادي بالعرض لا بالذات فالهيولي جوهر قابل للصورة والصورة معنى ما يقترن بالجوهر فيصير به نوعاً كالجزء المقوم له لا كالعرض الحال فيه والعدم ما يقابل الصورة فانا متى توهمنا ان الصورة لم تكن فيجب ان يكون في الهيولي عدم الصورة والعدم المطلق مقابل للصورة المطلقة والعدم الخاص مقابل للصورة الخاصة قال وأول الصورة التي تسبق الى الهيولي هي الابعاد الثلاثة فيصير جرماً ذا طول وعرض وعمق وهو الهيولي الثانية وليست بذات كيفية ثم تلحقها الكيفيات الاربعة التي هي الحرارة والبرودة الفاعلتان والرطوبة

الكفار انهم قالوا *وما اضلنا الا المجرمون* فلا حجة لهم في هذه الوجوه احدها انه قول كفار قد قالوا الكذب وحكى الله تعالى حينئذ *والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون* فان ابوا الا الاحتجاج بقول الكفار فليجعلوه الى جنب قول ابليس *رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض* والوجه الثاني اننا لا ننكر اضلال المجرمين واضلال ابليس لهم ولكنه اضلال آخر ليس اضلال الله تعالى لهم والثالث انه لا عذر لاحد في ان الله تعالى اضله ولا لوم على الخالق تعالى في ذلك واما من أضل آخر من دون الله تعالى فهو ملوم وقد فسر الله تعالى اضلاله لمن يضل كيف هو وفسر تعالى ذلك الاضلال تفسيراً اغنانا به عن تفسير الخلعاء العيارين كالنظام والعلاف وثمامة وبشر بن المعتمر والجاحظ والناشي وما هنالك من الاحزاب ومن تبعهم من الجهال فبين تعالى في نص القرآن أن اضلاله لمن أضل من عباده انما هو ان يضيق صدره عن قبول الايمان وأن يحرجه حتى لا يرغب في تفهمه والجنوح اليه ولا يصبر عليه ويوعر عليه الرجوع الى الحق حتى يكون كانه يتكلف في ذلك الصعود الى السماء وفسر ذلك ايضاً عز وجل في آية اخرى قد تلوناها آنفا بانه يجعل اكنة على قلوب الكافرين يحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والاصاخة لبيانه وهداه وان يفقهوه وانه جعل تعالى بينهم وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم حجاباً مانعا لهم من الهدى وفسره ايضاً تعالى بانه ختم على قلوبهم وطبع عليها فامتنعوا بذلك من وصول الهدى اليها وفسر تعالى اضلال من دونه فقال تعالى انه جعلهم ائمة يدعون الى النار وفسر تعالى ايضاً القوة التي اعطاها المؤمنين وحرمها الكافرين بانها تثبيت على قبول الحق وانه تعالى يشرح صدورهم لفهم الحق واعتقاده والعمل به وانه صرف لكيد الشيطان ولفتنته عنهم نسأل الله أن يمدنا بهذه العطية وان يصرف عنا الاضلال بمنه وان لا يكلنا

واليبوسة المنفعلتان فيصير الاركان والاستقصات الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وهي الهيولي الثالثة ثم يتكون منها المركبات التي يلحقها الاعراض والكون والفساد ويكون بعضها هيولي بعض قال وانما رتبنا هذا الترتيب في العقل والوهم خاصة دون الحس وذلك ان الهيولى عندنا لم تكن معراة عن الصورة قط فلم يقدر في الوجود جوهراً مطلقاً قابلا للابعاد ثم لحقها الابعاد ولا جسما عاريا عن هذه الكيفيات ثم عرض لها ذلك وانما هو عند نظرنا فيما هو أقدم بالطبع وأبسط في الوهم والعقل ثم أثبت طبيعة خامسة وراء هذه الطبائع لا تقبل الكون ولا الفساد ولا يطرأ عليها الاستحالة والتغير وهي طبيعة السماء وليس يعني بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبائع بل معنى ذلك ان طبائعها خارجة عن هذه ثم هي على تركيبات يختص كل تركيب خاص بطبيعة خاصة ويتحرك بحركة خاصة ولكل متحرك محرك مزاول ومحرك مفارق والمتحركات أحياء ناطقون والحيوانية والناطقية لها بمعنى آخر وانما يحمل ذلك عليها وعلى الانسان بالاشتراك فترتب العالم كله علوية وسفلية على نظام واحد وصار النظام في الكل محفوظاً

الى انفسنا فقد خاب وخسر من ظن في نفسه انه قد استكمل القوى حتى استغنى عن ان يزيده الله تعالى توفيقا وعصمة ولم يحتج الى خالقه في ان يصرف عنه فتنته ولا كيده لا سيما من جعل نفسه اقوى على ذلك من خالقه تعالى ولم يجعل عند خالقه قوة يصرف بها عنه كيد الشيطان نعوذ بالله مما امتحنهم به ونبرأ الى الله خالقنا تعالى من الحول والقوة كلها الا ما اتانا منها متفضلا علينا وأما كل ما جاء في القرآن من اضلال الشياطين للناس وانسائهم اياهم ذكر الله تعالى وتزيينهم لهم ووسوستهم وفعل بعض الناس ذلك ببعض فصحيح كما جاء في القرآن دون تكلف وهذا كله القاء لما ذكرنا في قلوب الناس وهو من الله تعالى خلق لكل ذلك في القلوب وخالق لافعال هؤلاء المضلين من الجن والانس وكذلك قوله تعالى حسدا من عند انفسهم لانه فعل اضيف الى النفس لظهوره منها وهو خلق الله تعالى فيها فان ذكروا قول الله تعالى * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون * فهو كما قال الله عز وجل وهو حجة على المعتزلة لان الله تعالى اخبر انه لا يضل قوما حتى يبين لهم ما يتقون وما يلزمهم وصدق الله عز وجل لان المرء قبل ان يأتيه خبر الرسول غير ضال بشيء مما يفعل اصلا فانما سمي الله تعالى فعله في العبد اضلالا بعد بلوغ البيان اليه لا قبل ذلك وبالله التوفيق فصح بهذه الآية انه تعالى يضلهم بعد ان يبين لهم وقد فسر بعضهم الاضلال بانه منع اللطف الذي يقع به الايمان فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونصوص القرآن تزيد على هذا المعنى زيادة لا شك فيها وتوجب ان الاضلال معنى زايد اعطاه الله للكفار والعصاة وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحريجها والختم على القلوب والطبع عليها واكنانها عن ان يفقهوا الحق فان قالوا ان هذا فعل النفوس كلها ان لم يمدها الله تعالى بتوفيق قلنا لهم من خلقها هذه الخلقة المفسدة ان لم يؤيدها بالتوفيق

بعناية المبدأ الاول على أحسن ترتيب وأحكم قوام متوجها الى الخير وترتيب الموجودات كلها في طباع الكل على نوع نوع ليس على ترتيب المساواة فليس حال السباع كحال الطائر ولا حالها كحال النبات ولا حال النبات كحال الحيوان وليس مع هذا التفاوت منقطعاً بعضها عن بعض بحيث لا ينسب بعضها الى بعض بل هناك مع الاختلاف اتصال واضافة جامعة للكل يجمع الكل الى الاصل الاول الذي هو المبداء لفيض الجود والنظام في الوجود على ما يمكن في طباع الكل ان يترتب عنه قال وترتيب الطباع في الكل كترتيب المنزل الواحد من الارباب والاحرار والعبيد والبهائم والسباع فقد جمعهم صاحب المنزل ورتب لكل واحد مكاناً خاصاً وقدر له عملا خاصاً ليس قد أطلق لهم ان يعملوا ما شاؤا وأحبوا فان ذلك يؤدي الى تشويش النظام فهم وان اختلفوا في مراتبهم وانفصل بعضهم عن بعض بأشكالهم وصورهم منتسبون الى مبدأ واحد صادرون عن رأيه وأمره مصرفون تحت حكمه وقدره فكذلك يجري الحال في العالم بأن يكون هناك أجزاء أول مفردة مقدمة لها أفعال مخصوصة مثل

بالتوفيق فان قالوا الله تعالى هو خلقها كذلك اقروا بان الله تعالى اعطاها هـذه البلية وركب فيها هذه الصفة المهلكة فان فروا الى قول معمر والجاحظ ان هـذا كله فعل الطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا وقلنا لهم فمن خلق النفس وخلق فيها هذه الطبيعة الموجبة لهـذه الافاعيل فان قالوا الله سبحانه وتعالى اقروا بان الله تعالى اعطاها هذه الصفة المهلكة لها ان لم يمدها بلطف وتوفيق وكذلك ان قالوا ان النفس هي فعلت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كانوا مع خروجهم من الاسلام بهذا القول محيلين ايضاً محالاً ظاهراً لان النفس لو فعلت هي طبيعتها لكانت اما مختارة لفعلها واما مضطرة الى فعلها على ما هي عليها فان كانت مختارة فقد يجب ان تقع طبيعتها مراراً بخلاف ما لا توجد الا عليه وان كانت مضطرة فمن خلقها مضطرة الى هذا الفعل فلا بد من انه الله تعالى فرجعوا ضرورة الى أن الله تعالى هو الذي اعطاها هذه الصفة المهلكة التي بها كانت المعصية مع انه لم يقل احد من المسلمين ان النفس احدثت طبيعتها مع انه ايضاً قول يبطله الحس والمشاهدة وضرورة العقل

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما القائلون بالاصلح من المعتزلة فانهم انقطعوا ههنا وقالوا لا ندري ما معنى الاضلال ولا معنى الختم على قلوبهم ولا الطبع عليها وقال بعضهم معنى ذلك ان الله تعالى سماهم ضالين وحكم انهم ضالون وقال بعضهم معنى اضلهم اتلفهم كما تقول ضلت بعيري وهذه كلها دعاوي بلا برهان

﴿ قال ابو محمد ﴾ لم نجد لهم تأويلا اصلا في قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام انه قال «ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء»

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا هو الضلال حقاً وهو ان يحملهم اللجاج والعمى في لزوم اصل قد ظهر فساده وتقليد من لا خير فيه من اسلافهم على ان يدعوا انهم لا يعرفون ما معنى الاضلال والختم والطبع والاكنة على القلوب وقد فسر الله كل ذلك تفسيراً جلياً وايضاً فانها الفاظ عربية

السموات ومحركاتها ومدبراتها وما قبلها من العقل الفعال وأجزاء مركبة متأخرة تجري أكثر أمورها على الاتفاق المخلوط بالطبع والارادة والجبر الممزوج بالاختيار ثم ينسب الكل الى عناية الباري جلت عظمته * المسئلة العاشرة في ان النظام في الكل متوجه الى الخير والشر واقع فى القدر بالعرض وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم على أحسن إحكام وإتقان لا لارادة وقصد في السافل حتى يقال انما أبدع العقل مثلا لغرضٍ في السافل حتى يفيض مثلا على السافل فيضاً بل الامر أعلى من ذلك وهو ان ذاته أبدع ما أبدع لذاته لا لعلة ولا لغرض فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ثم توجهت الى الخير لانها صادرة عن أصل الخير وكان المصير في كل حال رأس واحد ثم ربما يقع شر وفساد من مصادمات فى الاسباب السافلة دون العالية التي كلها خير مثل المطر الذي لم يخلق الا خيرًا ونظاماً للعالم فيتفق أن يخرب به بيت عجوز كان ذلك واقعاً بالعرض لا بالذات وبأن لا يقع شر جزئي في العالم لا يقتضي الحكمة أن يوجد خير كلي فان فقدان المطر أصلا شر كلي وتخريب

معروفة المعاني في اللغة التي بها نزل القرآن فلا يحل لاحد صرف لفظة معروفة المعنى في اللغة عن معناها الذي وضعت له في اللغة التي بها خاطبنا الله تعالى في القرآن الى معنى غير ما وضعت له الا ان يأتي نص قرآن او كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او اجماع من علماء الامة كلها على انها مصروفة عن ذلك المعنى الى غيره او يوجب صرفها ضرورة حس او بديهة عقل فيوقف حينئذ عند ما جاء من ذلك ولم يأت في هذه الالفاظ التي اضلهم الله تعالى فيها وخيرهم الشيطان عن فهمها نص ولا اجماع ولا ضرورة بانها مصروفة عن موضعها في اللغة بل قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له فبين عليه السلام ان الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى المؤمن للخير الذي له خلقه وان الخذلان تيسره الفاسق للشر الذي له خلقه وهذا موافق للغة والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ولما عليه الفقهاء والائمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعامة المسلمين حاشا من اضله الله على علم من أتباع العيارين الخلعاء كالنظام وثمامة والعلاف والجاحظ

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونبين هذا ايضاً بياناً طبيعياً ضرورياً لا خفاء به بعون الله تعالى وتأييده على من له ادنى بصر بالنفس واخلاقها وقدرة الله تعالى في اختراعها فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الله عزوجل خلق نفس الانسان مميزة عاقلة عارفة بالاشياء على ما هي عليه فهمة بما تخاطب به وجعلها مأمورة منهية فعالة منعمة معذبة ملتذة آلمة حساسة وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين في التأثير وهما التمييز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على اثار النفس فالتمييز هو الذي خص به نفس الانسان والجن والملائكة دون الحيوان الذي لا يكلف والذي ليس ناطقاً والهوى هو الذي يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان الذي ليس ناطقاً من حب اللذات والغلبة

بيت بجوز شر جزئي والعالم للنظام الكلي لا للجزئي فالشر اذا وقع في القدر بالعرض وقال ان الهيولي قد لبست الصورة على درجات ومراتب وانما يكون لكل درجة ما يحتمله في نفسها دون أن يكون في الفيض الاعلى امساك عن بعض وافاضة على بعض فالدرجة الاولى احتمالها على نحو أفضل والثانية دون ذلك والذي عندنا من العناصر دون الجميع لان كل ماهية من ماهيات هذه الاشياء انما تحتمل ما يستطيع أن يلبس من الفيض على النحو الذي كفى له ولذلك يقع العاهات والتشويهات في البدن لما يلزم من صورة المادة الناقصة التي لا تقبل الصورة على كمالها الاول والثاني قال انا ان لم نجر الامور على هذا المنهاج ألجأتنا الضرورة الى أن نقع في محالات وقع فيها من قبلنا كالثنوية وغيرهم * المسئلة الحادية عشر في كون الحركات سرمدية وان الحوادث لم تزل قال ان صدور الفعل عن الحق الاول انما يتأخر لا بزمان بل بحسب الذات والفعل ليس مسبوقاً بعدم بل هو مسبوق بذات الفاعل ولكن القدماء لما أرادوا أن يعبروا عن العلية افتقروا الى ذكر القبلية والقبلية في اللفظ تتناول الزمان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه القوة في كل الحيوان حاشا الملائكة فانما فيها قوة التمييز فقط ولذلك لم يقع منها معصية اصلا بوجه من الوجوه فاذا عصم الله النفس غلب التمييز بقوة من عنده هي له مدد وعون فجرت افعال النفس على ما رتب الله عز وجل في تمييزها من فعل الطاعات وهذا هو الذي يسمى العقل واذا خذل جل وعز النفس امدالهوى بقوة هي الاضلال فجرت افعال النفس على ما رتب الله عز وجل في هواها من الشهوات وحب الغلبة والحرص والبغي والحسد وسائر الاخلاق الرذلة والمعاصي وقد قامت البراهين على ان النفس مخلوقة وكذلك جميع قواها المنتجة عن قوتيها الاولتين التمييز والهوى كل ذلك مخلوق مركب في النفس مرتب على ما هو عليه فيها كل جار على طبيعته المخلوقة لجري كيفياته بها على ما هي عليه فاذ قد صح ان كل ذلك خلق الله تعالى فلا مغلب لبعض ذلك على بعض الا خالق الكل وحده لا شريك له وقد نص الله تعالى على ذم النفس جملة الا من رحمها الله تعالى وعصمها قال جل وعز * ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي * فاخبر عز وجل بنص ما قلنا فصح ان المرحومة المستثناة لا تأمر بسوء وبالله تعالى التوفيق قال الله تعالى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى * وذم الله تعالى الهوى في غير ما موضع من كتابه وهذا نص ما قلنا وحسبنا الله ونعم الوكيل

الكلام في القضاء والقدر

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المساءين هاتين اللفظتين الى ان ظنوا ان فيهما معنى الاكراه والاجبار وليس كما ظنوا وانما معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا انه الحكم فقط ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم وقضى الله عز وجل بكذا أي حكم به ويكون أيضاً

وكذلك في المعنى عند من لم يتدرب وأوهمت عباراتهم ان فعل الاول الحق فعل زماني وان تقدمه تقدم زماني وقال ونحن أثبتنا ان الحركات تحتاج الى محرك غير متحرك ثم نقول الحركات لا تخلو اما أن تكون لم تزل أو تكون قد حدثت بعد ان لم يكن وقد كان المحرك موجوداً لها بالفعل قادراً ليس يمانعه مانع من أن يكون عنه ولا حدث حادث في حال ما أحدثها فرغبه وحمله على الفعل اذ كان جميع ما يحدث انما يحدث عنه وليس شيء غيره يعوقه أو يرغبه ولا يمكن أن يقال قد كان لا يقدر أن يكون عنه فقدر أولم يرد فأراد أولم يعلم فعلم فان ذلك كله يوجب الاستحالة ويوجب أن يكون شيء آخر غيره هو الذي أحاله وان قلنا انه منعه مانع يلزم أن يكون السبب المانع أقوى والاستحالة والتغير عن المانع حركة أخرى استدعت محركا وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث في زمان حدوثه بعد جوازه في زمان قبله وبعده فانما ذلك السبب جزئي خاص أوجب حدوث تلك الحادثة التي لم تكن قبل ذلك والا فالارادة الكلية والقدرة الشاملة والعلم الواسع العام ليس يخصص بزمان دون زمان بل نسبته الى

بمعنى امر قال تعالى * وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه * انما معناه بلا خلاف انه تعالى أمر أن لا تعبدوا الا اياه ويكون أيضاً بمعنى أخبر قال الله تعالى * وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * بمعنى اخبرناه ان دابرهم مقطوع بالصباح وقال تعالى * وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا * أي اخبرناهم بذلك ويكون أيضاً بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم قال الله تعالى * اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون * ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه ومعنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء تقول قدرت البناء تقديراً اذا رتبته وحددته قال تعالى * وقدر فيها اقواتها * بمعنى رتب اقواتها وحددها وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * يريد تعالى برتبة وحد فمعنى قضى وقدر حكم ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا والى وقت كذا فقط وبالله تعالى التوفيق

الكلام في البدل

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل اذا سئل هل يستطيع الكافر ما أمر به من الايمان أم لا يستطيعه فاجاب ان الكافر مستطيع للايمان على البدل بمعنى ان لا يتمادى في الكفر لكن يقطعه ويبدل منه الايمان

﴿ قال ابو محمد ﴾ والذي يجب أن يجيب به هو الجواب الذي بينا صحته بحول الله تعالى وقوته في كلامنا في الاستطاعة وهو ان تقول هو مستطيع في ظاهر الامر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير مستطيع للجمع بين الايمان والكفر ما دام كافراً وما دام لا يؤتيه الله جل وعز العون فاذا آتاه اياه تمت استطاعته وفعل ولا بد فان قيل فهو مكلف مأمور قلنا نعم فان قيل أهو عاجز عما هو مأمور به ومكلف لنى يفعله قلنا وبالله

التوفيق

الزمان كلها نسبة واحدة فلا بد لكل حادث من سبب حادث ويتعالى عنه الواحد الحق الذي لا يجوز عليه التغير والاستحالة قال واذ لابد من محرك للحركات ومن حامل للحركات وتبين ان المحرك سرمدي فالحركات سرمدية فالمتحركات سرمدية ولو قيل ان حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون وجب أن تعثر على السبب الذي يغير من السكون الى الحركة فان قلنا ان ذلك الجسم حدث تقدم حدوث الجسم حدوث الحركة فقد بان ان الحركة والمتحرك والزمان الذي هو عاد الى الحركة أزلية سرمدية والحركات اما مستقيمة أو مستديرة والاتصال لا يكون الا للمستديرة لان المستقيم ينقطع والاتصال أمر ضروري للاشياء الازلية فان الذي يسكن ليس بأزلي والزمان متصل لا نه لا يمكن أن يكون من ذلك قطع مبتورة فيجب من ذلك أن تكون الحركة متصلة وكانت المستديرة هي وحدها متصلة فيجب أن تكون هي أزلية فيجب أن يكون محرك هذه الحركة المستديرة أيضاً أزلياً اذ لا يكون ما هو أخس علة لما هو أفضل ولا فائدة في محركات ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا

التوفيق هو غير عاجز بظاهر بنيته لسلامة جوارحه وارتفاع الموانع وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده ما لم ينزل الله تعالى له العون فيتم ارتفاع العجز عنه ويوجد الفعل ولا بد وتقول ان العجز في اللغة انما يقع على الممنوع بآفة على الجوارح او بمانع ظاهر الي الحواس والمأمور بالفعل ليس في ظاهر امره عاجزاً اذ لا آفة في جوارحه ولا مانع له ظاهراً وهو في الحقيقة عاجز عن الجمع بين الفعل وضده وبين الفعل وتركه وعن فعل ما لم يؤته الله تعالى عوناً عليه وعن تكذيب علم الله تعالى الذي لم يزل بانه لا يفعل الا ما سبق علمه تعالى فيه هذه حقيقة الجواب في هذا الباب والحمد لله رب العالمين فان قيل فهو مختار لما يفعل قلنا نعم اختياراً صحيحاً لا مجازاً لانه مريد لكونه منه محب له مؤثر على تركه وهذا معنى لفظة الاختيار على الحقيقة وليس مضطراً ولا مجبراً ولا مكروهاً لان هذه الفاظ في اللغة لا تقع الا على الكاره لما يكون منه في هذه الحال وقد يكون المرء مضطراً مختاراً مكرهاً فى حالة واحدة كانسان في رجله اكلة لا دواء له الا بقطعها فيأمر اعوانه مختاراً لامره اياهم بقطعها وبحسمها بالنار بعد القطع ويأمرهم بامساكه وضبطه وان لا يلتفتوا الى صياحه ولا الى امره لهم بتركه اذا احس الألم ويتوعدهم على التقصير في ذلك بالضرب والنكال الشديد فيفعلون به ذلك فهو مختار لقطع رجله اذ لو كره ذلك كراهة تامة لم يكرهه احد على ذلك وهو بلا شك كاره لقطعها مضطر اليه اذ لو وجد سبيلاً بوجه من الوجوه دون الموت الى ترك قطعها لم يقطعها وهو مجبر مكره بالضبط من اعوانه حتى يتم القطع والحسم اذ لو لم يضبطوه ويعسروه ويقهروه ويكرهوه ويجبروه لم يمكن من قطعها البتة وانما أتينا بهذا لئلا ينكر الجاهلون ان يكون أحد يوجد مختاراً من وجه مكرهاً من وجه آخر عاجزاً من وجه مستطيع من آخر قادر من وجه ممنوعاً من

ينبغي ان يضع هذه الطبيعة بلا فعل فتكون متعطلة غير قادرة أن تحرك وتحيل * المسئلة الثانية عشر في كيفية تركب العناصر حكي (فرفوريوس) عنه أنه قال كل موجود ففعله مثل طبيعته فما كانت طبيعته بسيطة ففعله بسيط ففعل الله تعالى واحد بسيط وكذلك فعله الاجتلاب الى الوجود فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان بقاؤه أيضاً بالحركة وذلك انه ليس للجوهر أن يكون موجوداً من ذاته بمنزلة الوجود الاول الحق لكن من التشبه بذلك الاول الحق وكل حركة يكون اما مستقيمة أو مستديرة فالحركة المستقيمة يجب ان تكون متناهية فالجوهر يتحرك في الاقطار الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق على خطوط مستقيمة حركة متناهية فيصير بذلك جسماً ويبقى عليه ان يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيها حركة بلا نهاية ولا يسكن في وقت من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك بأجمعه حركة على الاستدارة وذلك ان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه كالنقطة فانقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وهو الفلك وسكن بعضه في الوسط قال وكل جسم يتحرك فيماس جسما

آخر وبالله تعالى نتأيد

﴿ الكلام في خلق الله عز وجل لافعال خلقه ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلفوا في خلق الله تعالى لافعال عباده فذهب اهل السنة كلهم وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل كالمريسي وابن عون والنجارية والاشعرية والجهمية وطوائف من الخوارج والمرجئة والشيعة الى ان جميع افعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه ابو يحيى حفص الفرد وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة الى ان افعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل على تخليط منهم في مائية افعال النفس الا بشر بن المعتمر عطف فقال الا انه ليس شيء من افعال العباد الا ولله تعالى فيه فعل من طريق الاسم والحكم يريد بذلك انه ليس للناس فعل الا ولله تعالى فيه حكم بانه صواب أو خطأ ونسميه بانه حسن أو قبيح طاعة أو معصية

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد ادى هذا القول الفاحش الملعون رجلا من كبار المعتزلة وهو عباد بن سليمان تلميذ هشام بن عمرو الفوطي الى ان قال ان الله تعالى لم يخلق الكفار لانهم ناس وكفر معاً لكن خلق أجسامهم دون كفرهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويلزمه مثل هذا نفسه في المؤمنين وفي جميع الملائكة والجن لانه ليس الا مؤمن وكافر والمؤمن انسان وايمانه أو ملك وايمانه أو جني وايمانه وكفره فعلى قول هذا البائس السخيف لايجوز ان يقال ان الله تعالى خالق من الناس ولا الجن ولا الملائكة سعيد بل يكون القول بهذا كذبا وحسبك بهذا القول خلافاً للقرآن وللمسلمين وقال معمر والجاحظ ان افعال العباد كلها لا فعل لهم فيها وانما نسب اليهم مجازاً لظهورها منهم وانها فعل الطبيعة حاشا الارادة فقط فانه لا فعل للانسان غيرها البتة

ساكنا وفي طبيعته قبول التأثير منه أحدث سخونة فيه واذا سخن لطف وانحل وجف فكان طبيعة النار تلي الفلك المتحرك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فتكون حركته أقل فلا يتحرك بأجمعه لكن جزؤه منه فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لايتحرك لبعده عن المحرك له فهو بارد بسكونه ورطب بمجاورة الهواء الحار الرطب وكذلك انحل قليلا والجسم الذي في الوسط فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئاً ولا قبل منه تأثيراً فسكن وبرد وهو الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التأثير بعضها من بعض وتختلط يتولد عنها أجسام مركبة وهي المركبات المحسوسات التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان ثم يختص بكل نوع طبيعة خاصة تقبل فيضاً خاصاً على ماقدره الباري جلت قدرته ٭

المسئلة الثالثة عشر في الآثار العلوية

قال ارسطوطاليس الذي يتصاعد من الاجسام السفلية الى الجو ينقسم قسمين أدخنة نارية بأسخان الشمس وغيرها والثاني أبخرة مائية فتصعد الى الجو وقد صحبتها أجزاء أرضية فتتكاثف وتجتمع بسبب ريح او

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن تدبر هذا القول علم انه أقبح من قول جهم وجميع المجبرة لانهم جعلوا افعال العباد طبيعة اضطرارية كفعل النار الاحراق بطبعها وفعل الثلج للتبريد بطبعه وفعل السقمونيا في احدارها الصفراء بطبعها وهذه صفة الاموات لا صفة الاحياء المختارين واذا لم يبق على قول هذين الرجلين للانسان فعل الا الارادة فقد وجدنا الارادة لا يقدر الانسان على صرفها ولا احالتها ولا على تبديلها بوجه من الوجوه وانما يظهر من المرء تبديل حركاته وسكونه واما ارادته فلا حيلة له فيها ونحن نجد كل قوي الآلة من الرجال يحب وطئ كل جميلة يستمتع بها لولا التقوى ويحب النوم عن الصلاة في الليالي القارة والهواجر الحارة ويحب الاكل في ايام الصوم ويحب امساك ماله عن الزكاة وانما يأتي خلاف ما يريد مغالبة لارادته وقهرا لها واما صرفا لها فلا سبيل له اليه فقد تم الاخبار صحيحا على قول هذين الرجلين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ والبرهان على صحة قول من قال ان الله تعالى خالق اعمال العباد كلها نصوص من القرآن وبراهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحس لا يغيب عنها الا جاهل وبالله تعالى التوفيق فمن النصوص قول الله عز وجل * هل من خالق غير الله *

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كاف لمن عقل واتقى الله وقد قال لي بعضهم انما انكر الله تعالى ان يكون هاهنا خالق غيره يرزقنا كما في نص الآية

﴿ قال ابو محمد ﴾ وجواب هذا انه ليس كما ظن هذا القائل بل القضية قد تمت في قوله غير الله ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا فاخبرنا انه يرزقنا من السماء والارض وقال تعالى * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم * وهذا برهان جلي على ان الدين مخلوق لله عز وجل وقال تعالى * والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا

غيرها فيصير ضبابا أو سحابا فيصادفها برودة فتعصر ماء وثلجا وبردا فينزل الى مركز الماء ذلك لاستحالة الاركان بعضها الى بعض فكما ان الماء يستحيل هواء فيصعد كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ثم الرياح والادخنة اذا احتقنت في خلال السحاب واندفعت بمرة سمع لها صوت وهو الرعد ويلمع من اصطكاكها وشدة صدمتها ضياء وهو البرق وقد يكون من الادخنة ما تكون الدهنية على مادتها أغلب فيشتعل فيصير شهابا ثاقبا وهي الشهب منها ما يحترق في الهواء فيتحجر فينزل حديدا وحجرا ومنها ما يحترق نارا فيدفعها دافع فينزل صاعقة ومن المشتعلات ما يبقى فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة بدوران الفلك فكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كأنه لحية كوكب وربما وقع على صقيل الظاهر من السحاب صور النيران وأضواؤها كما يقع على المرآى والجدران الصقيلة فيرى ذلك على ألوان مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وصفائها وكدورتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب والمجرة وذكر أسباب كل واحد من هذه في كتابه المعروف بالآثار العلوية

ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومنهم من يعبد المسيح وقالت الملائكة وصدقوا بل كانوا يعبدون الجن فصح ان كل من عبدوه ومنهم المسيح والجن لا يخلقون شيئاً ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً فثبت يقيناً انهم مصرفون مدبرون وان افعالهم مخلوقة لغيرهم وقال تعالى * افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا نص جلي على ابطال ان يخلق احد دون الله تعالى شيئاً لانه لو كان هاهنا احد غيره تعالي يخلق لكان من يخلق موجودا جنساً في حيز ومن لا يخلق جنساً آخر وكان الشبه بين من يخلق موجوداً وكان من لا يخلق لا يشبه من يخلق وهذا الحاد عظيم فصح بنص هذه الآية ان الله تعالى هو يخلق وحده وكل من عداه لا يخلق شيئاً فليس احد مثله تعالى فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه وقال تعالى * ولكل وجهة هو موليها * وهذا نص جلي من كذبه كفر وقد علمنا انه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قد نهى الله عز وجل عنه فلم يبق اذ هو مولي كل وجهة الا انه خالق كل وجهة لا احداً من الناس وهذا كاف لمن عقل ونصح نفسه ومنها قول الله عز وجل * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه * وهذا ايجاب لان الله تعالى خاق كل مافي العالم وان كل من دونه لا يخلق شيئا اصلا ولو كان هنا خالق لشيء من الاشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المقررين جوابا قاطعاً ولقالوا له نعم نريك افعالنا خلقها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهم نحن لافعالنا وقوله عز وجل * أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء * وهذا بيان واضح لاخفاء به لان الخلق كله جواهر واعراض ولاشك في انه لا يفعل الجواهر احد دون الله تعالى وانما يفعله الله عز وجل

وحده

والسماء والعالم وغيرها * المسئلة الرابعة عشر في النفس الانسانية الناطقة واتصالها بالبدن قال النفس الانسانية ليست بجسم ولا قوة في جسم وله في اثباتها مأخذ منها الاستدلال على وجودها بالحركات الاختيارية ومنها الاستدلال عليها بالتصورات العلمية اما الاول فقال لا يشك ان الحيوان يتحرك الى جهات مختلفة حركة اختيارية اذ لو كانت حركاته طبيعية او قسرية لتحركت الى جهة واحدة لا تختلف البتة فلما تحركت الى جهات متضادة علم ان حركاته اختيارية والانسان مع انه مختار في حركاته كالحيوان الا انه يتحرك لمصالح عقبية يراها في عاقبة كل امر فلا يصدر عنه حركاته الا الى غرض وكمال وهو معرفته في عاقبة كل حال والحيوان ليست حركاته بطبعه على هذا النهج فيجب ان يتميز الانسان بنفس خاص كما تميز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاص واما الثاني وهو المعول عليه قال لانشك انانعقل ونتصور امرا معقولا صرفاً مثل المتصور من الانسان انه انسان كلي يعم جميع اشخاص النوع ومحل هذا المعقول جوهر ليس بجسم ولا قوة في جسم او صورة الجسم فانه ان كان جسما فاما ان يكون محل

وحده فلم تبق الا الاعراض فلو كان الله عزوجل خالقاً لبعض الاعراض ويكون الناس خالقين لبعضها لكانوا شركاء في الخلق ولكانوا قد خلقوا كخلقه خلق اعراضاً وخلقوا اعراضاً وهذا تكذيب لله تعالى ورد للقرآن مجرد فصح انه لا يخلق شيئاً غير الله عزوجل وحده والخلق هو الاختراع فالله مخترع افعالنا كسائر الاعراض ولا فرق فان نفوا خلق الله تعالى لجميع الاعراض لزمهم ان يقولوا انها افعال لغير فاعل او انها فعل لمن ظهرت منه من الاجرام الجمادية وغيرها فان قالوا هي افعال لغير فاعل فهذا قول اهل الدهر نصاً ويكلمون حينئذ بما يكلم به اهل الدهر وان قالوا انها افعال الاجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة وهذا باطل محال وهو ايضاً غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئاً مخترعة له وانما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خالق الكل ولا بد ولله الحمد ومنها قوله تعالى «اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» وهذا نص جلي على انه تعالى خلق اعمالنا وقد فسر بعضهم قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون انه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التي تعمل منها الاوثان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه لانه لا يقول احد في اللغة التي بها خوطبنا في القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا ان الانسان يعمل العود او الحجر هذا ما لا يجوز في اللغة اصلا ولا في المعقول وانما يستعمل ذلك موصولا فنقول عملت هذا العود صنما وهذا الحجر وثنا فانما بين تعالى خلقه الصنمية التي هي شكل الصنم ونص تعالى على ذلك بقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فانما عملنا النحت بنص الآية وبضرورة المشاهدة فهي التي عملنا وهي التي اخبر تعالى انه خلقها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمد بن عبد الله الاسكافي

الصورة المعقولة طرفاً منه لا ينقسم أو جملته المنقسمة و بطل أن يكون طرفاً منه غير منقسم فانه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التي لا تميز لها في الوضع عن الخط فان الطرف نهاية الخط والنهاية لا يكون لها نهاية أخرى والا تسلسل القول فيه فيكون النقط متشافعة ولكل نهاية وذلك محال وان كان محل المعقول من الجسم شيء منقسم فيجب أن ينقسم المعقول بانقسام محله ومن المعلومات مالا ينقسم البتة فان ما ينقسم يجب أن يكون شيئاً كالشكل أوالمقدار والانسانية الكلية المتصورة في الذهن ليس كشكل قابل للقطع ولا كمقدار قابل للفصل فبين ان النفس ليست بجسم ولا صورة ولا قوة في جسم *

المسئلة الخامسة عشر في وقت اتصالها بالبدن ووجه اتصالها قال اذا تحقق انها ليست بجسم لم تتصل بالبدن اتصال انطباع فيه ولا حلول فيه بل اتصلت به اتصال تدبير وتصرف وانما حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده قال لانها لو كانت موجودة قبل وجود الابدان لكانت اما متكثرة بذواتها أو متحدة و بطل الاول فان المتكثر اما أن يكون بالماهية والصورة وقد فرضناها متفقة في النوع لا اختلاف

انه كان يقول ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير ولقد يلزم المعتزلة ان توافقه على هذا لان الخشبة لا تسمى عوداً ولا طنبوراً ولو حلف انسان لا يشتري طنبوراً فاشترى خشباً لم يحنث وكذلك لو حلف ان لا يشتري خشباً فاشترى طنبوراً لم يحنث ولا يقع في اللغة على الطنبور اسم خشبة وقال تعالى * خلق السموات والارض * فهي مخلوقة بنص القرآن وقد قال بعضهم انما قال تعالى * خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام * فكانت اعمال الناس مخلوقة في تلك الايام

﴿ قال أبو محمد ﴾ لم ينف الله عز وجل ان يخلق شيئاً بعد الستة أيام بل قد قال عز وجل * يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق * وقال تعالى * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * فكان هذا كله في غير تلك الستة الايام فاذ قد جاء النص بأن الله تعالى يخلق بعد تلك الايام أبداً ولا يزال يخلق بعد ناشئة الدنيا ثم لا يزال يخلق نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبداً بلا نهاية الا ان عموم خلقه تعالى للسموات والارض وما بينهما باق على كل موجود وقال بعضهم لا نقول ان أعمالنا بين السماء والارض لانها غير مماسة للسماء والارض

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا عين التخليط لأن الله تعالى لم يشترط المماسة في ذلك وقد قال تعالى * والسحاب المسخر بين السماء والارض * فصح ان السحاب ليست مماسة للسماء ولا للارض فهي اذاً على قول هذا الجاهل غير مخلوقة ويلزمه أيضاً ان يقول بقول معمر والجاحظ في أن الله تعالى لم يخلق الالوان ولا الطعوم ولا الروائح ولا الموت ولا الحياة لان كل هذا غير مماس للسماء ولا للارض

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما قول معمر والجاحظ ان كل هذا فعل الطبيعة

فيها فلا تكثر ولا تمايز واما أن تكون متكثرة من جهة النسبة الى العنصر والمادة المتكثرة بالامكنة والازمنة وهذا محال أيضاً فانا اذا فرضناها قبل البدن ماهية مجردة لا نسبة لها الى مادة دون مادة وهي من حيث انها ماهية لا اختلاف فيها وان الاشياء التي ذواتها معان فتكثر نوعياتها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها واذا كانت مجردة فمحال أن يكون بينها مغايرة ومكاثرة ولعمري انها تبقى بعد البدن متكثرة فان الانفس قد وجد كل منها ذاتاً منفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف أزمنة حدوثها وباختلاف هيئات وملكات حصلت عند الاتصال بالبدن فهي حادثة مع حدوث البدن يصيره نوعاً كسائر الفصول الذاتية وباقية بعد مفارقة البدن بعوارض معينة له لم توجد تلك العوارض قبل اتصالها بالبدن وبهذا الدليل فارق أستاذه وفارق قدماؤه وانما وجد في أثناء كلامه ما يدل على انه كان يعتقد ان النفس كانت موجودة قبل وجود الابدان فحمل بعض مفسري كلامه قوله ذلك على انه أراد به الفيض والصور الموجودة بالقوة في واهب الصور كما يقال ان النار

فغباوة شديدة وجهل بالطبيعة ومعنى لفظ الطبيعة انما هى قوة الشيء تجري بها كيفياته على ما هى عليه وبالضرورة نعلم ان تلك القوة عرض لا يعقل وكل ما كان مما لا اختيار له من جسم أو عرض كالحجارة وسائر الجمادات فمن نسب الى ما يظهر منها انها أفعالها مخترعة لها فهو في غاية الجهل وبالضرورة نعلم ان تلك الافعال خالق غيرها فيها ولا خالق هاهنا الا خالق الكل وهو الله لا اله الا هو

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن بلغ ههنا فقد كفانا الله تعالى شأنه لمجاهرته بالجهل العظيم والكفر المجرد في موافقته أهل الدهر وتكذيبه القرآن اذ يقول الله تبارك وتعالى * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا * وقوله تعالى * تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل * فاخبر تعالى ان تفاضلها في الطعوم من فعله عز وجل نعوذ بالله مما ابتلاهم به وأقحمهم فيه وقال معمر معنى قوله تعالى * خلق الموت والحياة * انما معناه الاماتة والاحياء

﴿ قال أبو محمد ﴾ فما زاد على انه أبدى تمام جهله بوجهين بينين أحدهما احالته النص من كلام ربه تعالى بلا دليل والثاني انه لم يزل عما لزمه لان الموت والحياة هما الاماتة والاحياء بلا شك لان الحياة والاحياء هو جمع النفس مع الجسد المركب الارضي والموت والاماتة شيء واحد وهو التفريق بين النفس والجسد المذكور فقط فاذا كان جمع النفس والجسد وتفريقهما مخلوقين لله تعالى فقد صح ان الموت والحياة مخلوقان له تعالى يقيناً وبطل تمويه هذا المجنون

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن النصوص القاطعة في هذا قول الله تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * فلجأ بعضهم الى دعوى الخصوص وذكر قول الله تعالى * تدمر كل شيء بامر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم * وقوله تعالى * وأوتيت من كل شيء * وقوله * ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا

موجودة في الخشب أو الانسان موجود في النطفة والنخلة موجودة في النواة والضياء موجود في الشمس ومنهم من أجراه على ظاهره وحكم بالتمييز بين النفوس بالخواص التى لها وقال اختصت كل نفس انسانية بخاصية لم يشاركها فيه غيرها فليست متفقة بالنوع أعني النوع الاخير ومنهم من حكم بالتميز بالعوارض التي هي مهيئة نحوها وكما انها تتمايز بعد الاتصال بالبدن بأنها كانت متمايزة في المادة كذلك تتمايز بأنها ستكون متمايزة بالابدان والصنائع والافعال واستعداد كل نفس لصنعة خاصة وعلم خاص فتنهض هذه فصولا ذاتية أو عوارض لازمة لوجودها * المسئلة السادسة عشر في بقائها بعد البدن وسعادتها في العالم العقلي قال ان النفوس الانسانية اذا استكملت قوتي العلم والعمل تشبهت بالاله تعالى ووصلت الى كمالها وانما هذا التشبه بقدر الطاقة يكون اما بحسب الاستعداد واما بحسب الاجتهاد فاذا فارق البدن اتصل بالروحانيين وانخرط في سلك الملائكة المقربين ويتم له الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذة فهي جسمانية فان تلك اللذات لذات نفسانية عقلية وهذه اللذة الجسمانية تنتهي الى حد ويعرض للمتلذ سآمة

فرحوا بما أوتوا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها بيان جلي على انها انما دمرت كل شيء أمرها الله تعالى بتدميره لا ما لم يأمرها فهو عموم لكل شيء أمرها به وقوله تعالى وأوتيت من كل شيء فمن للتبعيض فمن أتاه الله شيئاً من الاشياء فقد أتاه من كل شيء لانه قد أتاه بعض الاشياء وأما قوله تعالى ففتحنا عليهم أبواب كل شيء فحق ونحن لا ندري كيفية ذلك الفتح الا اننا ندري ان الله تعالى صدق فيما قال وانه تعالى انما أتاهم بعض الاشياء التي فتح عليهم أبوابها ثم لو صح برهان في بعض هذا العموم انه ليس على ظاهره وانما أريد به الخصوص لما وجب من ذلك ان يحمل كل عموم على خلاف ظاهره بل كل عموم فعلى ظاهره حتى يقوم برهان بانه مخصوص أو انه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص وبالنسخ الى ما لم يقم برهان بانه منسوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت حقيقة في شيء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبداً لانه لا يعجز أحد في أمر من أوامر الله تعالى وفي كل خبر من أخباره عز وجل ان يحمله على غير ظاهره وعلى بعض ما يقتضيه عمومه وهذا عين السفسطة والكفر والحماقة ونعوذ بالله من الخذلان ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن ذلك قوله تعالى *ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنص الله على انه برأ المصائب كلها فهو بارئ لها والبارئ هو الخالق نفسه بلا شك فصح يقيناً ان الله تعالى خالق كل شيء اذ هو خالق كل ما اصاب في الارض وفي النفوس ثم زاد تعالى

وكلال وضعف وقصور ان تعدي عن الحد المحدد بخلاف اللذات العقلية فانها حيث ما ازدادت ازداد الشوق والحرص والعشق اليها وكذلك القول في الآلام النفسانية فانها تقع بالضد مما ذكرنا ولم يحقق المعاد الا للانفس ولم يثبت حشرًا ولا نشرًا ولا انحلالا لهذا الرباط المحسوس من العالم ولا ابطالا لنظامه كما ذكره القدماء فهذه نكت كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة واكثرها من شرح ثامسطيوس والشيخ أبي علي بن سينا الذي يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول من القدماء الا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام ونحن الآن ننقل كلمات حكمية لاصحاب ارسطوطاليس ومن نسج على منواله بعده دون الآراء العلمية اذ لا خلاف بينهم في الآراء والعقائد ووجدت فصولا وكلمات للحكيم ارسطوطاليس من كتب متفرقة فنقلتها على الوجه وان كان في بعضها ما يدل على ان رأيه على خلاف مانقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا منها في حدث العالم قال الاشياء المحمولة أعني الصور المتضادة فليس يكون أحدهما من صاحبه بل يجب أن يكون بعد صاحبه فيتعاقبان على المادة فقد بان

بياناً برفع الاشكال جمله بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فبين تعالى ان ما اصاب الاموال والنفوس من المصائب فهو خالقها وقد تكون تلك المصائب افعال الظالمين باتلاف الاموال وأذى النفوس فنص تعالى على ان كل ذلك خلق له تعالى وبه عز وجل التوفيق واما من طريق النظر فان الحركة نوع واحد وكلما يقال على جملة النوع فهو يقال مقول على اشخاص ذلك النوع ولا بد فان كان النوع مخلوقاً فاشخاصه مخلوقة وايضاً فلو كان في العالم شيء غير مخلوق لله عز وجل لكان من قال العالم مخلوق والاشياء مخلوقة وما دون الله تعالى مخلوق كاذب لان في كل ذلك عندهم ما ليس بمخلوق ولكان من قال العالم غير مخلوق ولم يخلق الله تعالى الأشياء صادقاً ونعوذ بالله تعالى من كل قول أدى الى هذا ونسألهم هل الله تعالى اله العالم ورب كل شيء ام لا فان قالوا نعم سئلوا اعموماً او خصوصاً فان قالوا بل عموماً صدقوا ولزمهم ترك قولهم اذ من المحال ان يكون تعالى الهاً لما لم يخلق وان قالوا بل خصوصاً قيل لهم ففي العالم اذاً ما ليس الله الهاً له وما لا رب له وان كان هذا فان من قال ان الله تعالى رب العالمين كاذب وكان من قال ليس الله الهاً للعالمين ولا برب العالمين صادقاً وهذا خروج عن الاسلام وتكذيب لله تعالى في قوله انه رب العالمين وخالق كل شيء وقد وافقونا على ان الله تعالى خالق حركات المختارين من سائر الحيوان غير الملائكة والانس والجن وبالضرورة ندري الحركات الاختيارية كلها نوع واحد فمن المحال الباطل ان يكون بعض النوع مخلوقاً وبعضه غير مخلوق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واعترضوا باشياء من القرآن وهي انهم قالوا قال الله عز وجل * فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا * وقال تعالى * لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله * وقال تعالى

ان الصور تبطل وتدثر فاذا دثر معنى واجب أن يكون له بدوا لان الدثور غاية وهو احد الحاشيتين مادل على ان جابيا جابه فقد صح أن الكون حادث لا من شيء وان الحامل لها غير ممتنع الذات من قبولها وحمله اياها وهي ذات بدو وغاية يدل على ان حامله ذو بدو وغاية وانه حادث لا من شيء ويدل على محدث لا بدو له ولا غاية لان الدثور آخر والآخر ما كان له أول فلو كانت الجواهر والصور لم يزالا فغير جائز استحالتها لان الاستحالة دثور الصورة التي كان بها الشيء وخروج الشيء من حد الى حد ومن حال الى حال يوجب دثور الكيفية وتردد المستحيل في الكون والفساد يدل على دثوره وحدوث أحواله يدل على ابتدائه وابتداء جزء يدل على بدو كله وواجب ان قبل بعض ما في العالم الكون والفساد أن يكون كل العالم قابلا له وكان له بدو يقبل الفساد وآخر يستحيل الى كون فالبدو والغاية يدلان الى مبدع وقد سال بعض الدهرية ارسطوطاليس وقال اذا كان لم يزل ولا شيء غيره ثم أحدث العالم فلم أحدثه فقال له لم غير جائزة عليه لان لم يقتضي علة والعلة محمولة فيما هي علة

*فتبارك الله احسن الخالقين*وقوله تعالى*وتخلقون افكاً*وقوله تعالى *صنع الله الذي اتقن كل شيء*وقوله*الذي احسن كل شيء خلقه*وقوله* ماترى في خلق الرحمن من تفاوت*واعترضوا باشياء من طريق النظر وهي ان قالوا ان كان الله تعالى خلق اعمال العباد فهو اذاً يغضب مما خلق ويكره ما فعل ويسخط فعله ولا يرضى ما فعل ولا ما دبر وقالوا ايضاً كل من فعل شيئاً فهو مسمى به ومنسوب اليه لا يعقل غير ذلك فلو خلق الله الخطاء والكذب والظلم والكفر لنسب كل ذلك اليه تعالى الله عن ذلك وقالوا ايضاً لا يعقل فعل واحد من فاعلين هذا فعله كله أو هذا فعله كله وقالوا ايضاً انتم تقولون ان الله تعالى خالق الفعل وان العبد اكتسبه فاخبرونا عن هذا الاكتساب الذي انفرد به العبد أهو خلق ام هو غيره فان قلتم هو خلق الله لزمكم انه تعالى اكتسبه وانه مكتسب له اذ الكسب هو الخلق وان قلتم ان الكسب هو غير الخلق وليس خلقاً لله تعالى تركتم قولكم ورجعتم الى قولنا وقالوا ايضاً اذا كانت افعالكم مخلوقة لله تعالى وانتم تقولون انكم مستطيعون على فعلها وعلى تركها فقد اوجبتم انكم مستطيعون على ان لا يخلق الله تعالى بعض خلقه وقالوا ايضاً اذا كان فعلكم خلقاً لله تعالى وعذبكم على فعلكم فقد عذبكم على ما خلق وقالوا ايضاً قد فرض الله علينا الرضا بما خلق فان كان الظلم والكفر والكذب مما خلق ففرض علينا الرضا بالكفر والظلم والكذب

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه عمدة اعتراضاتهم التي لا يشذ عنها شيء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لاحجة لهم فيه على ما نبين ان شاء الله تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فنقول وبالله تعالى نستعين أما قول الله تعالى*ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله*فلا حجة لهم في هذا لان اول الآية في قوم كتبوا كتاباً وقالوا

له من معل فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب فتحيل ذاته العلل فلم عنه منفية فانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب ان يكون فاعلاً لم يزل لانه جواد لم يزل قال معنى لم يزل ان لا أول وفعل يقتضي أولاً واجتماع ان يكون ما لا أول له وذو أول في القول والذات محال متناقض قيل له فهل يبطل هذا العالم قال نعم قيل فاذا ابطله بطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التي لا تحتمل الفساد لان هذه الصيغة تحتمل الفساد تم كلامه ويعزي هـذا الفصل الى سقراطيس قاله لبقراطيس وهو بكلام القدماء أشبه ومما نقل عن أرسطوطاليس تحديده العناصر الاربعة قال الحار ما خلط بعض ذوات الجنس ببعض وفرق بين بعض ذات الجنس من بعض وقال البارد ما جمع بين ذوات الجنس وغير ذوات الجنس لان البرودة اذا جمدت الماء حتى صار جليداً اشتملت على الاجناس المختلفة من الماء والنبات وغيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذات غيره واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره والحدان الاولان يدلان على الفعل والآخران يدلان على الانفعال،

هذا من عند الله فا كذبهم الله تعالى في ذلك واخبر انه ليس منزلا
من عنده ولا مما امر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القوم ان هذا
الكتاب مخلوق فا كذبهم الله تعالى في ذلك وقال تعالى ان ذلك
الكتاب ليس مخلوقاً لله تعالى فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة ولا شك
عند المعتزلة وعندنا في ان ذلك الكتاب مخلوق لله تعالى لانه قرطاس
او اديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلا شك واما قوله * تبارك وتعالى
الله احسن الخالقين * فقد علمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا
يتدافع *وقال تعالى*ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً*
فاذ لا شك في هذا فقد وجدناه تعالى انكر على الكافرين*فقال تعالى*
ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل
شيء وهو الواحد القهار*فهذه الآية بينت ما تعلق به المعتزلة وذلك ان
قوماً جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فجعلوهم خالقين فانكر والله تعالى
ذلك فعلى هذا خرج*قوله تعالى*تبارك الله أحسن الخالقين* كما قال تعالى*
يكيدون كيداً وا كيد كيداً*وقال*ومكروا ومكر الله*ويبين بطلان ظنون
المعتزلة في هذه الآية قول الله تعالى* ويوم يناديهم أين شركائي قالوا
آذناك ما منا من شهيد* أفيكون مسلما من اوجب لله تعالى شركاً من
اجل قول الله تعالى للكفار الذين جعلوا له شركاء أين شركائي ولا شك
في ان هذا الخطاب انما خرج جواباً عن ايجابهم له الشركاء تعالى الله
عن ذلك وكذلك قوله تعالى* ذق انك انت العزيز الكريم *وقد علمنا
ان كلام الله تعالى كله هو على حكم ذلك المعذب لنفسه في الدنيا انه العزيز
الكريم وقد علمنا بضرورة العقل والنص انه ليس لله تعالى شركاء وانه
لا خالق غيره عز وجل وانه خالق كل شيء في العالم من عرض او جوهر
وبهذا خرج قوله تعالى*احسن الخالقين *مع *قوله تعالى*افمن يخلق كمن
لا يخلق*فلو امكن ان يكون في العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئاً لما

ونقل أرسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة ان مبادىء الاشياء هي العناصر الاربعة وعن بعضهم ان المبدأ الاول هو ظلمة وهاوية وفسروه بفضاء وخلاء وعماية وقد أثبت قوم من النصارى تلك الظلمة وسموها الظلمة الخارجة ومما خالف أرسطوطاليس أستاذه أفلاطن ان قال *أفلاطن من الناس من يكون طبعه مهيئاً لشيء لا يتعداه فخالفه وقال اذا كان الطبع سليماً صلح لكل شيء وكان أفلاطن يعتقد ان النفوس الانسانية أنواع يتهيأ كل نوع لشيء ما لا يتعداه وأرسطوطاليس يعتقد ان النفوس الانسانية نوع واحد واذا تهيأ صنف لشيء تهيأ له كل النوع (حكم الاسكندر الرومي) وهو ذو القرنين الملك وليس هو المذكور في القرآن بل هو ابن فيلفوس الملك وكان مولده في السنة الثالثة عشر من ملك دارا الاكبر سلمه أبوه الى أرسطوطاليس الحكيم المقيم بمدينة اينياس فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب حتى بلغ أحسن المبالغ ونال من الفلسفة ما لم ينله سائر تلامذته فاسترده والده حين استشعر من نفسه علة خاف منها فلما وصل اليه جدد العهد له وأقبل اليه واستولت العلة فتوفى منها

انكر ذلك عز وجل اذ هو عز وجل لا ينكر وجود الموجودات وانما ينكر الباطل فصح ضرورة لا شك فيها انه لا خالق غير الله تعالى فاذ لا شك في هذا فليس في قول الله تعالى احسن الخالقين اثبات لان في العالم خالقاً غير الله تعالى يخلق شيئاً وبالله تعالى التوفيق واما قوله وتخلقون افكاً وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام انه قال* اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير* وقول زهير بن ابي سلمى المزني

وأراك تخلق ما فريت * وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

فقد قلنا ان كلام الله تعالى لا يختلف وقد قال تعالى * أفمن يخلق كمن لا يخلق * وقال تعالى* ام اتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون* وبيقين علم كل ذي عقل ان من جملة اولئك الالهة الذين اتخذهم الكفار الملائكة والجن والمسيح عليه السلام قال تعالى* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم* وقال الله تعالى حاكياً عن الملائكة انهم قالوا عن الكفار* بل كانوا يعبدون الجن* فقد صح يقيناً بنص هذه الآية ان الملائكة والجن والمسيح عليه السلام لا يخلقون شيئاً اصلا ولا يختلف اثنان في ان جميع الانس في فعلهم كمن ذكرنا ان كانوا هؤلاء يخلقون افعالهم فسائر الناس يخلقون افعالهم وان كان هؤلاء لا يخلقون شيئاً من افعالهم فسائر الناس لا يخلقون شيئاً من افعالهم فان ذلك كذلك وكلام الله عز وجل لا يختلف فاذ لا شك في هذا فاذ الخلق الذي اثبته الله عز وجل للمسيح عليه السلام في الطير وللكفار في الافك هو غير الخلق الذي نفاه عنهم وعن جميع الخلق لا يجوز البتة غير هذا فاذ هذا هو الحق بيقين فالخلق الذي اوجبه الله تعالى لنفسه ونفاه عن غيره هو الاختراع والابداع واحداث الشيء من لا شيء بمعنى من عدم الى وجود وأما الخلق الذي اوجبه الله تعالى فانما هو ظهور الفعل منهم فقط وانفرادهم به والله تعالى خالقه فيهم وبرهان ذلك ان العرب تسمى الكذب اختلاقاً

واستقل الاسكندر بأعباء الملك فمن حكمه ان سأله معلمه وهو في المكتب ان أفضي اليك هذا الامر يوماً أين تضعني قال حيث تضعك طاعتك ذلك الوقت وقيل له انك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك قال لان أبي كان سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية وفي رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي سبب تجويد حياتي وفي رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب نطقي وقال أبو زكريا الصيمري لو قيل لي هذا لقلت وطرًا بالطبيعة التي اختلفت بالكون والفساد ومؤدبي أفادني العقل الذي به انطلقت الى ما ليس فيه الكون والفساد وجلس الاسكندر يوماً فلم يسأله أحد حاجته فقال لاصحابه والله ما أعد هذا اليوم من أيام عمري في ملكي قيل ولم أيها الملك قال لان الملك لا يوجد التلذذ به الا على السائل بالجود واغاثة الملهوف ومكافأة المحسن والا بانالة الراغب واسعاف الطالب وكتب اليه أرسطوطاليس في كلام طويل أجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة عن ضده حتى يتميز لك بصورته ومن وعدك من الخلف فانه

والقول

والقول الكاذب مختلقاً وذلك القول بلا شك انما هو لفظ ومعنى
واللفظ مركب من حروف الهجاء وقد كان كل ذلك موجود النوع
قبل وجود اشخاص هؤلاء المختلقين وهذا كقوله عز وجل * أفرأيتم
ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكقوله تعالى *فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى *فبيقين يدري
كل ذي حس يؤمن بالله تعالى وبالقرآن ان الزرع والقتل والرمي الذي
نفاه عن الناس وعن المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
غير الزرع والقتل والرمي الذي اضافه اليهم لا يمكنه البتة غير ذلك لانه
تعالى لا يقول الا الحق فاذ ذلك كذلك فان الذي نفاه عمن ذكرناه هو
خلق كل شيء واختراعه وابداعه وتكوينه واخراجه من عدم الى وجود
والذي اوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبة ذلك كله اليهم كذلك فقط
وبالله تعالى التوفيق وقول زهير. وارك تخلق مافريت .لا يشك من له
اقل فهم بالعربية انه لم يعن الابداع ولا اخراج الخلق من عدم الى وجود
وانما اراد النفاذ في الامور فقط فقد وضح ان لفظة الخلق مشتركة تقع
على معنيين احدهما لله تعالى لا لاحد دونه وهو الابداع من عدم الى
وجود والثاني الكذب فيما لم يكن او ظهور فعل لم يتقدم لغيره اونفاذ
فيما حاول وهذا كله موجود من الحيوان والله تعالى خالق كل ذلك
وبالله تعالى التوفيق وبهذا تتألف النصوص كلها واما قوله تعالى* صنع
الله الذي اتقن كل شيء *فهو عليهم لا لهم لان الله تعالى اخبر ان بصنعه
اتقن كل شيء.وهذا على عمومه وظاهره فالله تعالى صانع كل شيء واتقانه
له ان خلقه جوهراً او عرضاً جاريين على رتبة واحدة ابداً وهذا عين
الاتقان واما قوله تعالى *احسن كل شيء خلقه*فانهما قرآتان مشهورتان
من قرآت المسلمين احداهما احسن كل شيء خلقه باسكان اللام فيكون
خلقه بدلا من كل شيء بدل البيان فهذه القرآة حجة عليهم لان معناها

شين وشب وعيدك بالعفو فانه زين
وكن عبداً للحق فان عبد الحق
حر ولكن وكدك الاحسان الى
جميع الخلق ومن الاحسان وضع
الاساءة في موضعها واظهر لاهلك
انك منهم ولاصحابك انك بهم
ولرعيتك انك لهم وتشاور الحكماء
في أن يسجدوا له اجلالا وتعظيما
قال لا سجود لغير بارئ الكل بل
يحق له السجود على من كساه بهجة
الفضائل وأغلظ له رجل من أهل
اثينية فقام اليه بعض قواده ليقابله
بالواجب فقال له الاسكندر دعه
لا تنحط الى دناءته ولكن ارفعه الى
شرفك وقال من كنت تحب الحياة
لاجله فلا تستعظم الموت بسببه
وقيل له ان روشنك امرأتك ابنة
دارا الملك وهي من أجمل النساء
فلو قربتها الى نفسك قال اكره
أن يقال غلب الاسكندر دارا
وغلبت روشنك الاسكندر وقال
من الواجب على أهل الحكمة
أن يسرعوا الى قبول اعتذار
المذنبين وان يبطئوا عن العقوبة
وقال سلطان العقل على باطن العاقل
أشد تحكما من سلطان السيف
على ظاهر الاحمق وقال ليس الموت
بألم للنفس بل للجسد وقال الذي
يريد أن ينظر الى أفعال الله مجردة
فليعف عن الشهوات وقال ان نظم

ان الله تعالى احسن خلقه لكل شيء وصدق الله عز وجل وهكذا نقول ان خلق الله تعالى لكل شيء حسن والله تعالى محسن في كل شيء والقرآءة الاخرى خلقه بفتح اللام وهذه ايضاً لا حجة لهم فيها لانه ليس فيها ايجاب لان هاهنا شيئاً لم يخلق الله عز وجل ومن ادعى ان هذا في اقتضاء الآية فقد كذب وانما يقتضي لفظة الآية ان كل شيء فالله خلقه كما في سائر الآيات والله تعالى احسنه اذ خلقه وهذا قولنا وكذا نقول ان الانسان لا يفعل شيئاً الا الحركة أو السكون والاعتقاد والارادة والفكر وكل هذه كيفيات واعراض حسن خلقها من الله عز وجل قد احسن رتبتها وايقاعها في النفوس والاجساد وانما قبح ما قبح من ذلك من الانسان لان الله تعالى سمى وقوع ذلك أو بعضها ممن وقعت منه قبيحاً وسمى بعض ذلك حسناً كما كانت الصلاة الى بيت المقدس حركة حسنة ايماناً ثم سماها تعالى قبيحة كفراً وهذه تلك الحركة نفسها فصح انه ليس في العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه لكن ما سماه الله تعالى حسناً فهو حسن وفاعله محسن قال الله تعالى * ان احسنتم احسنتم لانفسكم * وقال تعالى * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وما سماه الله تعالى قبيحاً فهو حركة قبيحة وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء في العالم حسناً فهو كله من الله تعالى حسن وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك قبحه فهو قبيح وبعض ذلك حسنه فهو حسن وبعض ذلك قبحه ثم حسنه فكان قبيحاً ثم حسن وبعض ذلك حسنه ثم قبحه فكان حسناً ثم قبح كما صارت الصلاة الى الكعبة حسنة بعد ان كانت قبيحة وكذلك جميع افعال الناس التي خلقها الله تعالى فيهم كالوطء قبل النكاح وبعده وكسبي من نقض الذمة وسائر الشريعة كلها وقد اتفقت المعتزلة معنا على ان خلق الله تعالى للخمر والخنازير والحجارة المعبودة من دونه حسن بلا شك وهو سماه قبائح وارجاساً وحراماً ونجساً وسيئاً وخبيثاً

جميع ما في الارض شبيه بالنظم السماوي لانها أمثال له بحق وقال العقل لا يألم في طلب معرفة الاشياء بل الجسد يألم ويسأم وقال النظر في المرآة يرى رسم الوجه وفي أقاويل الحكماء يرى رسم النفس ووجدت في عضده صحيفة فيها قلة الاسترسال الى الدنيا أسلم والاتكال على القدر أروح وعند حسن الظن تقر العين ولا ينفع مما هو واقع التوقي وأخذ يوماً تفاحة فقال ما ألطف قبول هذه الهيولي الشخصية لصورتها وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل ولو قيل ألطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية وانفعالها لما تؤثر النفس الكلي فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل وسأله اطوسايس الكلبي أن يعطيه ثلاث حبات فقال الاسكندر ليس هذه عطية ملك فقال الكلبي اعطني مائة رطل من الذهب فقال ولا هذا مسئلة كلبي وقال بعضهم كنا عند شبر النجم اذ وصل الينا انهاء الملك

وهكذا القول في خلقه للاعراض في عباده ولا فرق وكذلك وافقنا اكثرهم على انه تعالي خالق فساد الدماغ والجنون المتولد منه والجذام والعمى والصمم والفالج والحدبة والادرة وكل هذا من خلق الله تعالي له حسن وكله فيما بيننا قبيح رديء جداً يستعاذ بالله منه وقد نص الله تعالي على انه خالق المصائب كلها فقال عز وجل * ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * فنص تعالى على انه برا المصايب كلها وبرا هو خلق بلا خلاف من أحد ولا فرق بين الزامهم ايانا ان الله تعالى احسن الكفر والظلم والجور والكذب والقبائح اذ خلق كل ذلك وبين اقرارهم معنا ان الله تعالى قد احسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وابليس وكل ما قال انا اله من دون الله تعالى والاوثان المعبودة من دون الله تعالى والمصايب كلها والامراض والعاهات اذ خلق كل ذلك فاي شيء قالوه في هذه الاشياء فهو قولنا في خلق الله تعالى للكفر به ولشتمه والظلم والكذب ولا فرق كل ذلك قد أحسن الله خلقه اذ حركة او سكوناً او ضميراً في النفس وسمى ظهوره من العبد قبيحاً موصوفاً به الانسان وأما قوله تعالى * ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت * فلا حجة لهم في هذا ايضاً لان التفاوت المعهود هو ما نافر النفوس او خرج عن المعهود فنحن نسمي الصورة المضطربة بان فيها تفاوتاً فليس هذا التفاوت الذي نفاه الله تعالي عن خلقه فاذ ليس هو هذا الذي يسميه الناس تفاوتاً فلم يبق الا ان التفاوت الذي نفاه الله تعالى عما خلق هو شيء غير موجود فيه البتة لانه لو وجد في خلق الله تعالى تفاوت لكذب قول الله عز وجل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولا يكذب الله تعالى الا كافر فبطل ظن المعتزلة ان الكفر والظلم والكذب والجور تفاوت لان كل ذلك موجود في خلق الله عز وجل مرئي فيه مشاهد بالعيان فيه فبطل

وأقامنا في جوف الليل وأدخلنا بستاناً ليرينا النجوم فجعل يشير اليها بيده ويسير حتى سقط في بئر فقال من تعاطى علم مافوقه بلي بجهل ماتحته وقال السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه لانا اذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه وقال استقلل كثير ما تعطي واستكثر قليل ما تأخذ فان قرة عين الكريم فيما يعطي ومسرة اللئيم فيما يأخذ ولا تجعل الشحيح أميناً ولا الكذاب صفياً فانه لا عفة مع شح ولا أمانة مع كذب وقال الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأي واجالة الرأي بتحصين الاسرار ولما توفي الاسكندر برومية المدائن وضعوه في تابوت من ذهب وحملوه الى الاسكندرية وكان قد عاش اثنين وثلاثين سنة وملك اثنى عشرة سنة وندبه جماعة من الحكماء الندبة فقال بايوص هذا يوم عظيم العبرة أقبل من شره ما كان مدبراً وأدبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من قد زال ملكه فليبكه وقال ميلاطوس خرجنا الى الدنيا جاهلين وأقمنا فيها غافلين وفارقناها كارهين وقال زينون الاصغر ياعظيم الشأن ما كنت الا ظل سحاب اضمحل فلما أضل فما نحس للملك أثرا ولا نعرف له خبرا وقال أفلاطن الثاني

احتجاجهم والحمد لله رب العالمين فان قال قائل فما هذا التفاوت الذي اخبر الله عز وجل انه لا يرى في خلقه قيل لهم نعم وبالله التوفيق هو اسم لا يقع على مسمى موجود في العالم اصلا بل هو معدوم جملة اذ لو كان شيئاً موجوداً في العالم لوجد التفاوت في خلق الله تعالى والله تعالى قد اكذب هذا واخبر انه لا يرى في خلقه ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان العالم كله ما دون الله تعالى وهو كله مخلوق لله تعالى اجسامه واعراضه كلها لا نحاشي شيئاً منها ثم اذا نظر الناظر في تقسيم انواع اعراضه وانواع اجسامه جرت القسمة جرياً مستوياً في تفصيل اجناسه وانواعه بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة وهيئة واحدة الى ان يبلغ الى الاشخاص التي تلي انواع الانواع لا تفاوت في شيء من ذلك البتة بوجه من الوجوه ولا تخالف في شيء منه أصلا ومن وقف على هذا علم ان الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معاً تحت نوع الشكل والتخطيط ثم تحت نوع الكيفية ثم تحت اسم العرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت في هذا بوجه من التقسيم وكذلك ايضاً نعلم ان الكفر والايمان بالقلب واقعان تحت نوع الاعتقاد ثم تحت فعل النفس ثم تحت الكيفية والعرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت من هذا الوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الايمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع فرع الهواء بآلات الكلام ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية وتحت اسم العرض وقوعا حقا مستويا لا تفاوت فيه ولا اختلاف وهكذا القول في الظلم والانصاف وفي العدل والجور وفي الصدق والكذب وفي الزنا والوطء الحلال وكذلك كل ما في العالم حتى يرجع جميع الموجودات الى الرؤس الاول التي ليس فوقها رأس يجمعها الا كونها مخلوقة لله تعالى وهي الجوهر والكم والكيف والاضافة على ما بينا في كتاب التقريب والحمد لله رب العالمين فانتني

أيها الساعي المتعصب جمعت ما خذلك ما تولى عنك فلزمتك أوزاره وعاد على غيرك مهناه وثماره وقال فوطس ألا تتعجبوا ممن لم يعظنا اختيارا حتى وعظنا بنفسه اضطرارا وقال مطور قد كنا بالامس نقدر على الاستماع ولا نقدر على القول واليوم نقدر على القول فهل نقدر على الاستماع وقال ثاون انظروا الى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال سوس كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوى الارض العريضة فلم يقنع حتى طوى منها في ذراعين وقال آخر ما سافر الاسكندر سفرا بلا اعوان ولا آلة ولا عدة الا سفره هذا وقال آخر ما أرغبنا فيما فارقت وأغفلنا عما عاينت وقال آخر لم يؤدبنا بكلامه كما أدبنا بسكونه وقال آخر من ير هذا الشخص فليتق وليعلم ان الديون هكذا قضاؤها وقال آخر قد كان بالامس طلعته علينا حياة واليوم النظر اليه سقم وقال آخر قد كان يسأل عما قبله ولا يسأل عما بعده وقال آخر من شدة حرصه على الارتفاع انحط كله وقال آخر الآن يضطرب الاقاليم لان مسكنها قد سكن (حكم ديوجانس الكلبي) وكان

التفاوت عن كل ماخلق الله تعالى وعادت الآية المذكورة حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها وهي انه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتاً كما زعموا لكان التفاوت موجوداً في خلق الرحمن وقد كذب الله تعالي ذلك ونفى ان يرى في خلقه تفاوت واما اعتراضهم من طريق النظر بان قالوا انه تعالي ان كان خلق الكفر والمعاصي فهو اذاً يغضب مما فعل ويغضب مما خلق ولا يرضى ماصنع ويسخط مافعل ويكره ما يفعل وانه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره فهذا تمويه ضعيف ونحن لا ننكر ذلك اذ اخبرنا الله عز وجل بذلك وهو تعالى قد اخبرنا انه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه وانه يكره كل ذلك ويغضب منه فليس الا التسليم لقول الله تعالى نعم نعكس عليهم هذا السؤال نفسه فنقول لهم أليس الله خالق ابليس وفرعون والخمر والكفار فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضى عز وجل عن هؤلاء كلهم ام هو ساخط لهم فلا بد من انه ساخط لهم كاره لهم غضبان عليهم غير راض عنهم فنقول لهم هذا نفس ما انكرتم من انه تعالي سخط تدبيره وغضب من فعله وكره ما خلق واعنه فان قالوا لم يكره عين الكافر ولا سخط شخص ابليس ولا كره عين الخمر لم نسلم لهم ذلك لانه تعالي قد نص على انه تعالي لعن ابليس والكفار وانهم مسخوطون ملعونون مكروهون من الله تعالى مغضوب عليهم وكذا الخمر والاوثان وقال * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه* وقال تعالى *ولحم خنزير فانه رجس* وقد سمى الله تعالى كل ذلك رجساً ثم امر بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل ذلك الى عمل الشيطان ولا خلاف في انه عزوجل خالق كل ذلك فهو خالق الرجس بالنص ولا فرق في المعقول بين خاق الرجس وخلق الكفر والظلم والكذب وقوله تعالى * ونفس وما سواها فالهمها

حكيما فاضلا متقشفاً لا يقتني شيئاً ولا يأوى الى منزل وكان من قدرية الفلاسفة لما يوجد في مدارج كلامه من الميل الى القدر قال ليس الله علة الشرور بل الله علة الخيرات والفضائل والجود والعقل جعله بين خلقه فمن كسبها وتمسك بها نالها لانه لا يدرك الخيرات الا بها سأله الاسكندر يوماً فقال بأي شيء يكتسب الثواب قال بأفعال الخيرات وانك لتقدر أيها الملك أن تكتسب في يوم واحد مالا يقدر عليه الرعية أن تكتسبه في دهرها وسأله عصبة من أهل الجهل ماغداؤك قال ماعفتم يعني الحكمة قالوا فما عفت قال ما استطبتم يعني الجهل قالوا كم عبد لك قال أربابكم يعني الغضب والشهوة والاخلاق الردية الناشئة منها قالوا فما أقبح صورتك قال ألم أملك الخلقة الذميمة فألام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها وأما ما صار في ملكي وأتي عليه تدبيري فقد استكملت ترتيبه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد واستكملتم شيئين مافي ملككم قالوا فما الذي في الملك من التزيين والتهجين قال أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب وقمع الشهوة بالعفاف وردع الغضب

بفجورها وتقواها *فعلى قول هؤلاء المخاذيل انه تعالى يغضب مما الهم ويكرهه والهامه فعله بلا شك ضرورة فقد صح عليهم ما شنعوا به من انه يغضب من فعله أيضاً فيقال لهم هل الله تعالى قادر على منع الظالم من المظلوم وعلى منع الذين قتلوا رسل الله صلى الله عليهم وسلم وعلى ان يحول بين الكافر وكفره وان يميته قبل ان يبلغ وبين الزاني وزناه باضعاف جارحته او بشيء يشغله به او تيسير انسان يطل عليهما ام هو عاجز عن ذلك كله قادر على شيء منه ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا هو غير قادر على شيء من ذلك عجزوا ربهم وكفروا وبطلت ادلتهم على احداث العالم اذ أضعفوا قدرته عن هذا اليسير السهل وان قالوا بل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا ايضاً على انه تعالى رأى المنكر والكفر والزنا والظلم فاقره ولم يغيره وأطلق ايدي الكفار على قتل رسله وضربهم ومع اقراره لكل ذلك فلم يكتفي بكل ذلك الا حتى قواهم بجوارحهم وآلاتهم وكف كل مانع وهذا على قولهم انه رضا منه تعالى بالكفر واختياراً منه تعالى لكل ذلك وهذا كفر مجرد وأما انه يغضب مما أقر ويسخط مما أعان عليه ويكره ما فعل من اقرارهم على كل ذلك وهذا هو الذي شنعوا به لا بد من احد الوجهين ضرورة وكلاهما خلاف قولهم الا ان هذا لازم لهم على اصولهم ولا يلزمنا نحن شيء منه لاننا لا نقبح الا ما قبح الله تعالى ولا نحسن الا ما حسن الله تعالى فان قالوا انما أقره لينتقم منه وانما يكون سفهاً وعبثاً لو اقره ابداً قيل لهم اي فرق بين اقراره تعالى الكفر والظلم والكذب ساعة وبين ابقائه اياه ساعة بعد ساعة وهكذا أبداً بلا نهاية او بنهاية في الحسن والقبح والا فعرفونا الامد الذي يكون اقرار الكفر والكذب والظلم اليه حكمة وحسناً واذا تجاوزه صار عبثاً وعيباً وسفهاً فان تكلفوا أن يحدوا في ذلك حداً أتوا بالجنون والسخف والكذب والدعوى التي لا يعجز عنها احد ولئن قالوا لا ندري

بالحلم وقطع الحرص بالقنوع وامانة الحسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مطية قد ارتاضت فتصرفت حيث صرفها فأرسلها في طلب العليات وهجر الدنيات ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة وتوسيخ العقل بضياع الادب واثارة الشهوة باتباع الهوى واضرام الغضب بالانتقام وامداد الحرص بالطلب وقدم اليه رجل طعاماً وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديم الاكل وعلينا باستعمال العدل وقال زمام العافية بيد البلا ورأس السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدها وقيل له مالك لا تغضب قال أما غضب الانسانية فقد أغضبه وأما غضب البهيمية فاني تركته لترك الشهوة البهيمية واستدعاه الملك اسكندر الى مجلسه يوماً فقال للرسول قل له ان الذي منعك من المصير الينا منعنا من المصير اليك منعك عني استغناؤك بسلطانك ومنعني عنك استغنائي بقناعتي وعابته دالسة اليونانية بقبح الوجه وذمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ووقف عليه الاسكندر يوماً فقال له ماتخافني

وردوا الامر في ذلك الى الله عز وجل صدقوا وهذا هو قولنا ان كل ما فعله الله تعالى من تكليف ما لا يطاق وتعذيبه عليها وخلقه الكفر والظلم في الكافر والظالم واقراره كل ذلك ثم تعذيبهما عليه وخلقه الكفر وغضبه منه وسخطه اياه كل ذلك من الله تعالى حكمة وعدل وحق وممن دونه تعالى سفه وظلم وباطل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون واما قولهم ان من فعل شيئاً وجب ان ينسب اليه ويسمى به نفسه وانه لا يعقل ولا يوجد غير هذا وايجابهم بهذا الاستدلال ان يسمى الله تعالى ظالماً لانه خالق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهذا ينتقض عليهم من وجهين احدهما ان هذا تشبيه محض لانهم يريدون ان يحكموا على الباري تعالى بالحكم الموجود الجاري على خلقه ويقال لهم اذ لم تجدوا فاعلا في الشاهد الا جسما ولا عالما الا بعلم هو غيره ولا حيا الا بحياة هي عرض فيه ولا مخبراً عنه الا جسما او عرضاً وما لم يكن كذلك فهو معدوم ولا يتوهم ولا يعقل ثم رأيتم الباري تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم فقد وجب ضرورة ان لا يحكم عليه تعالى بالحكم علينا في ان يسمى من افعاله ولا في ان ينسب اليه كما ينسب الينا بلا خلاف ذلك بالبرهان الضروري وهو ان الله عز وجل خلق كل ما خلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة في غيره فهكذا هو فعل الله تعالى فيما خلق واما فعل عباده لما فعلوا فانما معناه انه ظهر ذلك الفعل عرضاً محمولا في فاعله لانه اما حركة في متحرك واما سكون في ساكن او اعتقاد في معتقد او فكر في متفكر او ارادة في مريد ولا مزيد فبين الامرين بون بائن لا يخفى على من له اقل فهم واما المدح والذم واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو انه لا يستحق احد مدحا ولا ذما الا من مدحه الله تعالى او ذمه وقد أمرنا الله تعالى بحمده والثناء عليه فهو عز وجل محمود على كل ما فعله

قال أنت خير أم شرير قال خير قال فالحق بي من الخير معنى بل يجب على رجاؤه وكان لاهل مدينة من يونان صاحب جيش جبان وطبيب لم يعالج أحدا الا قتلهُ فظهر عليهم عدوٌ ففزعوا اليه وقال اجعلوا طبيبكم صاحبَ لقاء العدو واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال اعلم بأنك ميت لا محالة فاجهد أن تكون حيا بعد موتك لئلا يكون لميتتك ميتة ثانية وقال كما ان الاجسام تعظم في العين يوم الضباب كذلك تعظم الذنوب عند الانسان في حال الغضب وسئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفساً فارغة ورأى غلاماً معه سراج فقال له تعلم من أين تجيء هذه النار قال له الغلام ان أخبرتني الى أين تذهب أخبرتك من أين تجيء وأفحمه بعد ان لم يكن يقوى عليه أحد ورأى امرأة قد حملها الماء فقال على هذا المعنى جرى المثل دع الشر يغسله الشر ورأى امرأة تحمل نارا فقال نار على نار وحامل شر من محمول ورأى امرأة متزينة في ملعب فقال لم تخرج لترى ولكن لتري ورأى نساء يتشاورون فقال هذا جرى المثل هوذا الثعبان يستقرض من الافاعي سماً ورأى جارية تعلم الكتابة فقال يسقى هذا

الهدى والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا اله الا هو ويقال لهم ايضاً انتم تقرون بانه خلق القوة التي بها يكون الكفر والظلم والكذب وهيأها لعباده ولا يسمونه من اجل ذلك مغوياً على الكفر ولا معيناً للكافر في كفره ولا مسبباً للكفر ولا واهباً للكفر وهذا بعينه هو الذي عبتم وانكرتم ويقال لهم ايضاً اخبرونا عن تعذيبه اهل جهنم في النيران أمحسن هو بذلك اليهم أم مسيء فان قالوا بل محسن اليهم قالوا الباطل وخالفوا اصلهم وسألناهم ان يسألوا الله عز وجل لانفسهم ذلك الاحسان نفسه وان قالوا انه مسيء اليهم كفروا به وان قالوا ليس مسيئاً اليهم قلنا لهم فهم في اساءة او في احسان فان قالوا ليسوا في اساءة كابروا العيان وان قالوا بل هم في اساءة قلنا لهم هذا الذي انكرتم ان يكون منه تعالى اليهم حال هي غاية الاساءة ولا يسمى بذلك مسيئاً واما نحن فنقول لهم انهم في غاية المساءة والاساءة والسخط اليهم وعليهم وليس السخط احساناً الى المسخوط عليه وكذلك اللعنة للملعون وانه تعالى محسن على الاطلاق ولا نقول انه مسيء اصلا وبالله تعالى التوفيق والاصل في ذلك ما قلناه من انه لا يجوز ان يسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه الا بما اخبر به عن نفسه ولا مزيد فان قالوا اذا جوزتم ان يفعل الله تعالى فعلا ما هو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالماً فجوزنا ان نخبر بالشيء على خلاف ما هو ولا يكون بذلك كاذباً وان لا يعلم ما يكون ولا يكون بذلك جاهلا وان لا يقدر على شيء ولا يكون بذلك عاجزاً قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال من وجهين احدهما اننا قد اوضحنا انه ليس في العالم ظلم لعينه ولا بذاته البتة وانما الظلم بالاضافة فيكون قتل زيد اذا نهي الله عنه ظلما وقتله اذا أمر الله بقتله عدلا واما الكذب فهو كذب لعينه وبذاته فكل من اخبر بخبر بخلاف ما هو فهو كاذب الا انه لا يكون ذلك اثما ولا مذموما الا حيث اوجب الله

أبدًا بل هي ساكنة دائمة شبيهة بمركزها وأما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها وهو العقل حركة الاستكمال وعلى ان دائرة العقل وان كانت دائرة شبيهة بمركزها لكنها تتحرك حركة الاشتياق لانها تشتاق الى مركزها وهو الخير الاول وأما دائرة العالم السفلي فانها دائرة تدور حول النفس واليها تشتاق وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية شوقاً الى النفس كشوق النفس الى العقل وشوق العقل الى الخير المحض الاول ولان دائرة هذا العالم جرم والجرم يشتاق الى الشيء الخارج منه ويحرص الى أن يصير اليه فيعانقه فلذلك يتحرك الجرم الاقصى الشريف حركة مستديرة لانه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها وقال ليس للمبدع الاول تعالى صورة ولا حلية مثل صور الاشياء العالية ولا مثل صور الاشياء السافلة ولا قوة مثل قواها لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها بتوسط العقل وقال المبدع الحق ليس شيئا من الاشياء وهو جميع الاشياء لان الاشياء منه وقد صدق الافاضل الاوائل في قولهم مالك الاشياء كلها هو الاشياء كلها اذ هو علة كونها بأنه فقط وعلة

تعالى فيه الاثم والذم فقط وكذلك القول في الجهل والعجز انهما جعل لعينه وعجز لعينه فكل من لم يعلم شيئاً فهو جاهل به ولا بد وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولا بد والوجه الثاني ان بالضرورة التي بها علمنا من نواة التمر لا يخرج منها زيتونة وان الفرس لا ينتج جملا بها عرفنا ان الله تعالى لا يكذب ولا يعجز ولا يجهل لان كل هذه من صفات المخلوقين عنه تعالى منفية الا ما جاء نص بان يطلق الاسم خاصة من اسمائها عليه تعالى فيقف عنده وايضاً فان اكثر المعتزلة يحقق قدرة الباري تعالى على الظلم والكذب ولا يجيزون وقوعهما منه تعالى وليس وصفهم اياه عز وجل بالقدرة على ذلك بموجب امكان وقوعه منه تعالى فلا ينكروا علينا ان نقول ان الله عز وجل فعل افعالا هي منه تعالى عدل وحكمة وهي منا ظلم وعبث وليس يلزمنا مع ذلك ان نقول انه يقول الكذب ويجهل فبطل هذا الالزام والحمد لله رب العالمين وايضاً فاننا لم نقل انه تعالى يظلم ولا يكون ظالماً ولا قلنا انه يكفر ولا يسمى كافراً ولا قلنا انه يكذب ولا يسمى كاذباً فيلزمنا ما أرادوا والزامنا اياه وانما قلنا انه خلق الظلم والكذب والكفر والشر والحركة والطول والعرض والسكون اعراضاً في خلقه فوجب ان يسمى خالقاً لكل ذلك كما خلق الجوع والعطش والشبع والري والسمن والهزال واللغات ولم يجز ان يسمي ظالماً ولا كاذباً ولا كافراً ولا شريراً كما لم يجز عندنا وعندهم ان يسمي من اجل خلقه لكل ما ذكرناه متحركا ولا ساكنا ولا طويلا ولا عريضاً ولا عطشان ولا ريان ولا جائعاً ولا شابعاً ولا سميناً ولا هزيلا ولا لغويا وهكذا كل ما خلق الله تبارك وتعالى فانما يخبر عنه بانه تعالى خالق له فقط ولا يوصف بشيء مما ذكرنا الا من خلقه الله تعالى عرضاً فيه واما قولهم لا يفعل فعل من فاعلين هذا فعله كله وهذا فعله فان هذا تحكم ونقصان من القسمة اوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم وقولهم انما

شوقها اليه وهو خلاف الاشياء كلها وليس فيه شيء مما أبدعه ولا يشبه شيئا منه ولو كان ذلك لما كان علة الاشياء كلها واذا كان العقل واحداً من الاشياء فليس فيه عقل ولا صورة ولا حلية أبدع الاشياء بأنه فقط وبأنه يعلمها ويحفظها ويدبرها لا بصفة من الصفات وانما وصفناه بالحسنات والفضائل لانه علتها وانه الذي جعلها في الصور وهو مبدعها وقال انما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول فلذلك صارت ذوات مراتب شتى فمنها ما هو أول في المرتبة ومنها ما هو ثاني ومنها ما هو ثالث فاختلفت الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواس تختلف بأماكنها على أن القوى الحاسة فانها معاً لا يفترق بمفارقة الآلة وقال المبدع ليس متناه لا كأنه جثة بسيطة وانما عظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حلية ولا شكل فلذلك صار محبوباً معشوقاً يشتاقه الصور العالية والسافلة وانما اشتاقت اليه صور جميع الاشياء لانه مبدعها وكساها من جوده حلية الوجود وهو قديم دائم على حاله لا يتغير والعاشق يحرص على أن

يستدل بالشاهد على الغايب وهذا قول قد أفسدناه في كتابنافي الاحكام في اصول الاحكام بحمد الله تعالى ونبين ها هنا فساده بايجاز فنقول وبالله تعالى التوفيق انه ليس عن العقل الذي هو التمييز شيء غائب اصلا وانما يغيب بعض الاشياء من الحواس وكل ما في العالم فهو مشاهده في العقل المذكور لان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول فيه وكلاهما يقتضي خالقاً أولا واحداً لا يشبهه شيء من خلقه في وجه من الوجوه فان كانوا يعنون بالغائب الباري عز وجل فقد لزمه تشبيهه بخلقه اذ حكموا بتشبيه الغائب بالحاضر وفي هذا كفاية بل ما دل الشاهد كله الا ان الله تعالى بخلاف كل من خلق من جميع الوجوه وحاشا الله ان يكون جل وعز غائباً عنا بل هو شاهد بالعقل كما نشاهد بالحواس كل حاضر ولا فرق بين صحة معرفتنا به عز وجل بالمشاهدة بضرورة العقل وبين صحة معرفتنا لسائر ما نشاهده ثم نرجع انشاء الله تعالى الى انكارهم فعلا واحداً من فاعلين فنقول وبالله تعالى التوفيق انما امتنع ذلك فيما بيننا في الاكثر لا على العموم لما شاهدناه من انه لا تكون حركة واحدة في الاغلب لمتحركين ولا اعتقاد واحد لمعتقدين ولا ارادة واحدة لمريدين ولا فكرة واحدة لمتفكرين ولكن لو اخذ اثنان سيفاً واحدا او رمحا واحدا فضربا به انسانا فقطعاه او طعناه به لكانت حركة واحدة غير منقسمة لمتحركين بها وفعلا واحدا غير منقسم لفاعلين هذا امر يشاهد بالحس والضرورة وهذا منصوص في القرآن من انكره كفر وهو ان القرآة المشهورة عند المسلمين *انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا* وليهب لك غلاما زكيا كلا القراءتين بنقل الكواف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل صلى الله عليه وسلم فاذا قرئت بالهمز فهو اخبار جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الروح الامين انه هو الواهب لها عيسى عليه السلام واذا قرئت بالياء فهو من اخبار

جبريل

يصير اليه ويكون معه وللمشوق الاول عشاق كثيرون وقد يفيض عليهم كلهم من نوره من غير أن ينتقص منه شيء لانه ثابت قائم بذاته لا يتحرك وأما المنطق الجزوي فانه لا يعرف الشيء الا معرفة جزئية وشوق العقل الاول الى المبدع الاول أشد من شوق سائر الاشياء لان الاشياء كلها تحته واذا اشتاق اليه العقل لم يقل العقل لم صرت مشتاقاً الى الاول اذ العشق لا علة له فاما المنطق الذي يختص بالنفس فيفحص عن ذلك و يقول ان الاول هو المبدع الحق وهو الذي لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه وذلك ان كل صورة تطلب مصورها وتحن اليه وقال ان الفاعل الاول أبدع الاشياء كلها بغاية الحكمة لا يقدر أحد ان ينال علل كونها ولم كانت على الحال التي هي الآن عليها ولا ان يعرف كنه معرفتها ولم صارت الارض في الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان الباري صيرها كذلك وانما كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل بروئية وفكرة لا بانيته فقط بل يفصل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية

جبريل عن الله عز وجل بان الله تعالى هو الواهب لها عيسى عليه السلام فهذا فعل من فاعلين نسب الى الله عز وجل الهبة لانه تعالى هو الخالق لتلك الهبة ونسبت الهبة ايضاً الى جبريل لانه منه ظهرت اذ أتى بها وكذلك قوله عز وجل *وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي* فاخبر تعالى انه رمي وان نبيه رمى فاثبت تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الرمى ونفاه عنه معاً وبالضرورة ندري ان كلام الله عز وجل لا يتناقض فعلمنا ان الرمي الذي نفاه الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم هو غير الرمى الذي أثبته له لا يظن غير هذا مسلم البتة فصح ضرورة ان نسبة الرمي الى الله عز وجل لانه خلقه وهو تعالى خالق الحركة التي هي الرمي وممضي الرمية وخالق مسير الرمي وهذا هو المنفي عن الرامي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وصح ان الرمي للذي أثبته الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم هو ظهور حركة الرمي منه فقط وهذا هو نص قولنا دون تكلف وكذلك قوله تعالى *فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم* والقول في هذا كالقول في الرمى ولا فرق وكذلك قوله تعالى * زينا لكل امة عملهم* وقوله تعالى *فزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون* ضرورة ان تزيين الله لكل أمة عملها انما هو خلقه لمحبة أعمالهم في نفوسهم وان تزيين الشيطان لهم أعمالهم انما هو بظهور الدعاء اليها وبوسوسته وقال تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام انه قال* اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله* افليس هذا فعلا من فاعلين من الله تعالى ومن المسيح عليه السلام بنص الآية وهل خالق الطير ومبرئ الاكمه والابرص الا الله وقد اخبر عيسى اذ يخلق ويبرئ فهو فعل من فاعلين بلا شك وقال عز وجل مخبرا عن نفسه انه يحيي ويميت وقال عيسى عليه السلام عن نفسه واحيي الموتي باذن الله فبالضرورة نعلم ان الميت

الثقافة والاحكام والفاعل الاول لا يحتاج في ابداع الاشياء الى روية وفكرة وذلك انه ينال العلل بلا قياس بل يبدع الاشياء ويعلم عللها قبل الروية والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما أشبه ذلك انما كانت أجزاء وهو الذي أبدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد (حكم ثاوفرسطيس) كان الرجل من تلامذة ارسطوطاليس وكبار أصحابه واستخلفه على كرسي حكمته بعد وفاته وكانت المتفلسفة تختلف اليه وتقتبس منه وله تركيب الشروح الكثيرة والتصانيف المعتبرة وبالخصوص في الموسيقا فمما يؤثر عنه انه قال الالهية لا تتحرك ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا في الذات ولا في شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس على انهم مثل وشبه لما في السماء فهم الاباء والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة وليس لها أنفس نباتية فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان وقال الغناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس وقصرت عن تبيين كنهها فابرزتها لحونا وأثارت بها شجونا وأصم في عرضها فنونا وفتونا وقال الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما ان لذة المأكول والمشروب

الذي احياه عليه السلام والطاير الذي خلق بنص القرآن فان الله تعالى احياه وخلقه وعيسى عليه الصلاة والسلام احياه وخلقه بنص القرآن فهذا كله فعل من فاعلين بلا شك وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول في قوله تعالى *وأحلوا قومهم دار البوار جهنم* وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو الذي أحلهم فيها بلا شك لكن لما ظهر منهم السبب الذي حلوا به دار البوار اضيف ذلك اليهم كما قال تعالى عن ابليس * كما اخرج ابويكم من الجنة* وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو اخرجهما واخرج ابليس معهما لكن لما ظهر من ابليس السبب في خروجهما اضيف ذلك اليه وكما قال تعالى* لتخرج الناس من الظلمات الى النور *فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخرجنا من الظلمات الى النور وقد علمنا ان المخرج له عليه السلام وانما هو الله تعالى لكن لما ظهر السبب في ذلك منه عليه السلام اضيف الفعل اليه فهذا كله لا يوجب الشركة بينهم وبين الله تعالى كما تموه المعتزلة وكل هذا فعل من فاعلين وكذلك سائر الافعال الظاهرة من الناس ولا فرق وقال تعالى* انما نملي لهم ليزدادوا اثما* وقال تعالى* واملي لهم ان كيدي متين * وقال تعالى* الشيطان سول لهم واملي لهم* فعلمنا ضرورة ان املاء الله تعالى انما هو تركه اياهم دون تعجيل عقاب بل بسط لهم من الدنيا ومد لهم من العمر ما كان لهم عونا على الكفر والمعاصي وعلمنا ان املاء الشيطان انما هو بالوسوسة وانساء العقاب والحض لهم على المعاصي وقال تعالى * افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * فهذا فعل من فاعلين ضرورة نسب الى الله تعالى لانه اخترعه وخلقه وأنماه ونسب الينا لاننا تحركنا في زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا فهذه كلها افعال خلقها الله تعالى واظهرها في عباده فقط وبالله تعالى نتأيد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وتحقيق هذا القول في الافعال هو ان الله سبحانه وتعالى خلق كل ما خلق قسمين فقط جوهرا حاملا وعرضا محمولا

شيء يخص الجسم دون النفس وقال ان النفوس الى اللحون اذا كانت محجبة أشد اصغاء منها الى ما قد تبين لها وظهر معناه عندها وقال العقل نحوان أحدهما مطبوع والآخر مسموع فالمطبوع منها كالارض والمسموع كالبذر والماء فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقله من مكانه كما يستخرج البذر والماء ما في قعر الارض وقال الحكمة غنى النفس والمال غنى البدن وطلب غنى النفس أولى لانها اذا غنيت بقيت والبدن اذا غني فني وغنا النفس ممدود وغنى البدن محدود وقال ينبغي للعاقل أن يداري الزمان مداراة رجل لا يسبح في الماء الجاري اذا وقع وقال لا تغبطن بسلطان من غير عدل ولا بغنى من غير حسن تدبير ولا ببلاغة في غير صدق منطق ولا بجود في غير اصابة موضع ولا بأدب في غير اصابة رأي ولا بحسن عمل في غير حسنة (شبه برقلس) في قدم العالم ان القول في قدم العالم وأزليته الحركات بعد اثبات الصانع والقول بالعلة الاولى انما ظهر بعد أرسطوطاليس لانه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة

ناطقا

ناطقاً وغير ناطق فغير الحي هو الجماد كله والناطق هو الملائكة وحور العين والجن والانس فقط وغير الناطق هو كل ما عدا ذلك من الحيوان ثم خلق تعالى في الجمادات وفي الحي غير الناطق وفي الحي الناطق حركة وسكوناً وتأثيراً قد ذكرناه آنفاً فالفلك يتحرك والمطر ينزل والوادي يسيل والجبل يسكن والنار تحرق والثلج يبرد وهكذا في كل شيء بهذا جاء القرآن وجميع اللغات قال تعالى * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً * وقال تعالى * فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض * وقال تعالى * والفلك تجري في البحر بامره والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس * ومثل هذا كثير جداً وبهذا جاءت اللغات في نسبة الافعال الظاهرة في الجمادات اليها لظهورها فيها فقط لايختلف لغة في ذلك وقال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه السلام انه قال * اجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيراً من الناس * فاخبر ان الاصنام تضل وقال تعالي * تذروه الرياح وهذا اكثر من ان يحصى والاعراض ايضاً تفعل كما ذكرنا قال عز وجل * والعمل الصالح يرفعه وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم * فالظن يردى والعمل يرفع ولم تختلف أمة في صحة القول اعجبني عمل فلان وسرني خلق فلان ومثل هذا كثير جداً وقد وجدنا الحر يحلل ويصعد والبرد يجمد ومثل هذا كثير جداً وقد بيناه والكل خلق الله عز وجل واما حركة الحي غير الناطق والحي الناطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهر ايضاً ثم خلق سبحانه وتعالي في الحي غير الناطق وفي الحي الناطق قصداً ومشيئة لم يخلق ذلك في الجماد كارادة الحيوان الرعى وتركه والمشي وتركه والاكل وتركه وما اشبه هذا ثم خلق تعالي في الحي الناطق تميزاً لم يخلقه في الحي غير الناطق ولا في الجماد وهو التصرف في العلوم والمعارف هذا كله امر مشاهد وكل ذلك خلق الله تعالى فيما خلقه فيه ونسب الفعل في كل

وبرهاناً فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل الاسكندر الافرودوسي وثامسطيوس وفرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الى أفلاطن في هذه المسئلة كتاباً واورد فيه هذه الشبه والا فالقدماء انما أبدوا فيه ما نقلناه سابقا * الشبهة الاولى قال الباري تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم لم يزل فيلزم أن يكون وجود العالم قديما لم يزل ولا يجوز أن يكون مرة جوادا ومرة غير جواد فانه يوجب التغير في ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولا مانع من فيض جوده اذ لو كان مانع لما كان من من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شيء ولا مانع من شيء * الشبهة الثانية قال ليس يخلو الصانع من أن يكون لم يزل صانعاً بالفعل أو لم يزل صانعاً بالقوة بأن يقدر أن يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وان كان الثاني فما بالقوة لايخرج الى الفعل الا بمخرج ومخرج الشيء من القوة الى الفعل غير ذات الشيء فيجب أن يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه فلذلك ينافي كونه صانعا مطلقا لايتغير ولا يتأثر * الشبهة الثالثة قال كل علة لايجوز

ذلك الى من اظهره الله تعالى منه فقط نخلق تعالى كما ذكرنا في الحي الناطق الفعل والاختيار والتمييز وخلق في الحي غير الناطق الفعل والاختيار فقط وخلق في الجماد الفعل فقط وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا وبالجملة فلا فرق بين من كابر وجاهر فانكر فعل المطبوع بطابعه وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وبين آخر جاهر وكابر فانكر فعل المختار باختياره وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وكلا الامرين محسوس بالحس معلوم باول العقل وضرورته انه فعل لما ظهر منه ومعلوم كل ذلك بالبرهان الضروري انه خلق الله تعالى في المطبوع وفي المختار فان فروا الى القول بان الله تعالى لم يخلق فعل المختار وانه فعل المختار فقط. قلنا قد بينا بطلان هذا قبل ولكن نعارضكم ها هنا بان منكم من يقول بان الله تعالى ايضاً لم يخلق فعل المطبوع وانه فعل المطبوع فقط كمعمر وغيره من كبار المعتزلة فان قالوا اخطأ من قال هذا وكفر قلنا لهم واخطأ ايضاً وكفر من قال ان افعال المختار لم يخلقها الله تعالى ولا فرق فان قالوا ان الله تعالى هو خالق الطبيعة والمطبوع الذين ينسبون الفعل اليهما فهو خالق ذلك الفعل قلنا لهم والله عز وجل ايضاً هو خالق المختار وخالق اختياره وخالق قوته وهم الذين ينسبون الفعل اليهم فهو عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذي ذكرنا من اضافة التأثير وجميع الافعال الى كل من ظهرت منه من جماد او عرض او حي او ناطق او غير ناطق فهو الذي تشهد به الشريعة وبه جاء القرآن والسنن كلها وبه تشهد البينة لانه امر محسوس مشاهد وبه تشهد جميع اللغات من جميع اهل الارض قاطبة لا نقول لغة العرب فقط بل كل لغة لا نحاشي شيئاً منها وما كان هكذا فلا شيء اصح منه فان قالوا تسمون الجماد والعرض كاسباً قلنا لا لانا لا نتعدى ما جاءت به اللغة من أحال اللغة التي بها نزل القرآن برأيه

عليها التحرك والاستحالة فانما يكون علة من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الى فعل وكل علة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها واذا كانت ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل ٭ الشبهة الرابعة قال ان كان الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك ولا الفلك الا مع الزمان لان الزمان هو العاد لحركات الفلك ثم لا جائز أن يقال متى وقبل الا حين يكون الزمان موجوداً ومتى وقبل أبدي فالزمان أبدي فحركات الفلك أبدية فالزمان أبديٌّ ٭ الشبهة الخامسة قال ان العالم حسن النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقض الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير وليس يقدر على نقضه غيره فليس ينتقض أبدا وما لا ينتقض أبدا كان سرمدا ٭ الشبهة السادسة قال لما كان الكائن لا يفسد الا بشيء غريب يعرض له ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز أن يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان كل كائن فاسد ٭ الشبهة السابعة قال ان الاشياء التي هي في المكان الطبيعي لا تتغير ولا تتكون ولا تفسد وانما تتغير وتتكون وتفسد اذا كانت في أماكن غريبة فتجاذب الى أماكنها كالنار التي

فقد دخل في جملة من قال الله تعالى فيه *يحرفون الكلم عن مواضعه* ولحق بالسوفسطائية في ابطالهم التفاهم ولو جاءت اللغة بذلك لقلناه كما نقول ان الله عز وجل فاعل ذلك ولا نسميه كاسباً فان قيل اتقولون ان الجمادات والعرض عامل قلنا نعم لان اللغة جاءت بذلك وبه نقول الحديد يعمل والحر يعمل في الاجسام وهكذا في غير ذلك فان قيل اتقولون للجماد والعرض استطاعة وقوة وطاقة وقدرة قلنا انما نتبع اللغة فقط فنقول ان الجمادات والاعراض قوى يظهر بها ما خلق الله تعالى فيها من الافعال وفيها طاقة لها ولا نقول فيها قدرة ولا نمنع من ان نقول فيها طاقة قال الله تعالى *وانزلنا الحديد فيه بأس شديد* فنقول الحديد ذو بأس شديد وذو قوة عظيمة وذو طاقة وقد قلنا لكم لا نتعدى في التسمية والعبارة جملة ما جاءت به اللغة ولا نتعدى في تسمية الله تعالى والخبر عنه ما جاء به القرآن ونص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذي صح به البرهان وما عداه فباطل وضلال وبالله تعالى التوفيق واما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره فنعم كسبنا لما ظهر منا وبطن وكل صنعنا وجميع اعمالنا وافعالنا لذلك هو خلق لله عز وجل فينا كما ذكرنا لان كل ذلك شيء وقال تعالى *انا كل شيء خلقناه بقدر* ولكننا لا نتعدى باسم الكسب حيث اوقعه الله تعالى مخبراً لنا باننا نجزى بما كسبت ايدينا وبما كسبنا في غير موضع من كتابه ولا يحل ان يقال انه كسب لله تعالى لانه تعالى لم يقله ولا اذن في قوله ولا يحل ان يقال انها خالق لنا لان الله تعالى لم يقله ولا اذن في قوله لكن نقول هي خلق لله كما نص على انه خالق كل شيء ونقول هي كسب لنا كما قال تعالى *لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت* ولا نسميه في الشريعة ولا فيما يخبر به عن الله عز وجل لان الله خالق الالسنة الناطقة بالاسماء وخالق الاسماء وخالق المسميات حاشاه تعالى وخالق

في أجسادنا تحاول الانفصال الى مركزها فينحل الرباط فيفسد فاذا الكون والفساد انما يتطرق الى المركبات لا الى البسايط التي هي الاركان في أماكنها ولكنها هي بحالة واحدة وما هو بحال واحد فهو أزلي * الشبهة الثامنة قال العقل والنفس والافلاك تتحرك على الاستدارة والطبائع تتحرك اما على الوسط واما الى الوسط على الاستقامة واذا كان كذلك كان التفاسد في العناصر انما هو اتضاد حركاتها والحركة الدورية لا ضد لها فلم يقع فيها فساد قال وكليات العناصر انما تتحرك على استدارة وان كانت الاجزاء منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد واذا لم يجز أن يفسد العالم لم يجز أن يتكون وهذه الشبهات هي التي يمكن أن يقال فتنقض وفي كل واحدة منها نوع مغالطة واكثرها تحكمات وقد أفردت لها كتاباً وأوردت فيه شبهات أرسطوطاليس وهذه تقريرات أبي علي بن سينا ونقضتها على قوانين منطقية فليطلب ذلك ومن المتعصبين لبرقلس من مهد عذرا في ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين أحدهما روحاني بسيط والآخر جسماني مركب وكان أهل زمانه

الهواء الذي ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منها الاسماء فاذا كانت الاسماء مخلوقة لله والمسميات دونه تعالى مخلوقة لله عز وجل والمسمون الناطقون بالآتهم مخلوقين لله عز وجل فليس لاحد ايقاع اسم على مسمى لم يوقعه الله تعالى عليه في الشريعة او اباح ايقاعه عليه باباحته الكلام باللغة التي امرنا الله عز وجل بالتفاهم بها وبان نتعلم بها ديننا ونعلمه بها وقد نص تعالى على هذا القول وقال منكراً على قوم اوقعوا اسما على مسميات لم يأذن الله تعالى بهاولا بايقاعها عليها * ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * فاخبر عز وجل ان من اوقع اسماً على مسمى لم يأت به نص بايجابه او بالاذن فيه بالشريعة او بجملة اللغة فانما يتبع الظن والظن اكذب الحديث وانما يتبع هواه وقد حرم الله تعالى اتباع الهوى واخبر تعالى ان الهدى قد جاء من عنده وقال تعالى * وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة * فليس لاحد ان يتعدى القرآن والسنة اللذين هما هدى الله عز وجل وبه التوفيق فصح ضرورة انه ليس لاحد ان يقول ان افعالنا خلق لنا ولا انها كسب لله عز وجل ولكن الحق الذي لا يجوز خلافه هو انها خلق لله تعالى كسب لنا كما جاء في هدى الله الذي هو القرآن وقد بينا أيضاً ان الخلق هو الابداع والاختراع وليس هذا لنا اصلا فافعالنا ليست خلقاً لنا والكسب انما هو استضافة الشيء الى جاعله او جامعه بمشيئة له وليس يوصف الله تعالى بهذا في افعالنا فلا يجوز ان يقال هي كسب له تعالى وبه نتايد وايضاً فقد وافقونا كلهم على تسمية الباري تعالى بانه خالق للاجسام وكلهم حاشا معمراً وعمرو بن بحر الجاحظ موافقون لنا على تسمية الباري تعالى بانه خالق للاعراض كلها حاشا افعال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ ايضاً موافقون لنا على تسمية الباري تعالى

بانه

الذين يناطقونه جسمانيين وانما دعاه الى ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه فخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة لان من الواجب على الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة يتصرف فيها كل ناظر بحسب نظره و يستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلا يجدوا على قوله مساغاً ولا يصيبوا مقالا ولا مطعناً لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم وانه باق لا يدثر وضع كتاباً في هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانية فنقضوه على مذهب الدهرية وفي هذا الكتاب يقول لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الواصلة فيها وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فالقشور داثرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم الى عالمين عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر فاتصل بعضه ببعض وكان آخر هذا العالم من بدو ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم داثراً اذا كان متصلا بما ليس يدثر ومن وجه دثرت القشور وزالت الكدورة وكيف تكون القشور غير داثرة

بانه خالق الاماتة والاحياء وكلهم موافقون لنا على انه تعالى انما سمى خالقاً لكل ما خلق لابداعه اياه وكم يكن قبل ذلك فاذا ثبت بالبرهان اختراعه تعالى لسائر الاعراض التي خالفونا فيها وجب ان يسمى خلقاً له عز وجل ويسمى هو تعالى خالقاً لها واما اعتراضهم بانه اذا كانت افعالنا خلقاً لله تعالى وكان متوهما منا ومستطاعا عليه في ظاهر امرنا بسلامة جوارحنا ان لا تكون تلك الافعال فقد ادعينا اننا مستطيعون في ظاهر الامر بسلامة الجوارح وانه متوهم منا منع الله من ان يخلقها وهذا كفر مجرد ممن اجازه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لا لنا لانهم القائلون انهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقة على ترك افعالهم وعلى ترك الوطء الذي قد علم الله تعالى انه لا بد ان يكون وان يخلق منه الولد وعلى ترك الضرب الذي قد علم الله انه لا بد أن يكون وانه يكون منه الموت وانقضاء الاجل المسمى عنده وعلى ترك الحرث والزرع الذي قد علم الله تعالى أنه لا بد ان يكون وان يكون منه النبات الذي تكون منه الاقوات والمعاش فيلزمهم ولا بد انهم قادرون على منع الله تعالى مما قد علم وقال انه سيفعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن بلغ ههنا فلا بد ان يرجع اما تائباً محسناً الى نفسه أو خاسئاً غاوياً مقلداً منقطعاً أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ولا بد بسمع خلافه لضرورة الحس والمشاهدة وضرورة العقل والقرآن وبالله تعالى التوفيق وأما نحن فجوابنا هاهنا اننا لم نستطع قط على فعل ما لم يعلم الله اننا سنفعله ولا على ترك ما علم اننا نفعله ولا على فسخ علم الله تعالى أصلاً ولا على تكذيبه عز وجل في فعل ما أمر تعالى به وان كنا في ظاهر الامر نطلق ما اطلق الله تعالى من الاستطاعة التي لا يكون بها الا ما علم الله تعالى انه يكون ولا مزيد وهي استطاعة باضافة لا استطاعة

ولا مضمحلة وما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وأيضاً فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى بسيط وكل مركب ينحل حتى يرجع الى البسيط الذي تركب منه وكل بسيط باق دائم غير مضمحل ولا متغير قال الذي يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقبول عن مثله بل الذي اضاف اليه هذا القول الاول لا يخلو من احد امرين اما ان لم يقف على مرامه للعلة التي ذكرنا فيما سلف واما انه كان محسوداً عند أهل زمانه لكونه بسيط الفكر وسيع النظر سائر القوى وكانوا أولئك أصحاب أوهام وخيالات فانه يقول في موضع من كتابه ان الاوائل منها تكونت العالم وهي باقية لا تدثر ولا تضمحل وهي لازمة الدهر ماسكة له الا انها من أول واحد لا يوصف بصفة ولا يدرك بنعت ونطق لان صور الاشياء كلها منه وتحته وهو الغاية والمنتهى التي ليس فوقها جوهر هو أعظم منها الا الاول الواحد وهو الذي قوته أخرجت هذه الاوائل وقدرته أبدعت هذه المبادئ وقال أيضاً الحق لا يحتاج الى أن يعرف ذاته لانه حق حقاً بلا حق وكل حق حقاً فهو تحته انما هو حق حقا اذ حققه بالموجب له الحق

على الاطلاق لكن نقول هو مستطيع بصحة جوارحه أي انه متوهم كون الفعل منه فقط فان قالوا افأمركم الله تعالى بان تكذبوا قوله وتبطلوا علمه اذ أمركم بفعل ما علم انه لا تفعلونه قلنا عند تحقيق الامر فان امره عز وجل لمن علم انه لا يفعل ما أمر به أمر تعجيز كقوله * قل كونوا حجارة أو حديداً * وكقوله * من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد تحيرت المعتزلة هاهنا حتى قال بعضهم لولم يقتل زيد لعاش وقال أبو الهذيل لولم يقتل لمات وشغب القائلون بانه لولم يقتل لعاش بقول الله عز وجل * وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ في اجله فليصل رحمه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكل هذا لا حجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لان النقص في اللغة التي بها نزل القرآن انما هو من باب الاضافة وبالضرورة علمنا ان من عمر ماية عام وعمر آخر ثمانين سنة فان الذي عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاماً فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة لا ما يظنه من لا عقل له من ان الله تعالى جار تحت احكام عباده ان ضربوا زيداً اماته وان لم يضربوه لم يمته ومن ان علمه غير محقق فربما اعاش زيداً ماية سنة وربما اعاشه اقل وهذا هو البداء بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول بل الخلق كله مصرف تحت أمر الله عز وجل وعلمه فلا يقدر احد على تعدي ما علم الله تعالى انه يكون ولا يكون البتة الا ما سبق في علمه ان يكون والقتل نوع من انواع الموت فمن سأل عن المقتول لو لم يقتل لكان يموت أو يعيش فسؤاله سخيف لانه انما يسأل لو لم يمت هذا الميت اكان يموت أو كان

لا

فالحق هو الجوهر الممدد الطباع الحياة والبقاء وهو أفاد هذا العالم بدأ و بقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطن من الدنس الذي كان فيه قد علق به وقال ان هذا العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطاً روحانياً بقي بما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حد المراتب الروحانية مثل العوالم العلوية التي بلا نهاية وكان هذا واحدا منها وبقي جوهر كل قشر ودنس وخبث ويكون له أهل يلبسه لانه غير جائز أن تكون الانفس الطاهرة التي تلبس الادناس والقشور مع الانفس الكثيرة القشور في عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر والدنس عليه أغلب وأما ما كان من الباري بلا متوسط أو كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر على شيء من غير المتوسطات فيدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات و بعد الشيء عن الابداع الاول لانه حيثما قلت المتوسطات في الشيء كان أنور وأقل قشوراً ودنساً وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر أصفى والاشياء ابقى وانما ينقل عن برقلس انه قال

لا يموت وهذه حماقة جداً لان القتل علة لموت المقتول كما ان الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الامراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولا فرق واما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرّه ان ينسأ في أجله فليصل رحمه فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وانما معناه ان الله عز وجل لم يزل يعلم ان زيداً سيصل رحمه وان ذلك سبب الى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حي في الدنيا لان من علم الله تعالى ان سيعمره كذا وكذا من الدهر فانه تعالى قد علم وقدر انه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التي لابد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق في علم الله عز وجل كما هو لا يبدل قال تعالى * ما يبدل القول لدي * ولو كان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكان غير عليم بما يكون متشككاً فيه لا يكون أم لا يكون وجاهلا به جملة وهذه صفة المخلوقين لا صفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونص القرآن يشهد بصحة ما قلنا قال الله تعالى عز وجل *لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم *وقال تعالى * قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل *وقال تعالى *اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة * وقال تعالى منكر القول قوم جرت المعتزلة في ميدانهم *الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين *وقال تعالى *يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت *وقال تعالى *وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا*

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه نصوص لا يبعد من ردها بعد ان سمعها عن

ان الباري عالم بالاشياء كلها أجناسها وأنواعها وأشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فانه قال يعلم أجناسها وأنواعها دون أشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليات دون الجزويات كما ذكرنا ومما ينقل عنه في قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الا بعد ان لم يكن فابدعه الباري وفي الحالة التي لم يكن لم يخلو من حالات ثلاث اما ان الباري لم يكن قادراً فصار قادراً وذلك محال لانه قادر لم يزل واما انه لم يرد فاراد وذلك محال أيضاً لانه مريد لم يزل واما انه لم يفيض الحكمة وذلك محال ايضاً لان الوجود أشرف من العدم على الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلاث تشابها في الصفة الخاصة وهي القدم على أصل المتكلم أو كان القدم بالذات له دون غيره وان كانا معاً في الوجود والله الموفق (رأى ثامسطيوس) وهو الشارح لكلام ارسطوطاليس وانما يعتمد شرحه اذ كان أهدى القوم الى اشاراته ورموزه وهو على رأي ارسطوطاليس في جميع ما ذكرنا من اثبات العلة الاولى واختار من المذاهب في المبادىء قول من قال ان المبادىء ثلاثة الصورة والهيولى والعدم وفرق

الكفر نعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومو‌ه بعضهم بان ذكر قول الله تعالى *ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده*

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه الآية حجة عليهم لانه تعالى نص على انه قضى اجلا ولم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى * واجل مسمى عنده * فهذا الاجل المسمى عنده هو الذي قضى بلا شك اذ لو كان غيره لكان احدهما ليس اجلا اذا امكن التقصير عنه او مجاوزته ولكان الباري تعالى مبطلا اذ سماه اجلا وهذا كفر لا يقوله مسلم واجل الشيء هو ميعاده الذي لا يتعداه والا فليس يسمى اجلا البتة ولم يقل تعالى ان الاجل المسمى عنده هو غير الاجل الذي قضى فاجل كل شيء منقضى امره بالضرورة نعلم ذلك ويبين ذلك قوله تعالى * فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * وقال * ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها * وقد اخبرنا تعالى بذلك ايضاً فقال * وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتاباً مؤجلا * فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذي هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق واما الارزاق فان الله تعالى اخبرنا فقال * الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * وقال تعالى * وخلقناكم ازواجا * فكل مال حلال فانما نقول انه تعالى رزقناه وكل امرأة حلال فاننا نقول ان الله تعالى زوجنا اياها او ملكنا اياها واما من اخذ مالا بغير حق او امرأة بغير حق فلا يجوز ان يقول انه تعالى رزقنا اياه ولا ان الله تعالى ملكنا اياه ولا ان الله اعطانا اياه ولا ان الله تعالى زوجنا اياها ولا ان الله تعالى ملكنا اياها ولا انكحنا اياها لان الله تعالى لم يطلق لنا ان نقول ذلك وقد قلنا ان الله تعالى له التسمية لا لنا لكن نقول ان الله ابتلانا بهذا المال وبهذه المرأة وامتحننا بهما واضلنا بهما وخلق تملكنا اياهما ونكاحنا لنا واستمالنا اياهما ولا نقول

بين العدم المطلق والعدم الخاص فان عدم صورة بعينها عن مادة تقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف فان هذه المادة لا تقبل هذه الصورة أيضاً وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة لان العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وأرضية الا ان الغالب على الافلاك النارية كما ان الغالب على المركبات السفلية هو الارضية والكواكب نيران متشملات حصلت تراكيبها على وجه لا يتطرق اليها الانحلال لانها لا تقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والا فالطبائع واحدة والفرق يرجع الى ما ذكرنا ونقل ثامسطوس عن ارسطوطاليس وافلاطن وثاوفرمسطيس وفرفريوس وفلوطرخيس وهو رأيه في ان العالم أجمع طبيعة واحدة عامة وكل نوع من أنواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحدوا الطبيعة العامة انها مبداء الحركة في الاشياء والسكون فيها على الامر الاول من ذواتها وهي علة الحركة في المتحركات وعلة السكون في الساكنات زعموا ان الطبيعة هي التي تدبر الاشياء كلها في العالم حياته ومواته تدبيرا طبيعياً وليست هي حية ولا قادرة ولا

انه اطعمنا الحرام ولا اباح لنا الحرام ولا وهب لنا الحرام ولا آتانا الحرام كما ذكرنا من التسمية وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأما قولهم أليس اذا كانت أفعالكم لكم ولله تعالى فقد وجب انكم شركاؤه فيها فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا من ابرد ما موهوا به وهو عايد عليهم لانهم يقولون انهم يخترعون افعالهم ويخلقونها وهي بعض الاعراض وان الله تعالى يفعل ساير الاعراض ويخلقها ويخترعها فهذا هو عين الاشراك والتشبيه في حقيقة المعنى وهو الاختراع تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأما نحن فلا يلزمنا ايجاب الشركة لله تعالى فيما قلنا لان الاشراك لا يجب بين المشتركين الا باتفاقهما فيما اشتركا فيه وبرهان ذلك أن أموالنا ملك لنا وملك لله عز وجل باجماع منا ومنهم وليس ذلك بموجب ان تكون شركاؤه فيها لاختلاف جهات الملك لان الله تعالى انما هو مالك لها لانها مخلوقة له تعالى وهو مصرفنا فيها وناقلها عنا وناقلنا عنها كيف شاء الله تعالى وهي ملكنا لانها كسب لنا وملزمون احكامها ومباح لنا التصرف فيها بالوجوه التي اباحها الله تعالى لنا وايضاً فنحن عالمون بان محمداً رسول الله والله تعالى عالم بذلك وليس ذلك موجباً لان نكون شركاءه في ذلك العلم لاختلاف الامر في ذلك لان علمنا عرض محمول فينا وهو غيرنا وعلم الله تعالى ليس هو غيره ومثل هذا كثير جداً لا يحصى في دهر طويل بل لا يحصيه مفصلا الا الله وحده لا شريك له فكيف لم يجب الاشتراك البتة بين الله تعالى وبيننا عندهم في هذه الوجوه كلها ووجب ان يكون شركاءه في شيء ليس للاشتراك البتة فيه مدخل وهو خلقه تعالى لا فعال لنا هو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحن فاعلون لها بمعنى ظهورها محمولة فينا وهذا خلاف فعل الله تعالى لها وقد قال بعض اصحابنا بان الافعال لله تعالى من جهة الخلق وهي لنا من جهة الكسب

مختارة ولكن لا تفعل الا حكمة وصوابا وعلى تمام صحيح وترتيب محكم قال ثامسطيوس قال ارسطوطاليس في مقالة اللام ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم يكن حيواناً الا انها ألهمت من سبب هو أكرم منها وأوهي الى ان السبب هو الله وقال أيضاً ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية على الكون والفساد بكليتها وجزوئيتها يعني الفلك واالنيرات وطبيعة يلحق جزوئياتها الكون والفساد لا كلياتها يريد بالجزوئيات الاشخاص و بالكليات الاستقصات (رأي الاسكندر الافروديسي) وهو من كبار الحكماء رأياً وعلماً وكلامه أمتن ومقالته أرصن وافق ارسطوطاليس في جميع آرائه وزاد عليه في الاحتجاج على ان الباري عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزئياتها على نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بتكثره ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره أصلا بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك محيطاً بما دونه وكان الزمان جارياً عليه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسي يكنى ابا الحسن معتزلي فقال لي وللافعال جهات وزاد بعضهم فقال او ليست اعراضا والعرض لا يحمل العرض والصفة لا تحمل الصفة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا جهل من قائله وقضية فاسدة من اهذار المتكلمين ومشاغبهم وقول يرده القرآن والمعقول والاجماع من جميع اللغات والمشاهدة فاما القرآن فان الله تعالى يقول *عذاب عظيم وعذاب اليم ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر * وقال تعالى وانبتها نباتاً حسناً * وقال تعالى *ان كيد الشيطان كان ضعيفاً * وقال تعالى ومكروا مكراً كباراً *وقال تعالى *ان كيدكن عظيم *وقال تعالى *وجاؤا بسحر عظيم *وقال تعالى *صفراء فاقع لونها* وقال تعالى * قد بدت البغضاء من افواههم *وقال تعالى *اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى *وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم *وقال تعالى *اتبعوا ما اسخط الله *وقال تعالى *فلما اضاءت ما حوله *وقال تعالى* تلفح وجوههم النار* وقال تعالى *فاخذتكم الصاعقة* وقال تعالى *مما تنبت الارض* وقال تعالى لما يتفجر منه الانهار *وقال تعالى *فيخرج منه الماء *وقال تعالى *فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقال تعالى *والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فوصف الله تعالى العذاب بالعظم وبالايلام وبان فيه اكبر وادنى ووصف النبات بالحسن وكيد الشيطان بالضعف وكيد النساء بالعظم والمكر بالكبر والسحر بالعظم واللون بالفقوع وذكر ان البغضاء تبدو وان الكلام الطيب يصعد اليه تعالى وان الاعمال الصالحة ترفع الكلام الطيب وان الظن يردى وان العمل الردي يسخط الله تعالى ومثل هذا في القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من

لان الزمان هو العاد للحركات أو هو عدد الحركات ولما لم يكن يحيط بالفلك شيء آخر ولا كان الزمان جارياً عليه لم يجز أن يفسد الفلك ويكون فلم يكن قابلا للكون والفساد وما لم يقبل الكون والفساد كان قديماً أزلياً وقال في كتابه في النفس ان الصناعة تقتبل الطبيعة والطبيعة لا تقتبل الصناعة وقال للطبيعة لطف وقوة وان أفعالها تفوق في البراعة واللطف كل أعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال في ذلك الكتاب لا فعل للنفس دون مشاركة البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما وأومى الى انه لا يبقى للنفس بعد مفارقتها قوة أصلا حتى القوة العقلية وخالف استاذه ارسطوطاليس فانه قال الذي يبقى مع النفس من جميع ما لها من القوى هي القوة العقلية فقط ولذتها في ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط اذ لا قوة لها دون ذلك فتحس وتلتذ والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيآت أخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فتستعد بها لقبول الهيئات الملكية في ذلك العالم (رأي فرفوريوس) وهو أيضاً على رأي ارسطوطاليس ووافقه في جميع ما ذهب اليه ويدعي ان الذي يحكي

ان يجمع الا في جزء ضخم فكيف يساعد امرأ مسلما لسانه على انكار شيء من هذا بعد شهادة الله عز وجل بما ذكرنا واما اجماع اللغات فكل لغة لا ينكر احد فيها القول بصورة حسنة وصورة قبيحة وحمرة مشرقة وحمرة مضيئة وحمرة كدرة ولا يختلف احد من اهل الارض في ان يقول صف لي عمل فلان وهذا عمل موصوف وصفة عمل كذا وكذا وهذا هو الذي انكروا بعينه وهو اكثر من ان يحصى واما الحس والعقل والمعقول فبيقين يدري كل ذي فهم ان الكيفيات تقبل الاشد والاضعف هذه خاصة الكيفية التي توجد في غيرها وكل هذا عرض يحمل عرضاً وصفة تحمل صفة

﴿قال أبو محمد﴾ وقد عارضني بعضهم في هذا فقال لو أن العرض يحمل العرض لحمل ذلك العرض عرضاً آخر وهكذا أبدا وهذا يوجب وجود أعراض لا نهاية لها وهذا باطل

﴿قال أبو محمد﴾ فقلت ان المشاهدات لا تدفع بهذه الدعوى الفاسدة وهذا الذي ذكرت لا يلزم لاننا لم نقل ان كل عرض فواجب أن يحمل أبداً لكننا نقول ان من الاعراض ما يحمل الاعراض كالذي ذكرنا ومنها مالا يحمل الاعراض وكل ذلك جار على مارتبه الله عز وجل وعلى ما خلقه وكل ذلك له نهاية تقف عندها ولا يزيد ونحن اذا وجد فيما بيننا جسم يزيد على جسم آخر زيادة ما في طوله أو عرضه فليس يجب من ذلك أن الزيادة موجودة الى مالا نهاية له لكن تنتهي الزيادة الى حيث رتبها الله عز وجل وتقف وانما العلم كله معرفة الاشياء على ماهي عليه فقط ونقول لهم أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا فلا بد لهم من أن يقروا بأنها قد تخالفها في صفة ما الا أن ينكروا العيان فنقول لهم أتخالف الحمرة الصفرة أم لا فلا بد أيضاً من نعم فنقول لهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الحمرة للصفرة أم لا فلا بد من لا

عن أفلاطن من القول بحدث العالم غير صحيح قال في رسالته الى انابانوا اما ما فرق به افلاطن عندكم من انه يضع للعالم ابتداء زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان افلاطن ليس رأى ان للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة العلة و يزعم ان علة كونه ابتداؤه وقد رأى ان المتوهم عليه في قوله ان العالم مخلوق وانه حدث لا من شيء وانه خرج من لا نظام الى نظام فقد أخطأ وغلط وذلك انه لا يصح دائما ان كل عدم أقدم من الوجود فيما علة وجوده شيء آخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعني افلاطن ان الخالق أظهر العالم من العدم الى الوجود ان وجدانه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق وقال في الهيولي انها أمر قابل للصور وهي كبيرة وصغيرة وهما في الموضوع والحد واحد ولم يبين العدم كما ذكره ارسطوطاليس الا انه قال الهيولي لا صورة له فقد علم ان عدم الصورة في الهيولي وقال ان المكونات كلها انما تكون بالصور على قبول التغير وتفسد بخلو الصور عنها وزعم فرفوريوس ان من الاصول الثلاثة التي هي الهيولي والصور والعدم ان كل جسم اما ساكن واما متحرك وهاهنا شيء

ولو قالوا نعم للزمهم ان الصفرة هي الحمرة اذ كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة الا بما تخالف فيه الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فاذاً في الحمرة والصفرة صفتان بهما يختلفان غير الصفة التي بها تخالف الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فقد صح يقيناً ان الصفة قد تحمل الصفة وان العرض قد يحمل العرض بضرورة المشاهدة على حسب مارتبه الله تعالى وكل ذلك ذو نهاية ولا بد وتحقيق الكلام في هذه المعاني وتناهيها هو ان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد والجوهر أجناس وأنواع والعرض أجناس وأنواع والاجناس محصورة ببراهين قدذكرناها في كتاب التقريب عمدتها ان الاجناس أقل عدداً من الانواع المنقسمة تحتها بلا شك والانواع اكثر عدداً من الاجناس اذ لا بد من أن يكون تحت كل جنس نوعان او اكثر من نوعين والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة الا في ذي نهاية من مبدأه ومنتهاه لان مالا نهاية له فلا يمكن ان يكون شيء اكثر منه ولا أقل منه ولا مساوياً له لان هذا يوجب النهاية ولا بد فالعالم اذاً ذو نهاية لانه ليس شيئاً غير الاجناس والانواع التي للجواهر والاعراض فقط والمعاني انما هي للاشياء المعبر عنها بالالفاظ فقط فاذ هذا كما ذكرنا فانما نقيس الاشياء بصفاتها التي تقوم منها حدودها مثل ان نقول ما الانسان فنقول جسم ملون ونفس فيه تمكن أن تكون متصرفة في العلوم والصناعات يقبل الحياة والموت فيقال ما الجسم وما النفس وما اللون وما الصناعات وما العلوم وما الحياة وما الموت فاذا فسرت جميع هذه الالفاظ ورسمت كل ما يقع عليه وفعلت كذلك في جميع الاجناس والانواع فقد انتهت المعاني وانقطعت ولا سبيل الى التمادي بلا نهاية أصلا لان كل ما ينطق به او يعقل فانه لا يعدو الاجناس والانواع ألبتة والانواع والاجناس محصورة كما بينا وكل ماخرج من الاشخاص الى حد الفعل فقد حصره العدد لانه ذو مبدأ وكل ماحصره

العدد

يكون ما يتكون ويحرك الاجسام وكل ما كان واحداً بسيطاً ففعله واحد بسيط وما كان كثيراً مركباً فافعاله كثيرة مركبة وكل موجود ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط ومافي أفعاله يفعلها بتوسط فمركب وقال كل ما كان موجوداً فله فعل من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان الباري تعالى موجوداً ففعله الخاص هو الاجتلاب الى الوجود ففعل فعلا واحداً وحرك حركة واحدة وهو الاجتلاب الى شبهه يعني الوجود ثم اما ان يقال كان المفعول معدوماً يمكن ان يوجد وذلك هو طبيعة الهيولى بعينها فيجب ان يسبق الوجود طبيعة ما قابلة للوجود واما ان يقال لم يكن معدوماً يمكن أن يوجد بل أوجده عن لا شيء وابدع وجوده من غير توهم شيء سبقه وهو ما يقوله الموحدون قال فأول فعل فعله هو الجوهر الا ان كونه جوهر اوقع بالحركة فوجب أن يكون بقاؤه جوهرا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون بذاته بمنزلة الوجود الاول لكن من التشبه بذلك الاول وكل حركة تكون فاما على خط مستقيم واما على الاستدارة فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ولما كان وجود الجوهر

العدد فمتناه ضرورة لجميع المعاني من الاعراض وغيرها محصورة بما ذكرنا من البرهان الصحيح الذي ذكرنا ان كل ما في العالم مما خرج الى الوجود في الدهر مذ كان العالم من جنس او عرض فهو كله محصور عدده متناه أمده ذو غاية في ذاته في مبدأه ومنتهاه وعدده وبالله التوفيق وقد نعجز نحن عن عد شعور اجسامنا ونوقن انها ذات عدد متناه بلا شك فليس قصور قولنا عن احصاء عدد ما في العالم بمعترض على وجوب وجود النهاية في جميع أشخاص جواهره واعراضه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما قولهم اذا كان فعلنا خلقاً لله عز وجل ثم عذبنا عليه فانما عذبنا على خلقه فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا لا يلزم ولو لزمنا للزمهم اذا كان تعالى يعذبنا على ارادتنا وحركتنا الواقعتين منا أن يعذبنا على كل حركة لنا او على كل ارادة لنا بل على كل حركة في العالم وعلى كل ارادة فان قالوا لا يعذبنا الا على حركتنا وارادتنا الواقعين منا بخلاف امره عز وجل وكذلك نقول نحن انه لا يعذبنا الا على خلقه فينا الذي هو ظاهر منا بخلاف أمره وهو منسوب الينا ومكتسب لنا لايثارنا اياه المخلوق فينا فقط لا على كل ما خلق فينا أو في غيرنا ولا فرق ولو أخبرنا تعالى انه يعذبنا على ما خلق في غيرنا لقلنا به ولصدقناه كما نقر انه يعذب أقواماً على مالم يفعلوه قط ولا أمروا به لكن على ما يفعله غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عام لان أولئك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل قال الله تعالى *وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم* وقال تعالى *حاكياً عن أحد بني آدم عليه السلام انه قال *اني أريد أن تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار* وقال تعالى *ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون* وليس هذا معارضاً لقوله تعالى *وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء* بل كلا الآيتين متفقة مع الاخرى لان الخطايا التي نفى الله عز وجل أن يحملها

بالحركة وجب أن يتحرك الجوهر في جميع الجهات التي يمكن فيها الحركة فيتحرك جميع الجواهر في جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط وهي ثلاثة الطول والعرض والعمق الا انه لم يمكن ان يتحرك على هذه الخطوط بلا نهاية اذ ليس يمكن فيما هو بالفعل أن يكون بلا نهاية فيتحرك الجوهر في هذه الاقطار الثلاثة حركة متناهية على خطوط مستقيمة وصار بذلك جسما وبقي عليه أن يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيه أن يتحرك بلا نهاية ولا يسكن وقتاً من الاوقات الا انه ليس يمكن أن يتحرك باجمعه حركة على الاستدارة لان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وسكن بعضه في الوسط وقال كل جسم يتحرك فيماس جسماً ساكناً في طبيعته قبول التأثير منه حركه معه واذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار تلي الفلك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته أقل فلا يتحرك لذلك اجمعه لكن جزؤ منه فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك فهو بارد لسكونه وحار

عند الله تعالى فصح انا مستحقون بالنكال لظهور السيئة منا وانا عاصون بذلك كما حكم علينا تعالى فحكمه الحق والعدل ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق فان قالوا فاذا كان الله خالقكم وخالق افعالكم فانتم والجمادات سواء قلنا كلا لان الله تعالى خلق فينا علما تعرف به انفسنا الاشياء على ما هي عليه وخلق فينا مشيئة لكل ما خلق فينا مما يسمى فعلا لنا نخلق فيه استحسان ما يستحسنه واستقباح ما يستقبحه وخلق تصرفاً في الصناعات والعلوم ولم يخلق في الجمادات شيئاً من ذلك فنحن مختارون قاصدون مريدون مستحسنون أو كارهون متصرفون علما بخلاف الجمادات فان قيل فأنتم مالكون لاموركم مفوض اليكم أعمالكم مخترعون لافعالكم قلنا لا لان الملك والاختراع ليس هو لاحد غير الله تعالى اذ الكل مما في العالم مخترع له وملك له عز وجل والتفويض فيه معنى من الاستغناء ولا غني باحد عن الله عز وجل وبه نتايد

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذ قد أبطلنا بحول الله تعالى وقوته كل ما شغب به المعتزلة في ان افعال العباد غير مخلوقة لله تعالى فلنأت ببرهان ضروري ان شاء الله تعالى على صحة القول بانها مخلوقة لله تعالى فنقول وبه عز وجل نتايد ان العالم كله ما دون الله تعالى ينقسم قسمين جوهر وعرض لا ثالث لهما ثم ينقسم الجوهر الى اجناس وانواع ولكل نوع منها فصل يتميز به مما سواه من الانواع التي يجمعها واياه جنس واحد وبالضرورة نعلم ان ما لزم الجنس الاعلى لزم كل ما تحته اذ محال ان تكون نار غير حارة او هواء راسب بطبعه او انسان صهال بطبعه وما اشبه هذا ثم بالضرورة نعلم ان الانسان لا يفعل شيئاً الا الحركة والسكون والفكر والارادة وهذه كلها كيفيات يجمعها مع اللون والطعم والمجسة والاشكال جنس الكيفية فمن المحال الممتنع ان يكون بعض ما تحت النوع الواحد والجنس الواحد مخلوقاً وبعضه غير مخلوق وهذا امر يعلمه باطلا من له

ادنى

كتبه على ايجاز واختصار لانها عيون كلامه ومتون مراده وأعرضت عن نقل طرق الباقين وكل الصيد في جوف الفرا كلامه في المنطق (قال أبو علي بن عبد الله بن سينا) العلم اما تصور واما تصديق فالتصور هو العلم الاول وهو ان تدرك أمراً ساذجاً من غير أن تحكم عليه بنفي أو اثبات مثل تصورنا ماهية الانسان والتصديق هو ان تدرك أمراً وأمكنك ان تحكم عليه بنفي أو اثبات مثل تصديقنا بأن للكل مبدأ وكل واحد من القسمين منه ما هو أولي ومنه ما هو مكتسب فالتصور المكتسب انما يستحصل بالحد وما يجري مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجري مجراه فالحد والقياس آلتان بهما تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالروية وكل واحد منهما منه ما هو حقيقي ومنه ما هو دون الحقيقي ولكنه نافع منفعة بحسبه ومنه ما هو باطل مشبه بالحقيقي والفطرة الانسانية غير كافية في التمييز بين هذه الاصناف الا ان تكون مؤيدة من عند الله فلا بد إذاً للناظر من آلة قانونية تعصمه مراعاتها عن ان يضل في فكره وذلك هو الغرض في المنطق ثم ان كل واحد من الحد والقياس فمؤلف من معاني

ادنى علم بحدوث العالم وانقسامه وحركتنا وسكوننا يجمع كل ذلك مع
كل حركة في العالم وكل سكون في العالم نوع من الحركة ونوع من
السكون ثم ينقسم كل ذلك قسمين ولا مزيد حركة اضطرارية وحركة
اختيارية وسكوناً اختيارياً وسكوناً اضطرارياً وكل ذلك حركة تحد بحد
الحركة وسكون يحد بحد السكون ومن المحال ان يكون بعض الحركات
مخلوقاً لله تعالى وبعضها غير مخلوق وكذلك السكون ايضاً فان لجؤا
الى قول معمر في ان هذه الاعراض كلها فعل ما ظهرت فيه بطباع
ذلك الشيء سهل امرهم بعون الله تعالى وذلك انهم اذا اقروا ان الله تعالى
خالق المطبوعات ومرتب الطبيعة على ما هي عليه فهو تعالى خالق ما ظهر
منها لانه تعالى هو رتب كونه وظهوره على ما هو عليه رتبة لا يوجد
بخلافها وهذا هو الخلق بعينه ولكنهم قوم لا يعلمون كالمتكسع في
الظلمات وكما قال تعالى* كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا* نعوذ
بالله من الخذلان وايضاً فان نوع الحركات موجود قبل خلق الناس فمن
المحال البين ان يخلق المرء ما قد كان نوعه موجوداً قبله وايضاً فان
عمدتهم في الاحتجاج على القائلين بان العالم لم يزل انما هي مقارنة الاعراض
للجواهر وظهور الحركات ملازمة للمتحرك بها فاذا كان ذلك دليلاً
باهراً على حدوث الجواهر وان الله تعالى خلقها فما المانع من ان يكون
ذلك دليلاً باهراً ايضاً على حدوث الاعراض وان الله تعالى خلقها ولولا
ضعف عقول القدرية وقلة علمهم نعوذ بالله مما امتحنهم به ونسأله التوفيق
لا اله الا هو وايضاً فان الله تعالى قال* اذا لذهب كل اله بما خلق *فاثبت
تعالى ان من خلق شيئاً فهو له اله فيلزمهم بالضرورة انهم آلهة لافعالهم
التي خلقوها وهذا كفر مجرد ان طردوه والا لزمهم الانقطاع وترك قولهم
الفاسد وايضاً فان من خلق شيئاً لم يعنه غيره عليه لكن انفرد بخلقه فبالضرورة
يعلم انه يصرف ما خلق كما يفعله اذا شاء ويتركه اذا شاء ويفعله حسناً

معقولة بتأليف محدود فيكون لها
مادة منها الفت وصورة بها التأليف
والفساد قد يعرض من احدى
الجهتين وقد يعرض من جهتيهما معاً
فالمنطق هو الذي انه من أي المواد
والصور يكون الحد الصحيح والقياس
السديد الذي يوقع يقيناً ومن ايها
ما يوقع بمقدار شبيهاً باليقين ومن
ايها ما يوقع ظناً غالباً ومن ايها ما
يوقع مغالطة وجهلا وهذه فائدة
المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية
بالفاظ مسموعة والافكار العقلية
بأقوال عقلية فتلك المعاني التي
في الذهن من حيث يتأتى بها الى
غيرها كانت موضوعات المنطق
ومعرفة أحوال تلك المعاني مسائل
علم المنطق فكان المنطق بالنسبة الى
المعقولات على مثل النحو بالنسبة
الى الكلام والعروض الى الشعر
فوجب على المنطقي أن يتكلم في
الالفاظ أيضاً من حيث تدل على
المعاني واللفظ يدل على المعنى من
ثلاثة أوجه أحدها بالمطابقة والثاني
بالتضمن والثالث بالالتزام وهو ينقسم
الى مفرد ومركب فالمفرد ما يدل
على معنى وجزؤ من اجزائه لا
يدل على جزؤ من أجزاء ذلك
المعنى بالذات أي حين هو جزؤ له
والمركب هو الذي يدل على معنى
وله اجزاء منها يلتأم مسموعة ومن

اذا شاء وقبيحا اذا شاء فاذهم خلقوا حركاتهم وارادتهم منفردين بخلقها فليظهروها الى ابصارنا حتى نراها او نلمسها او ليزيدوا في قدرها وليخالفوها عن رتبتها فان قالوا لا نقدر على ذلك فليعلموا انهم كاذبون في دعاويهم خلقها لانفسهم فان قالوا انما نفعلها كما قوانا الله على فعلها فليعلموا ان الله تعالى اذا هو المقوي على فعل الخير والشر فان به عز وجل كان الخير والشر واذ لولا هو لم يكن خير ولا شر وبه كانا فهو كونهما واعان عليهما واظهرهما واخترعهما وهذا معنى خلقه تعالى لهما وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان ان الله تعالى خالق افعال خلقه قوله تعالى حاكياً عن سحرة فرعون مصدقا لهم ومثنياً عليهم في قولهم * ربنا افرغ علينا صبرا * فصح انه خالق ما يفرغه من الصبر الذي لو لم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر وايضاً فان جنس الحركات كلها والسكون كله والمعارف كلها جنس واحد وكل ما قيل على الكل قيل على جميع اجزائه وعلى كل بعض من ابعاضه فنسألهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفته بما يعرف من مضاره ومنافعه في اكله وشربه وغير ذلك أكل ذلك مخلوق لله تعالى ام هو غير مخلوق فان قالوا كل ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التي يشهد العقل والحس بتصديقها وظهر فساد قولهم في التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائر الحيوان بما عرفه وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان وبين سكوننا وسكونه وهذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا برهان وان قالوا بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثل ذلك في سائر الاعضا كلها فان تناقضوا أكفونا انفسهم وان تمادوا الزمهم انه تعالى لم يخلق شيئاً من الاعراض وهذا الحاد ظاهر وابطال للخلق وكفى بهذا اضلالا ونعوذ بالله من الخذلان ويكفي من هذا ان الاعراض تجري على صفات الفاعل ونحن نجد الحكيم لا يقدر على الطيش والبذاء وان الطياش البذي لا يقدر على الحياء والصبر والسيئ الخلق لا يقدر على

الحلم

معانيها يلتئم معنى الجملة والمفرد ينقسم الى كلي والى جزوي فالكلي هو الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق ولا يمنع نفس مفهومة عن الشركة فيه والجزوي هو مايمنع نفس مفهومه ذلك ثم الكلي ينقسم الى ذاتي وعرضي والذاتي هو الذي يقوم ماهية ما يقال عليه والعرضي هو الذي لا يقوم ماهيته سواء كان مفارق في الوجود والوهم و بين الوجود له ثم الذاتي ينقسم الى ما هو مقول في جواب ما هو وهو اللفظ المفرد الذي يتضمن جميع المعاني الذاتية التي يقوم الشيء بها وفرق بين المقول في جواب ماهو و بين الداخل في جواب ما هو والى ما هو مقول في جواب أي شيء هو وهو الذي يدل على معنى يتميز به أشياء مشتركة في معنى واحد تميزا ذاتياً واما العرضي فقد يكون ملازماً في الوجود والوهم و به يقع تمييز أيضاً لا ذاتياً وقد يكون مفارقاً وفرق بين العرضي والعرض هو الذي قسيم الجوهر واما رسوم الالفاظ الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية في جواب ما هو والنوع يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالعدد

الحلم والحليم لا يقدر على النزق والسخي لا يقدر على المنع والشحيح لا يقدر على الجود وقال تعالى * ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فصح ان من الناس موقى شح نفسه مفلحاً وغير موقي ولا مفلح وكذلك الزكي لا يقدر على البلادة والبليد لا يقدر على الزكا والحافظ لا يقدر على النسيان والناسي لا يقدر على ثبات الحفظ والشجاع لا يقدر على الجبن والجبان لا يقدر على الشجاعة هكذا في جميع الاخلاق التي عنها تكون الافعال فصح ان ذلك خلق لله تعالى لا يقدر المرء على احالة شيء من ذلك أصلا حتى ان مخرج صوت احدنا وصفة كلامه لا يقدر البتة على صرفه كما خلق عليه من الجهارة والخفاء أو الطيب والسماحة وكذلك خطه لا يمكنه صرفه عما رتبه الله تعالى عليه ولو جهد وهكذا جميع حركات المرء حتى وقع قدميه ومشيه فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كما يشاء فاذا ليس فيه قوة على صرف شيء من ذلك عن هيئته فقد ثبت ضرورة انه خلق الله تعالى فيمن نسب في اللغة الى انه فاعله وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ واكثرت المعتزلة في التولد وتحيرت فيه حيرة شديدة فقالت طائفة ما يتولد عن فعل المرء مثل القتل والالم المتولد عن رمي السهم وما اشبه ذلك فانه فعل الله عز وجل وقال بعضهم بل هو فعل الطبيعة وقال بعضهم بل هو فعل الذي فعل الفعل الذي عنه تولد وقال بعضهم هو فعل لا فاعل له وقال جميع اهل الحق انه فعل الله عز وجل وخلقه فالبرهان في ذلك هو البرهان الذي ذكرنا في خلق الافعال من ان الله تعالي خالق كل شيء وبالله تعالى التوفيق

الكلام في التعديل والتجوير

﴿ قال أبو محمد ﴾ رحمه الله هذا الباب هو اصل ضلالة المعتزلة نعوذ بالله من ذلك على اننا رأينا منهم من لا يرضى عن قولهم فيه

في جواب ماهو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعاً متوسطاً فهو المقول على كثيرين مختلفين في جواب ماهو ويقال عليه قول آخر في جواب ماهو بالشركة وينتهي الارتقاء الي جنس لا جنس فوقه وان قدر فوق الجنس أمر أعم منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الى نوع لا نوع تحته وان قدر دون النوع صنف أخص فيكون الخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بأنه الكلي الذاتي الذي يقال به على نوع تحت جنسه بأنه أي شيء هو ويرسم الخاصة بأنه هو الكلي الذاتي الدال على نوع واحد في جواب أي شيء هو لا بالذات ويرسم العرض العام بأنه الكلي المفرد الغير الذاتي ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض على هذا وعلى الذي هو قسيم الجوهر وقوع بمعنيين مختلفين في المركبات الشيء اما عين موجودة واما صورة مأخوذة عنه في الذهن ولا يختلفان في النواحي والامم واما لفظة تدل على الصورة التي في الذهن واما كتابة دالة على اللفظ ويختلفان في الامم والكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على الصورة في الذهن وتلك الصورة دالة على الاعيان الموجودة ومبادي القول والكلام

﴿ قال أبو محمد ﴾ وذلك ان جمهورهم قالوا وجدنا من فعل الجور في الشاهد كان جائراً ومن فعل الظلم كان ظالماً ومن أعان فاعلا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائراً عابثاً قالوا والعدل من صفات الله تعالى والظلم والجور منفيان عنه قال تعالى* وما ربك بظلام للعبيد* وقال تعالى* وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون* وقال تعالى* فما كان الله ليظلمهم* وقال تعالى * لا ظلم اليوم*

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد علم المسلمون ان الله تعالى عدل لا يجور ولا يظلم ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال من ان عقولهم حاكمة على الله تعالى في ان لا يحسن منه الا ما حسنت عقولهم وانه يقبح منه تعالى ما قبحت عقولهم وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه اذ حكموا عليه بانه تعالى يحسن منه ما حسن منا ويقبح منه ما قبح منا ويحكم عليه في العقل بما يحكم علينا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا مذهب يلزم كل من قال لما كان الحي في الشاهد لا يكون الا بحياة وجب أن يكون الباري تعالى حياً بحياة وليس بين القولين فرق وكلاهما لازم لمن التزم احدهما وكلاهما ضلال وخطأ وانما الحق هو ان كل ما فعله الله عز وجل اي شيء كان فهو منه عز وجل حق وعدل وحكمة وان كان بعض ذلك منا جوراً وسفهاً وكل ما لم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والعبث والتفاوت واما اجراؤهم الحكم على البارئ تعالى بمثل ما يحكم به بعضنا على بعض فضلال بين وقول سبق له اصل عند الدهرية وعند المنانية وعند البراهمة وهو ان الدهرية قالت لما وجدنا الحليم فيما بيننا لا يفعل الا لاجتلاب منفعة او لدفع مضرة ووجدنا من فعله ما لا فائدة فيه فهو عابث هذا الذي لا يعقل غيره قالوا ولما وجدنا في العالم ضراً وشراً وعبثاً واقذاراً ودوداً ودباباً ومفسدين انتفى بذلك ان يكون له فاعل حكيم وقالت طائفة منهم

اما اسم واما كلمة واما اداة فالاسم لفظ مفرد يدل على معنى من غير أن يدل على زمان وجود ذلك المعنى والكلمة لفظ مفرد يدل على معنى وعلى الزمان الذي فيه ذلك المعنى لموضوع ما غير معين والاداة لفظ مفرد انما يدل على معنى يصح أن يوضع أو يحمل بعد ان يقترن باسم أو كلمة واذا ركبت الالفاظ تركيباً يؤدي معنى فحينئذ يسمى قولا ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقي الى تركيب خاص وهو أن يكون بحيث يتطرق اليه التصديق أو التكذيب فالقضية هي كل قول فيه نسبة بين شيئين بحيث يتبعه حكم صدق أو كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس في كل واحد منهما هذه النسبة الا بحيث يمكن أن يدل على كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه النسبة بين شيئين فيهما هذه النسبة من حيث هي منفصلة والمتصلة من الشرطية هي التي توجب أو تسلب لزوم قضية لاخرى من القضايا الشرطية والمنفصلة منها ما توجب أو تسلب عناد قضية لاخرى من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفي الجملة هو الحكم

مثل

مثل هذا سواء بسواء الا انهم زادوا فقالوا علمنا بذلك ان للعالم فاعلاً سفيهاً غير الباري تعالى وهو النفس وان الباري الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فساد ما تخيلته فاذا استبان ذلك لها افسده الباري الحكيم تعالى حينئذ وابطله ولم تعد النفس الى فعل شيء بعدها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وابطال هذا القول يثبت بما يبطل به قول المعتزلة سواء بسواء ولا فرق وقالت المنانية بمثل ما قالت به الدهرية سواء بسواء الا انها قالت ومن خلق خلقاً ثم خلق من يضل ذلك الخلق فهو ظالم عابث ومن خلق خلقاً ثم سلط بعضهم على بعض واغرى بين طائع خلقه فهو ظالم عابث قالوا فعلمنا ان خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا نص قول المعتزله الا انها زادت قبحاً بان قالت ان الله تعالى لم يخلق من افعال العباد لا خيراً ولا شراً وان خالق الافعال الحسنة والقبيحة هو غير الله تعالى لكن كل احد يخلق فعل نفسه ثم زادت تناقضاً فقالت ان خالق عنصر الشر هو ابليس ومردة الشياطين وفعله كل شر وخالق طباعهم على تضادها هو الله تعالى وقالت البراهمة ان من العبث وخلاف الحكمة ومن الجور البين ان يعرض الله تعالى عباده لما يعلم انهم يعطبون عنده ويستحقون العذاب ان وقعوا فيه يريدون بذلك ابطال الرسالة والنبوات كلها

﴿ قال أبو محمد ﴾ وبالضرورة نعلم انه لا فرق بين خلق الشر وبين خلق القوة التي لا يكون الشر الا بها ولا بين ذلك وبين خلق من علم الله عز وجل انه لا يفعل الا الشر وبين خلق ابليس وانظاره الى يوم القيامة وتسليطه على اغواء العباد واضلالهم وتقويته على ذلك وتركه يضلهم الا من عصم الله منهم فان قالوا ان خلق الله تعالى ابليس وقوي الشر وفاعل الشر خير وعدل وحسن صدقوا وتركوا اصلهم الفاسد ولزمهم الرجوع الى الحق في ان خلقه تعالى للشر والخير ولجميع افعال عباده

بوجود محمول لموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية حملية موضوعها شيء جزئي والمهملة قضية حملية موضوعها كلي ولكن لم يبين ان الحكم في كله أو في بعضه ولا بد انه في البعض وشك انه في الكل فحكمه حكم الجزئي والمحصورة هي التي حكمها كلي والحكم عليه مبين بأنه في كله أو بعضه وقد تكون موجبة أو سالبة والسور هو اللفظ الذي يدل على مقدار الحصر ككل ولا واحد وبعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولها واحد في المعنى والاضافة والقوة والفعل والجزء والكل والزمان والمكان والشرط والتناقض هو التقابل بين قضيتين في الايجاب والسلب تقابلا يجب عنه لذاته أن يقتسما الصدق والكذب ويجب أن يراعى فيه الشرائط المذكورة القضية البسيطة هي التي موضوعها أو محمولها اسم محصل والمعدولة هي التي موضوعها أو محمولها غير محصل كقولنا زيد غير بصير العدمية هي التي محمولها أخس المتقابلين أي دل على عدم

وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده واضلاله من اضل وهداه من هدى كل ذلك حق وعدل وحسن وان احكامنا غير جارية عليه لكن احكامه جارية علينا وهذا هو الحق الذي لا يخفى الا على من اضله الله تعالى نعوذ بالله من اضلاله لنا ولا فرق بين شيء مما ذكرناه في العقل البتة وبرهان ضروري

﴿ قال ابو محمد ﴾ يقال لمن قال لا يجوز ان يفعل الله تعالى الا ما هو حسن في العقل منا ولا ان يخلق ويفعل ما هو قبيح في العقل فيما بيننا منا ياهؤلاء انكم اخذتم الامر من عند انفسكم ثم عكستموه فعظم غلطكم وانما الواجب اذ انتم مقرون بان الله تعالى لم يزل واحداً وحده ليس معه خالق اصلا ولا شيء موجود لا جسم ولا عرض ولا جوهر ولا عقل ولا معقول ولا سفه ولا غير ذلك ثم اقررتم بلا خلاف منكم انه خلق النفوس واحدثها بعد ان لم تكن وخلق لها العقول وركبها في النفوس بعد ان لم تكن العقول البتة ان لا تحدثوا على الباري تعالى حكماً لازماً له من قبل بعض خلقه فليس في الجنون أفحش من هذا البتة ثم اخبرونا اذا كان الله وحده لا شيء موجود معه ففي أي شيء كانت صورة الحسن حسنة وصورة القبيح قبيحة وليس هنالك عقل اصلا يكون فيه الحسن حسناً والقبيح قبيحاً ولا كانت هنالك نفس عاقلة أو غير عاقلة فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسن فبأي شيء قام تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان لا بد لهما من حامل ولا حامل أصلا ولا محمول ولا شيء حسن ولا شيء قبيح حتى احدث الله تعالى النفوس وركب فيها العقول المخلوقة وقبح فيها على قولكم ما قبح وحسن فيها على قولكم ما حسن فاذ لا سبيل الى أن يكون مع الباري تعالى في الازل شيء موجود اصلاً قبيح ولا حسن ولا عقل يقبح فيه شيء او يحسن فقد وجب يقيناً ان لا يمتنع من قدرة الله تعالى وفعله شيء يحدثه لقبح فيه ووجب ان لا يلزمه تعالى شيء لحسنه اذ لا قبح ولا حسن البتة فيما لم يزل فبالضرورة وجب ان ماهو

شيء من شأنه أن يكون للشيء أو لنوعه أو لجنسه مثل قولنا زيد جائر مادة القضايا هي حالة للمحمول بالقياس الى الموضوع يجب بها لا محالة أن يكون له دائماً في كل وقت في ايجاب أو سلب أو غير دائم له في ايجاب ولا سلب وجهات القضايا ثلاثة واجب ويدل على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم وممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظ مصرح بها يدل على أحد هذه المعاني والمادة حالة للقضية بذاتها غير مصرح بها وربما تخالفا كقولك زيد يمكن أن يكون حيواناً فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن يطلق على معنيين أحدهما ماليس بممتنع وعلى هذا الشيء اما ممكن واما ممتنع وهو الممكن العامي والثاني ماليس بضروري في الحالين أعني الوجود والعدم وعلى هذا الشيء اما واجب واما ممتنع واما ممكن وهو الممكن الخاصي ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما في معنى الضرورية فان الواجب ضروري الوجود بحيث لو قدر عدمه لزم منه محال والممتنع ضروري العدم بحيث لو قدر وجوده لزم منه محال والممكن الخاصي هو ماليس ضروري الوجود والعدم

الآن عندنا قبيح فانه لم يقبح بلا اول بل كان لقبحه أول لم يكن موجوداً قبله فكيف ان يكون قبيحاً قبله وكذلك القول في الحسن ولا فرق ومن المحال الممتنع جملة ان يكون ممكناً ان يفعل الباري تعالى حينئذٍ شيئاً ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك لان هذا يوجب اما تبدل طبيعة والله تعالى منزه عن ذلك واما حدوث حكم عليه فيكون تعالى متعبداً وهذا هو الكفر السخيف نعوذ بالله منه فان قالوا لم يزل القبيح قبيحاً في علم الله عز وجل ولم يزل الحسن حسناً في علمه تعالى قلنا لهم هبكم ان هذا كما قلتم فعليكم في هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد احدهما انكم جعلتم الحكم في ذلك لما في المعقول لا لما سبق في علم الله عز وجل فلم تجعلوا المنع من فعل ما هو قبيح عندكم الا لأن العقول قبحته فاخطأتم في هذا والثاني انه تعالى أيضاً لم يزل يعلم ان الذي يموت مؤمناً فانه لا يكفر ولم يزل تعالى يعلم ان الذي يموت كافراً لا يؤمن فلم جوزتم قدرته على احالة ما علم من ذلك وتبديله ولم تجوزوا قدرته تعالى على احالة ما علم حسناً الى القبح واحالة ما علم قبيحاً الى الحسن ولا فرق بين الامرين اصلا فاذا ثبت ضرورة انه لا قبح لعينه ولا حسن لعينه البتة وانه لا قبيح الا ما حكم الله تعالى بانه قبيح ولا حسن الا ما حكم بانه حسن ولا مزيد وأيضاً فان دعواكم ان القبيح لم يزل قبيحاً في علم الله تعالى ما دليلكم على هذا بل لعله تعالى لم يزل علياً بان امر كذا يكون حسناً برهة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحاً اذا قبحه لا قبل ذلك كما فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة وهذا أصح من قولكم لظهور براهين هذا القول وبالله التوفيق ولم يزل سبحانه وتعالى علياً ان عقد الكفر والقول به قبيح من العبد اذا فعلها معتقداً لهما لان الله قبحها لا لانهما حركة او عرض في النفس وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضاً لا لان ذلك قبيح لعينه ويقال لهم أيضاً أخبرونا من حسن الحسن في العقول ومن قبح القبح في العقول

والحمل الضروري على أوجه ستة تشترك كلها في الدوام. الاول أن يكون الحمل دائماً لم يزل ولا يزال. والثاني أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موجودة لم تفسد وهذان هما المستعملان والمرادان اذا قيل ايجاب أو سلب ضروري. والثالث أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موصوفة بالصفة التي جعلت موضوعة معها. والرابع أن يكون الحمل موجوداً وليس ضرورة بلا هذا الشرط. والخامس أن يكون الضرورة وقتاً ما معيناً لا بد منه. والسادس أن يكون الضرورة وقتاً ما غير معين ثم ان ذوات الجهة قد تتلازم طرداً وعكساً وقد لا تتلازم فواجب أن يوجد يلزمه ممتنع أن لا يوجد وليس يمكن بالمعنى العام أن لا يوجد ونقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية فاما ضرورية واما ممكنة واما مطلقة فالضرورة مثل قولنا كل ا ب بالضرورة أي كل واحد واحد مما يوصف بأنه ب دائماً أو غير دائم فذلك الشيء دائماً مادامت عين ذاته موجودة يوصف بأنه أو الممكنة فهو الذي حكمه من ايجاب أو سلب غير ضروري والمطلقة فيها رأيان أحدهما انها التي لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان

فان قالوا الله عز وجل قلنا لهم أفكان الله تعالى قادر على عكس تلك الرتبة اذ رتبها على أن يرتبها بخلاف ما رتبها عليه فيحسن فيها القبيح ويقبح فيها الحسن فان قالوا نعم اوجبوا انه لم يقبح شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بقبحه ولم يحسن شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بحسنه وانه كان له تعالى ان يفعل بخلاف ما فعل وله ذلك الآن وابدا وبطل ان يكون تعالى متعبداً لنفسه وموجبا عليه ما يكون ظالماً مذموماً ان خالفه وان قالوا لا يوصف تعالى بالقدرة على ذلك عجزوا ربهم تعالى ولزمهم القول بمثل قول علي الاسواري من انه تعالى لا يقدر على غير ما فعل فحكم هذا الردي الدين والعقل بانه أقدر من ربه تعالى وأقوى لانه عند نفسه الخسيسة يقدر على ما فعل وعلى ما لم يفعل وربه تعالى لا يقدر الا على ما فعل ولو علم المجنون انه جعل ربه من الجمادات المضطرة الى ما يبدو منها ولا يمكن ان يظهر منها غير ما يظهر لسخنت عينه ولطال عويله على عظيم مصيبته نعوذ بالله من الخذلان ومن عظم ما حل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمى والحمد لله على توفيقه ايانا حمداً كثيراً كما هو أهله

﴿ قال أبو محمد ﴾ ويقال لهم هبكم شنعتم في القبيح بانه قبيح فلم نفيتم عن الله عز وجل خلق الخير كله وخلق الحسن كله فقلتم لم يخلق الله تعالى الايمان ولا الاسلام ولا الصلاة ولا الزكاة ولا النية الحسنة ولا اعتقاد الخير ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر لأن خلق هذا قبيح أم كيف الامر فبان تمويهكم بذكر خلق الشر وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر في أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من ذلك كله فدعوا التمويه الضعيف

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقرأت في مسائل لأبي هاشم عبد السلام ابن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي رئيس المعتزلة وإبن رئيسهم كلاماً له يردد فيه كثيراً دون حياء ولا رقبة يجب على الله أن يفعل كذا كأنه

المجنون

بل أطلق اطلاقاً والثاني ما يكون الحكم فيها موجوداً لا دائماً بل وقتاً ما وذلك الوقت اما مادام الموضوع موصوفاً بما يوصف به أو مادام المحمول محكوماً به أو في وقت معين ضروري أو في وقت ضروري غير معين واما عكسه وهو تصيير الموضوع محمولا والمحمول موضوعاً مع بقاء السلب والايجاب بحاله والصدق والكذب بحاله والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزئية لا تنعكس والموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية والموجبة الجزئية تنعكس مثل نفسها في القياس ومباديه وأشكاله ونتائجه المقدمة قول يوجب شيئاً لشيء أو يسلب شيئاً عن شيء جملت جزء قياس والحد ما ينحل اليه المقدمة من جهة ماهي مقدمة والقياس هو قول مؤلف من أقوال اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر غيرها اضطراراً واذا كان بينا لزومه يسمى قياساً كاملا واذا احتاج الى بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الى اقتراني والى استثنائي والاقتراني أن يكون ما يلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولا فيه بالفعل بوجه والاستثنائى أن يكون مايلزمه هو أو نقيضه مقولا فيه بالفعل والاقتراني انما يكون عن مقدمتين

المجنون يخبر عن نفسه او عن رجل من عرض الناس فليت شعري اما كان له عقل او حس يسائل به نفسه فيقول ليت شعري من أوجب على الله تعالى هذا الذي قضى بوجوبه عليه ولا بد لكل وجوب وايجاب من موجب ضرورةً وإلا كان يكون فعلا لا فاعل له وهذا اكفر مما أجازه فمن هذا الموجب على الله تعالى حكماً ما وهذا لا يخلو ضرورةً من أحد وجهين لا ثالث لهما إما ان يكون أوجبه تعالى عليه بعض خلقه اما العقل وأما العاقل فان كان هذا فقد رفع القلم عنه وأفٍ لكل عقل يقوم فيه انه حاكم على خالقه ومحدثه بعد ان لم يكن ومرتبه على ماهو عليه ومصرفه على ما يشاء واما ان يكون تعالى اوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يزل غير موجب له على نفسه فان قال بهذا قيل له فقد كان غير واجب عليه حتى اوجبه فاذ هو كذلك فقد كان مباحا له ان يعذب من لم يقدره على ترك ما عذبه عليه وعلى خلاف سائر ما ذكرت انه اوجبه على نفسه واذ اوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن واجباً عليه فممكن له ان يسقط ذلك الوجوب عن نفسه واما ان يكون تعالى لم يزل موجباً ذلك على نفسه فان قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الاسلام وعن جميع الشرائع وهما ان الباري تعالى لم يزل فاعلا ولم يزل فعله معه لان الايجاب فعل ومن لم يزل موجباً فلم يزل فاعلا وهذا قول اهل الدهر نفسه

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا بمانع بين جميع المعتزلة في اطلاق هذا الجنون من انه يجب على الله ان يفعل كذا ويلزمه ان يفعل كذا فاعجبوا لهذا الكفر المحض وبهذا يلوح بطلان ما يتأولونه في قول الله تعالى * وكان حقاً علينا نصر المؤمنين * وقوله تعالى * كتب على نفسه الرحمة * وقوله عليه السلام حق العباد على الله ان لا يعذبهم يعني اذا قالوا لا إله الا الله وحق على الله ان يسقيه من طينة الخبال يعني عن شارب الخمر وان

يشتركان في حد ويفترقان في حدين فتكون الحدود ثلاثة ومن شأن المشترك فيه أن يزول عن الوسط ويربط مابين الحدين الآخرين فيكون ذلك هو اللازم ويسمى نتيجة فالمكرر يسمى حداً أوسط والباقيان طرفين والذي يريد أن يصير محمول اللازم يسمى الطرف الاكبر والذي يريد أن يكون موضوع اللازم يسمى الطرف الاصغر والمقدمة التي فيها الطرف الاكبر يسمى الكبرى والتي فيها الطرف الاصغر يسمى الصغرى وتأليف الصغرى والكبرى يسمى قرينة وهيئة الاقتران يسمى شكلا والقرينة التي يلزم عنها لذاتها قولا آخر يسمى قياساً واللازم مادام لم يلزم بعد بل يساق اليه القياس يسمى مطلوبا واذا لم يلزم يسمى نتيجة والحد الاوسط ان كان محمولا في مقدمة وموضوعاً في الاخرى يسمى ذلك الاقتران شكلا أولا وان كان محمولا فيهما يسمى شكلا ثانيا وان كان موضوعاً فيهما يسمى شكلا ثالثاً ويشترك الاشكال كلها في انه لاقياس عن جزئيين ويشترك ماخلا الكائنة عن الممكنات في انه لاقياس عن سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزئية والنتيجة تتبع أخس المقدمتين في الكم والكيف

كل هذا انما هو ان الله تعالى قضى بذلك وجعله حتماً واجباً وكونه حقاً فوجب ذلك منه تعالى لا عليه فابدلت من من على وحروف الجر يبدل بعضها من بعض ثم نقول لهم من خلق ابليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعبودة والميسر والاصنام والازلام وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب فمن قولهم وقول كل مسلم أن الله تعالى خالق هذا كله فلنسئلهم اشيء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر فان قالوا بل رجس وقبيح ونجس وشر وفسق صدقوا وأقروا انه تعالى خلق الانجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسناً فان قالوا بل هي حسان في اضافة خلقها الى الله تعالى وهي رجس ونجس وشر وفسق تسمية الله تعالى لها بذلك قلنا صدقتم وهكذا نقول ان الكفر والمعاصي هي في انها اعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك وهي من العصاة باضافتها اليهم قبايح ورجس وقال عز وجل *انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان* وقال تعالى *ولحم خنزير فانه رجس* فليخبرونا بأي ذنب كان من هذه الاشياء وجب ان يسخطها الله تعالى وان يرجسها ويجعل غيرها طيبات هل هاهنا الا انه تعالى فعل ما يشاء واي فرق بين ان يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعقل ويرضى عما شاء من ذلك فيعلي قدره ويأمر بتعظيمه كناقة صالح والبيت الحرام وبين ان يفعل ذلك أيضاً فيمن يعقل فيقرب بعضاً كما شاء ويبعد بعضاً كما شاء وهذا ما لا سبيل الى وجود الفرق فيه أبداً ثم نسألهم هل حابى الله تعالى من خلقه في ارض الاسلام بحيث لا يلقي الا داعياً الى الدين ومحسناً له على من خلقه في أرض الزنج والصين والروم بحيث لا يسمع الا ذاماً لدين المسلمين مبطلاً له وصادا عنه وهل رأوا قط وسمعوا بمن خرج من هذه البلاد طالباً لصحة البرهان على الدين فمن انكر هذا كابر العيان والحس ومن اذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد

قال

وشريطة الشكل الاول أن يكون كبراه كلية وصغراه موجبة وشريطة الشكل الثاني أن يكون الكبرى فيه كلية واحدى المقدمتين مخالفة للاخرى في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين أو مطلقتين الاطلاق الذي لا ينعكس على نفسه كليها وشريطة الشكل الثالث أن يكون الصغرى موجبة لابد من كلية في كل شكل وليرجع في المختلطات الى تصانيفه وأما القياسات الشرطية وقضاياها اعلم ان الايجاب والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفي الاتصال والانفصال فانه كما ان الدلالة على وجود الحمل ايجاد الحمل كذلك الدلالة على وجود الاتصال ايجاب في المتصل والدلالة على وجوب الانفصال ايجاب في المنفصل وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب ورفعه وكذلك يجري فيها الحصر والاهمال وقد تكون القضايا كثيرة والمقدمة واحدة والاقتران من المتصلات أن يجعل مقدم أحدهما تالي الآخر فيشتركان في التالي أو يشتركان في المقدم وذلك على قياس الاشكال الحملية والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطية يحصل من اجتماع المقدم

﴿ قال ابو محمد ﴾ والقول الصحيح هو ان العقل الصحيح يعرف بصحته ضرورة ان الله تعالى حاكم على كل ما دونه وانه تعالى غير محكوم عليه وان كل ما سواه تعالى فمخلوق له عز وجل سواء كان جوهراً حاملا او عرضاً محمولا لا خالق سواه وانه يعذب من يشاء ان يعذبه ويرحم من يشاء ان يرحمه وانه لا يلزم احداً الا ما ألزمه الله عز وجل ولا قبيح الا ما قبح الله ولا حسن الا ما حسن الله وانه لا يلزم لاحد على الله تعالى حق ولا حجة ولله تعالى على كل من دونه وما دونه الحق الواجب والحجة البالغة لو عذب المطيعين والملائكة والانبياء في النار مخلدين لكان ذلك له ولكان عدلا وحقاً منه ولو نعم ابليس والكفار في الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقاً وعدلا منه وان كل ذلك اذ أباه الله تعالي واخبر انه لا يفعله صار باطلا وجوراً وظلما وانه لا يهتدي احد الا من هداه الله عز وجل ولا يضل احد الا اضله الله عز وجل ولا يكون في العالم الا ما اراد الله عز وجل كونه من خير او شر وغير ذلك وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون البتة وبالله تعالى التوفيق ونحن نجد الحيوان لا يسمى عدوان بعضها على بعض قبيحاً ولا ظلما ولا يلام على ذلك ولا يلام على من ربى شيئاً منها على العدوان عليها فلو كان هذا النوع قبيحاً لعينه وظلما لعينه لقبح متى وجد فلما لم يكن كذلك صح انه لا يقبح شيء لعينه البتة لكن اذا قبحه الله عز وجل فقط فاذ قد بطل قولهم بالبرهان الكلي الجامع لاصلهم الفاسد فلنقل بحول الله تعالى وقوته في ابطال اجزاء مسائلهم وبالله تعالى نستعين فاول ذلك ان نسألهم فنقول عرفونا ما هذا القبيح في العقل أعلى الاطلاق فقال قائلون من زعمائهم منهم الحارث بن على الوراق البغدادي وعبد الله ابن احمد بن محمود الكعبي البلخي وغيرهما ان كل شيء حسن بوجه ما قلت يمتنع وقوع مثله من الله تعالى لانه حينئذ يكون حسناً اذ ليس قبيحاً

والتالي اللذين هما كالطرفين والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون في جزؤ تام بل يكون في جزؤ غير تام وهو جزؤ تال أو مقدم والاستثنائية مؤلفة من مقدمتين احداهما شرطية والاخرى وضع أو رفع لاحدى جزأيها ويجوز أن تكون حملية وشرطية ويسمى المستثناة والمستثناة من قياس شرطية متصل اما أن يكون من المقدم فيجب أن يكون عين المقدم لينتج عين التالي وان كان من التالي فيجب أن يكون نقيضه لينتج نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم وعين التالي لا ينتج شيئاً وأما اذا كانت الشرطية منفصلة فان كانت ذات جزئين فقط موجبتين فأيهما استثنيت عينه أنتج نقيض الباقي وأيهما استثنيت نقيضه أنتج عين الباقي وأما القياسيات المركبة ماذا حللت الى افرادها كان ما ينتج كل واحد منها شيئاً آخر الا أن نتائج بعضها مقدمات لبعض وكل نتيجة فانها تستتبع عكسها وعكس نقيضها وجزئها وعكس جزأيها ان كان لها عكس والمقدمات الصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا ينعكس فقد ينتج المقدمات الكاذبة نتيجة صادقة والدوران فأخذ النتيجة وعكس احدى المقدمتين فينتج المقدمة

البتة على كل حال واما ما كان قبيحاً على كل حال فلا يحسن البتة فهذا منفي عن الله عز وجل ابداً قالوا ومن القبيح على كل حال ان تفعل بغيرك ما لا تريد ان يفعل بك وتكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه ﴿ قال ابو محمد ﴾ وظن هؤلاء المبطلون اذ أتوا بهذه الحماقة انهم اغربوا وقرطسوا وهم بالحقيقة قد هذوا وهدروا وهذا عين الخطاء وانما قبح بعض هذا النوع اذ قبحه الله عز وجل وحسن بعضه اذ حسنه الله عز وجل والعجب من مباهتهم في دعواهم ان المحاباة فيما بيننا ظلم ولا ندري في اي شريعة ام في اي عقل وجدوا ان المحاباة ظلم وان الله تعالى قد اباحها الا حيث شاء وذلك ان للرجل ان ينكح امرأتين وثلاثاً واربعاً من الزوجات وذلك له مباح حسن وان يطأ من امائه اي عدد احب وذلك لهمباح حسن ولا يحل للمرأة ان تنكح غير واحد ولا يكون عبدها وهذا منه حسن وبالضرورة ندري ان في قلوبهن من الغيرة كما في قلوبنا وهذا محظور في شريعة غيرنا والنفار منه موجود في بعض الحيوان بالطبع والحر المسلم ملكه ان يستعبد اخاه المسلم ولعله عند الله تعالى خير من سيده في دينه وفي اخلاقه وقنوته ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يجوز ان يستعبده هو احد لاعبده ذلك ولا غيره وهذا منه حسن وقد احب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه المقدسة ما اكرمه الله تعالى به من ان لا ينكح احد من بعده من نسائه امهاتنا رضوان الله عليهن واحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد ازواجهن وكل ذلك حسن جميل صواب ولو احب ذلك غيره كان مخطي الارادة قبيحاً ظالماً ومثل هذا ان تتبع كثير جداً اذ هو فاش في العالم وفي اكثر الشريعة فبطل هذا القول الفاسد منهم وقد نص الله تعالي على اباحة ما ليس عدلا عند المعتزلة بل على الاطلاق وعلى المحاباة حيث شاء وكل ذلك عدل منه قال عز وجل ﴿ولن تستطيعوا ان تعدلوا

الثانية وانه يمكن اذا كانت الحدود في المقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هو أن تأخذ مقابلة النتيجة بالضد أو النقيض وتضيف الى احدى المقدمتين فينتج مقابلة النتيجة الاخرى احتيالا في الجدل وقياس الخلف هو الذي فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون بالحقيقة مركبا من قياس اقتراني وقياس استثنائي والمصادرة على المطلوب الاول هو أن يجعل المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون في قياس واحد وربما يبين في قياسات وحيثما كان أبعد كان من القبول أقرب والاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي اما كلها واما اكثرها واما التمثيل هو الحكم على الشيء المعين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر غير معين أو أشياء على ان ذلك الحكم كلي على المتشابه فيكون محكوما عليه في المطلوب ومنقول منه الحكم وهو المثال ومعنى متشابه فيه هو الجامع وحكم الرأي مقدمة محمودة كلية في ان كذا كائن أو غير كائن صواب أم خطأ الدليل قياس اضماري حده الوسط شيء اذا وجد للاصغر تبعه وجود شيء آخر للاصغر دائما كيف كان ذلك

بين النساء وان حرصتم فلا تميلوا كل الميل*وقال تعالى*فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم*فاباح تعالى لنا ان لا نعدل بين ما ملكت ايماننا واباح لنا محاباة من شئنا منهن فصح ان لا عدل الا ما سماه الله عدلا فقط وان كل شيء فعله الله فهو العدل فقط لا عدل سوى ذلك وكذلك وجدنا الله تعالى قد اعطى الابن الذكر من الميراث حظين وان كان غنياً مكتسباً واعطى البنت حظاً واحداً وان كانت صغيرة فقيرة فبطل قول المعتزلة وصح ان الله تعالى يحابي من يشاء ويمنع من يشاء وان هذا هو العدل لا ما تظنه المعتزلة عدلا بجهلها وضعف عقولها واما تكليف مالا يطاق والتعذيب عليه فانما قبح ذلك فيما بيننا لان الله تعالى حرم ذلك علينا فقط وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم في ان هذا لا يقبح من الله تعالى الذي لا امر فوقه ولا يلزمه حكم عقولنا وما دعواهم على مخالفيهم في هذه المسئلة انهم خالفوا قضية العقل ببديهته الا كدعوى المجسم عليهم انهم خالفوا قضية العقل ببديهته اذ اجازوا وجود الفعل ممن ليس جسما واذ اجازوا حياً بلا حياة وعالماً لا بعلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلتا الدعويين على العقول كاذبة وقد بينا فيما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى في العقل ما ليس فيه وبينا ان العقل لا يحكم به على الله الذي خلق العقل ورتبه على ما هو به ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق وقال بعض المعتزلة ان من القبيح بكل حال والمحظور في العقل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الاب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا غاية الخطأ لان العاقل المميز بالامور اذا تدبرها علم يقيناً انه لا منعم على احد الا الله وحده لا شريك له الذي اوجده من عدم ثم جعل له الحواس والتمييز وسخر له ما في الارض وكثيراً مما في السمآء وخوله المال وان كل منعم دون الله عز وجل فان كان منعما بمال فانما اعطى من مال الله عز وجل فالنعمة لله عز وجل دونه

التبع والقياس الفراسي شبه بالدليل من وجه وبالتمثيل من وجه في مقدمات القياس من جهة ذواتها وشرائط البرهان المحسوسات هي أمورًا وقع التصديق بها الحس المجربات هي أمور أوقع التصديق بها الحس بشركة من القياس المقبولات آراء أوقع التصديق بها قول من يثق بصدقه فيما يقول اما لامر سماوى يختص به أو لرأي وفكر تميز به الوهميات آراء أوجب اعتقادها قوة الوهم التابعة للحس الزائعات آراء مشهورة محمودة أوجب التصديق بها شهادة الكل المظنونات آراء يقع التصديق بها لا على الثبات بل يخطر امكان نقيضها بالبال ولكن الذهن يكون اليها أميل المتخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها بل ليخيل شيئاً على انه شيء آخر على سبيل المحاكاة الاولية هي قضايا تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب أوجب التصديق بها البرهان قياس مؤلف من يقينيات لانتاج يقيني واليقينيات اما أوليات وما جمع منها واما تجربيات واما محسوسات وبرهان لمى هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود وفي الذهن جميعاً وبرهان انى هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق

وان كان ممرضاً او معتقاً او خائفاً من مكروه فانما صرف في ذلك كلما وهبه الله عز وجل من الكلام والقوة والحواس والاعضاء وانما تصرف بكل ذلك في ملك الله عز وجل وفيما هو تعالى اولى به منه فالنعمة لله عز وجل دونه فالله تعالى هو ولي كل نعمة فاذ لاشك في ذلك فلامنعم الا من سماه الله تعالى منعماً ولا يجب شكر منعم الا بعد ان يوجب الله تعالى شكره فحينئذ يجب والا فلا ويكون حينئذ من لم يشكره عاصياً فاسقاً اتى كبيرة لخلاف امر الله تعالى بذلك فقط ولا فرق بين تولدنا من مني ابوينا وبين تولدنا من التراب الارضي ولاخلاف في انه لا يلزمنا بر التراب ولاله علينا حق ليس ذلك الا لان الله تعالى لم يجعل له علينا حقاً وقد يرضع الصغير شاة فلا يجب لها عليه حق لان الله تعالى لم يجعله لها وجعله للابوين وان كانا كافرين مجنونين ولم يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ليس ههنا الا امر الله تعالى فقط وبرهان آخر ان امرأ لو زنى بامرأة عالماً بتحريم ذلك او غير عالم الا انه ممن لا يلحق به الولد المخلوق من نطفته النازلة من ذلك الوطء فان بره لا يلزم ذلك الولد اصلا ويلزمه بر أمه لان الله تعالى امره بذلك لها ولم يأمره بذلك في الذى تولد من نطفته فقط ولا فرق في العقل بين الرجل والمرأة في ذلك ولا فرق في المعقول وفي الولادة تولد الجنين من نطفة الواطئ لامه بين اولاد الزنا واولاد الرشدة لكن لما الزم الله تعالى اولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح او ملك يمين فاسدين او صحيحين بر آبائهم وشكرهم وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ولما لم يلزم ذلك اولاد الزنية لم يلزمهم وقد علمنا نحن وهم يقيناً ان رجلين مسلمين لو خرجا في سفر فاغار احدهما على قرية من قرى دار الحرب فقتل كل رجل بالغ فيها واخذ جميع اموالهم وسبى ذراريهم ثم خمس ذلك بحكم الامام العدل ووقع في حظه اطفال قد تولى هو قتل ابائهم وسبي امهاتهم ووقعن

به والمطالب هل مطلقاً هو تعرف حال الشيء في الوجود أو العدم مطلقاً وهل بقيد اوهو تعرف وجود الشيء على حال ما أو ليس مايعرف التصور وهو اما بحسب الاسم أي ما المراد باسم كذا وهو يتقدم كل مطلب واما بحسب الذات أي ما الشيء في وجوده وهو يعرف حقيقة الذات ويتقدمه الهل المطلق لم يعرف العلة بجواب هل وهو اما علة التصديق فقط واما علة نفس الوجود وأي فهو بالقوة داخل في الهل المركب المفيد وانما يطلب التمييز اما بالصفات الذاتية واما بالخواص والامور التي يلتئم منها أمر البراهين ثلاثة موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن بها ويجب أن تكون صادقة يقينية فاتية وينتهي الى مقدمات أولية مقولة على الكل كلية وقد تكون ضرورية الاعلى الامور المتغيرة التي هي في الاكثر على حكم مافتكون اكثرية وتكون عللا لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحكم الذاتي يقال على وجهين أحدهما أن يكون المحمول مأخوذاً في حد الموضوع والثاني أن يكون الموضوع مأخوذاً في حد المحمول المقدمة الاولية على وجهين أحدهما

ايضاً بالقسمة الصحيحة في حصته فنكحهن وصرف اولادهن في كنس حشوشه وخدمة دوابه وحرثه وحصاده ولم يكلفهم من ذلك الا ما يطيقون وكساهم وانفق عليهم بالمعروف كما امر الله تعالى فان حقه واجب عليهم بلا خلاف ولو أعتقهم فانه منعم عليهم وشكره فرض عليهم وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه وهو مسلم بعد واغار الثاني على قرية للمسلمين فاخذ صبياناً من صبيانهم فاسترقهم فقط ولم يقتل احداً ولا سبى لهم حرمة فربى الصبيان احسن تربية وكانوا في قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال فرفه معايشهم وعلمهم العلم والاسلام وخولهم المال ثم اعتقهم فلا خلاف في انه لا حق له عليهم وان ذمه وعداوته فرض عليهم وانه او وطئ أمرأة منهن وهو محصن وكان احدهم قد ولى حكماً للزمه شدخ رأسه بالحجارة حتى يموت افلا يتبين لكل ذي عقل من اهل الاسلام انه لا محسن ولا منعم الا الله تعالى وحده لا شريك له الا من سماه الله تعالى محسناً او منعماً ولا شكر لازماً لاحد على احد الا من ألزمه الله تعالى شكره ولا حق لاحد على احد الا من جعل الله تعالى له حقاً فيجب كل ذلك اذ أوجبه الله تعالى والا فلا وقد اجمعوا معنا على ان من افاض احسان الدنيا على انسان أفاضه بوجه حرمه الله تعالى فانه لا يلزمه شكره وان من احسن الى آخر غاية الاحسان فشكره بان اعانه في دنياه بما لا يجوز في الدين فانه مسيء اليه ظالم فصح يقيناً انه لا يجب شيء ولا يحسن شيء ولا يقبح شيء الا ما اوجبه الله تعالى في الدين او حسنه الله في الدين او قبحه الله في الدين فقط وبالله تعالى نتأيد وقال بعضهم الكذب قبيح على كل حال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كالأول وقد أجمعوا معنا على بطلان هذا القول وعلى تحسين الكذب في مواضع خمسة اذ حسنه الله تعالى وذلك نحو انسان مسلم مستتر من امام ظالم يظلمه ويطلبه فسأل ذلك الظالم هذا

ان التصديق بها حاصل في أول العقل والثاني من جهة ان الايجاب والسلب لا يقال على ماهو أعم من الموضوع قولا كلياً المناسب هو أن لا تكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هي التي توضع في العلوم فيبرهن على اعراضها الذاتية المسائل هي القضايا الخاصة بعلم علم المشكوك فيها المطلوب برهاناً والبرهان يعطي حكم اليقين الدائم وليس في شيء من الفاسدات عقد دائم فلا برهان عليها ولا برهان أيضاً على الحد بأنه لا بد حينئذ من عقد وسط مساو للطرفين لان الحد والمحدود متساويان وذلك الاوسط لا يخلو اما أن يكون حداً آخراً ورسما وخاصة فأما الحد الآخر فان السؤال في اكتسابه ثابت فان اكتسب بحد ثالث فالامر ذاهب الى غير نهاية وان اكتسب بالحد الاول فذلك دور وان اكتسب بوجه آخر غير البرهان فلم لا يكتسب به هذا الحد وعلى انه لا يجوز أن يكون لشيء واحد حدان تامان على مايوضح به وان كانت الواسطة غير حد فكيف صار ماليس بحد أعرف وجوداً للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحد وأيضاً فان الحد لا يكتسب بالقسمة فان القسمة

الذي استتر عنده المطلوب وسأل أيضاً كل من عنده خبره وعن ماله
فلا خلاف بين احد من المسلمين في انه ان صدقه ودله على موضعه
وعلى ماله فانه عاص لله عز وجل فاسق ظالم فاعل فعلاً قبيحاً وانه لو
كذبه وقال له لا ادري مكانه ولا مكان ماله فانه مأجور محسن فاعل
فعلاً حسناً وكذلك كذب الرجل لأمرأته فيما يستجر به مودتها وحسن
صحبتها والكذب في حرب المشركين فيما يوجد به السبيل الى اهلاكهم
وتخليص المسلمين منهم فصح انه انما قبح الكذب حيث قبحه الله عز
وجل ولولا ذلك ما كان قبيحاً بالعقل اصلاً اذ ما وجب بضرورة العقل
فمحال ان يستحيل في هذا العالم البتة عما رتبه الله عز وجل في وجود
العقل اياه كذلك فصح كذبهم على العقول وقال بعضهم الظلم قبيح
﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كالاول ونسألهم ما معنى الظلم فلا يجدون الا
ان يقولوا انه قتل الناس واخذ اموالهم واذاهم وقتل المرء نفسه أو التشويه
بها أو اباحة حرمه للناس ينكحونهن وكل هذا فليس شيء منه قبيحاً
لعينه وقد أباح الله عز وجل اخذ اموال قوم بخراسان من اجل ابن عمهم
قتل بالاندلس رجلا خطأ لم يرد قتله لكن رمى صيداً مباحاً له أو رمى
كافراً في الحرب فصادف المسلم السهم وهو خارج من خلف جبل فمات
ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنى وهو محصن ولم يطأ امرأة قط الا
زوجة له عجوزاً شعرها سوداء وطئها مرة ثم ماتت ولا يجد من ان ينكح
ولا من ان يتسرى وهو شاب محتاج الى النساء وحرم دم شيخ زنى وله
ماية جارية كالنجوم حسناً الا انه لم يكن له قط زوجة واما قتل المرء
نفسه فقد حسن الله تعالى تعريض المرء نفسه للقتل في سبيل الله عز
وجل وصدمة الجموع التي يوقن انه مقتول في فعله ذلك وقد أمر عز
وجل من قبلنا بقتل نفسه قال تعالى * فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم
ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم * ولو امرنا عز وجل بمثل ذلك

لكان

تضع أقساماً ولا تحمل من
الاقسام شيئاً بعينه الا أن يوضع
وضعاً من غير أن يكون للقسمة فيه
مدخل واما استثناء نقيض قسم
ليبقي القسم الداخل في الحد فهو
الحد فهو ابانة الشيء بما هو مثل
له أو أخفى منه فانك اذا قلت
لكن ليس الانسان غير ناطق فهو
اذاً ناطق لم يكن أحدث في
الاستثناء شيئاً أعرف من النتيجة
وأيضاً فان الحد لا يكتسب من
حد الضد فليس لكل محدود ضد
ولا ايضاً حد احد الضدين أولى
بذلك من حد الضد الآخر
والاستقراء لا يفيد علماً كلياً
فكيف يفيد الحد لكن الحد يقتنص
بالتركيب وذلك بأن تعمد الى
الاشخاص التي لا تنقسم وتنظر من
أي جنس هي من العشرة فتأخذ
جميع المحمولات المقومة لها التي في
ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد
ان تعرف أيها الاول وأيها الثاني
فاذا جمعنا هذه المحمولات ووجدنا
منها شيئاً مساوياً للمحدود من وجهين
أحدهما المساواة في الحمل والثاني
المساواة في المعنى وهو أن يكون
دالا على كمال حقيقة ذاته لا يشذ
منه شيء فان كثيراً مما تميز
بالذات يكون قد أخل ببعض
الاجناس أو ببعض الفصول فيكون

لكان حسناً كما كان حسناً أمره عز وجل بذلك بني اسرائيل وأما التشويه بالنفس فان الختان والاحرام والركوع والسجود لو لا أمر الله تعالى بذلك وتحسينه اياه لكان لا معنى له ولكان على اصولهم تشويهاً ودليل ذلك ان امرأ من الناس لو قام ثم وضع رأسه في الارض في غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثاً بلا شك مقطوعاً عليه بالهوس وكذلك لو تجرد المرء من ثيابه امام الجموع في غير حج ولا عمرة وكشف رأسه ورمى بالحصى وطاف ببيت مهرولا مستديراً به لكان مجنوناً بلا شك لا سيما ان امتنع من قتل قملة ومن فلى رأسه ومن قص اظفاره وشاربه لكن لما امر الله عز وجل بما أمر به من ذلك كان فرضاً واجباً وحسناً وكان تركه قبيحاً وانكاره كفراً واما اباحة المرء حرمه للنكاح فهذا أعجب ما أتوا به أما علموا ان الله تعالى خلى بين عبده وامائه يفجر بعضهم ببعض وهو قادر على منعهم من ذلك فلم يفعل بل قوى آلاتهم وقوى شهواتهم على ذلك باقرار المعتزلة فهذا من الله حسن ومن عباده قبيح لان الله قبحه ولا مزيد ولو حسنه تعالى لحسن أما شاهدوا انكاح الرجال بناتهم من رجال ثم يطلق الرجل منهم المرأة فمن آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم وكذلك ان مات عنها فاي فرق في العقول بين اباحة وطئها بلفظ زوجتك او انكحتك وبين حظر وطئها بالاطلاق عليه بلفظة ثم فطاها فهل هاهنا قبيح الا ما قبحه الله عز وجل أو حسن الا ما حسن الله عز وجل وقال بعضهم الكفر قبيح على كل حال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كالاول وما قبح الكفر الا لان الله قبحه ونهى عنه ولو لا ذلك ما قبح وقد اباح الله عز وجل كلمة الكفر عند التقية واباح بها الدم في غير التقية ولو ان امرأ اعتقد ان الخمر حرام قبل ان ينزل تحريمها لكان كافراً ولكان ذلك منه كفراً ان كان عالماً باباحة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم صار ذلك الكفر ايماناً وصار الآن من

مساوياً في الحمل ولا يكون مساوياً في المعنى وبالعكس ولا يلتفت في الحد الى أن يكون وجيزاً بل ينبغي أن يضع الجنس القريب باسمه أو بحده ثم يأتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض الفصول فقد تركت بعض الذات والحد عنوان الذات وبيان له فيجب أن يقوم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها فحينئذ يعرض أن يتميز أيضاً المحدود ولا حد بالحقيقة لما لا وجود له وانما ذلك بشرح الاسم فالحد اذاً قول دال على الماهية والقسمة معينة في الحد خصوصاً اذا كانت الذاتيات ولا يجوز تعريف الشيء بما هو أخفى منه ولا بما هو مثله في الجلاء والخفاء ولا بما لا يعرف الشيء الا به في الاجناس العشرة الجوهر هو كل ما وجود ذاته ليس في موضوع أي في محل قريب قد قام بنفسه دونه في الفعل ولا بتقويمه الكم هو الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزيء وهو اما أن يكون متصلا اذ يوجد لاجزائه بالقوة حد مشترك يتلاقى عنده ويتحد به كالنقطة للخط واما أن يكون منفصلا لا يوجد لاجزائه ذلك لا بالقوة ولا بالفعل والمتصل قد يكون اذا وضع وقد يكون عديم

اعتقد تحليلها كافراً وصار اعتقاد تحليلها كفراً فصح ان لا كفر الا ما سماه الله عز وجل كفراً ولا ايمان الا ماسماه ايماناً وان الكفر لا يقبح الا بعد ان قبحه الله عز وجل ولا يحسن الايمان الا بعد ان حسنه الله عز وجل فبطل كل ما قالوه في الجور والكفر والظلم وصح انه لا ظلم الا ما نهى الله عنه ولا جور الا ما كان كذلك ولا عدل الا ما امر الله تعالى به أو اباحه أي شيء كان وبالله تعالى التوفيق فاذ هذا كما ذكرنا فقد صح انه لا ظلم في شيء من فعل الباري تعالى ولو أنه تعالى عذب من لم يقدره على ما أمر به من طاعته لما كان ذلك ظلما اذ لم يسمه تعالى ظلما وكذلك ليس ظلما خلقه تعالى للافعال التي هي من عباده عز وجل كفر وظلم وجور لانه لا آمر عليه تعالى ولا ناهياً بل الامر أمره والملك ملكه وقالوا تكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه قبيح في العقول جملة لا يحسن بوجه من الوجوه فيما بيننا فلا يحسن من الباري تعالى أصلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ نسي هؤلاء القوم ما لا يجب ان ينسى ويقال لهم أليس قول القائل فيما بيننا أعبدوني أسجدوا لي قبحاً لا يحسن بوجه من الوجوه ولا على حال من الأحوال فلا بد من نعم فيقال لهم أو ليس هذا القول من الله تعالى حسناً وحقاً فلا بد من نعم فان قالوا انما قبح ذلك منا لاننا لا نستحقه قيل لهم وكذلك انما قبح منا تكليف ما لا يطاق والتعذيب عليه لاننا لا نستحق هذه الصفة واي شيء أتوا به من الفرق فهو راجع عليهم في تكليف ما لا يطاق ولا فرق وكذلك الممتن باحسانه الجبار المتكبر ذو الكبرياء قبيح فيما بيننا على كل حال وهو من الله تعالى حسن وحق وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمن باحسانه فان قالوا حسن ذلك منه لان الكل خلقه قيل لهم وكذلك حسن منه تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه لان الكل خلقه وكذلك فيما بيننا من عذب حيواناً بالنتف والضرب ثم أحسن علفه ورفهه

فهو

الوضع وذو الوضع هو الذي يوجد لاجزائه اتصال وثبات وامكان أن يشار الى كل واحد منها انه أين هو من الآخر فمن ذلك ما يقبل القسمة في جهة واحدة وهو الخط ومنه ما يقبل في جهتين متقاطعتين على قوائم وهو السطح ومنه ما يقبل في ثلاث جهات قائم بعضها على بعض وهو الجسم والمكان أيضاً ذو وضع بأنه السطح الباطن من الحاوي وأما الزمان فهو مقدار للحركة الا انه ليس له وضع اذ لا توجد أجزاؤه معاً وان كانت أجزاؤه متصلة اذ ماضية ومستقبلة يتحدان بطرف الآن وأما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافة وهو المعنى الذي وجوده بالقياس الى شيء آخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الى البنوة لا كالاب فان له وجوداً يخصه كالانسانية واما الكيف فهو كل هيئة قارة في جسم لا يوجب اعتبار وجوده فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة في أجزائه ولا بالجملة يكون به ذا جزؤ مثل البياض والسواد وهو اما أن يكون مختصاً بالكم من جهة ماهو كم كالتربيع للسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما أن لا يكون مختصاً به وغير

فهو قبيح على كل وجه وفاعله عابث وهم يقولون أن الباري تعالى أباح ذلك في الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها على ذلك وهـذا منه عز وجل حسن الا ان يلجؤا الى أنه تعالى لا يقدر على تعويض الحيوان الا بعد ايلامها وتعذيبها فهذا أقبح قول وابينه كذباً وأوضحه نخبة وأتمه كفراً وأذمه للباري تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان ايلام الحيوان قد يحسن فيما بيننا مثل ان يسقى الانسان من يحب مآء الادوية الكريهة ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك الى منافع لولا هذا المكروه لم يكن ليصل اليها

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سألهم عنه اصحابنا في هذه المسئلة ونحن لم نسألهم عمن لا يقدر على نفعه الا بعد الاذى الذي هو أقل من النفع الذي يصل اليه بعد ذلك الاذى وانما سألناهم عمن يقدر على نفعه دون ان يبتديه بالاذى ثم لا ينفعه الا حتى يؤذيه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكذلك تكليف من يدري المرء انه لا يطيقه وانه اذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا فقال قائل منهم ان هذا قد يحسن فيما بيننا وذلك ان يكون المرء يريد ان يقرر عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدري انه لا يطيعه فان نهيه له حسن

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا كالاول ولا فرق ولم نسئلهم عمن لم يقدر على تعريف صديقه معصية غلامه له الا بتكليفه امامـه ما لا يطيعه فيه ولا عمن لا يقدر على منع العاصي له بأكثر من النهي وانما نسألهم عمن لا منفعة له في ان يعلم زيد معصية غلامه له وعمن يقدر على ان يعرف زيداً بذلك ويقرره عنده بغير ان يأمر من لا يطيعه وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعل ذلك الا ان يعجزوا ربهم كما ذكرنا فهذا مع أنه كفر فهو أيضاً كذب ظاهر لانه تعالى قد أخبر عن أهـل النار انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فنقرر هذا عندنا تقرراً لو رأينا ذلك عياناً ما

المختص به اما ان يكون محسوساً ينفعل عنه الحواس و يوجد بانفعال الممتزجات فالراسخ منه مثل صفرة الذهب وحلاوة العسل يسمى كيفيات انفعاليات وسريع الزوال منه وان كان كيفية بالحقيقة فلا يسمى كيفية بل انفعالات لسرعة استبدالها مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه ما لا يكون محسوساً فاما ان يكون استعدادات انما يتصور في النفس بالقياس الي كمالات فان كان استعداداً للمقاومة واباء الانفعال سمي قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة وان كان استعداداً لسرعة لاذعان والانفعال سمي لا قوة طبيعية مثل الممراضية واللين واما ان يكون في أنفسها كمالات لا يتصور انهـا استعدادات لكمالات أخرى وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان منها ثابتاً يسمى ملكة مثل العلم والصحة وما كان سريع الزوال سمي حالا مثل غضب الحليم ومرض المصحاح وفرق بين الصحة والمصحاحية فان المصحاح قد لا يكون صحيحاً والمراض قد يكون صحيحاً ومن جملة العشرة الاين وهو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ككون زيد في السوق ومتى وهو كون الجوهر في الزمان الذي يكون فيه مثل كون هذا الامر أمس والوضع وهو كون

زادنا علماً بصحته وكذلك قد شاهدنا قوماً آخرين ارادوا ضروباً من المعاصي لحال الله تعالى بينهم وبينها بضروب من الحوايل وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوي الدواعي لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها فلاح كذب المعتزلة وعظيم اقدامهم على الافتراء على الله تعالى وشدة مكابرتهم العيان ومخالفتهم للمعقول وقوة جهلهم وتناقضهم نعوذ بالله من الخذلان ثم بعد هذا كله فأي منفعة لنا في تعريفنا ان فرعون يعصي ولا يؤمن وما الذي ضر الاطفال اذا ماتوا قبل ان يعرفوا من أطاع ومن عصى ونسألهم أيضاً عمن أعطى آخر سيوفاً وخناجر وعتلا للنقب وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص وهو يدري انه لا يستعمل شيئاً من ذلك في الجهاد الا في قطع الطريق والتلصص وعمن مكن آخر من خمر وامرأة عاهرة وبغاء واخلى له منزلا مع كل ذلك أليس عابثاً ظالماً بلا خلاف فلا بد من نعم ونحن وهم نعلم أن الله عز وجل وهب لجميع الناس القوي التي بها عصوا وهو يدري انهم يعصونه بها وخلق الخمر وبثها بين ايديهم ولم يحل بينهم وبينها وليس ظالماً ولا عابثاً فان عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغوا الغاية من الكفر فان من عجز نفسه منا عن منع الخمر من شاربها وهو يقدر على ذلك لفي غاية الضعف والمهانة او مريد لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمه وهذا قولنا لا قولهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب الا ان بعضهم قال انما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ولأن ذلك محظور وهذا محظور علينا ولو ان امرءاً له منا عبيد وقد صح عنده باخبار النبي عليه الصلاة والسلام انهم لا يؤمنون ابداً فان كسوتهم واطعامهم مباح له

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا عليهم لا لهم واقرار منهم بانه انما قبح ذلك

منا

الجسم بحيث يكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة في الانحراف والموازاة والجهات وأجزاء المكان ان كان في مكان مثل القيام والقعود وهو في المعنى غير الوضع المذكور في باب الكم والملك ولست أحصله ويشبه ان يكون كون الجوهر في جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو نسبة الجوهر الى أمر موجود في غيره غير قار الذات بل لا يزال يتجدد وينصرم كالتسخين والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن والعلل أربعة يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجار للكرسي ويقال علة للمادة وما يحتاج ان يكون حتى يكون ماهية الشيء مثل الخشب ويقال علة للصورة في كل شيء فانه ما لم يقترن الصورة بالمادة لم يتكون ويقال علة للغاية والشيء الذي نحوه ولاجل الشيء مثل الكن للبيت وكل واحدة من هذه اما قريبة واما بعيدة واما بالقوة واما بالفعل واما بالذات واما بالعرض واما خاصة واما عامة والعلل الاربع قد تقع حدوداً وسطى في البراهين لانتاج قضايا محمولاتها اعراض ذاتية وأما العلة الفاعلية والقابلية فلا يجب من وضعها وضع المعلول

منا لانه محرم علينا وكذلك كسوة العبيد الذين يوقن انهم لا يؤمنون وانما حسن ذلك لاننا مأمورون بالاحسان الى العبيد وان كانوا كفاراً ولو فعلنا ذلك باهل دار الحرب لكنا عصاة لاننا نهينا عن ذلك ليس هاهنا شيء يقبح ولا يحسن الا ما أمر الله تعالى فقط واما قولهم ان ذلك قبح منا لجهلنا بالمصالح فليقنعوا بهذا فمن اجابهم بهذا بعينه في الفرق بين حسن تكليف الله تعالى ما لا يطاق وتعذيبه عليه منه وقبح ذلك منا وانه انما قبح منا لجهلنا بالمصالح

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما نحن فكلا الجوابين عندنا فاسد ولا مصلحة فيما ادى الى النار والخلود فيها بلا نهاية ولكنا نقول قبح منا مانهانا الله عنه وحسن منا ما امرنا به وكل ما فعله ربنا تعالى الذي لا آمر فوقه فهو عدل وحسن وبالله تعالى التوفيق وسألهم اصحابنا فقالوا ان المعهود بيننا ان الحكيم لايفعل الا لاجتلاب منفعة او دفع مضرة ومن فعل لغير ذلك فهو سفيه والباري تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وهو حكيم فقالت طايفة من المعتزلة ان الباري تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الى عباده ودفع المضار عنهم وقالت طايفة منهم لم يكن الحكيم فيما بيننا حكيما لانه يفعل لاجتلاب المنافع ودفع المضار لانه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل متشف وان لم يكن حكيما وانما سمى الحكيم حكيما لاحكامه عمله

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا ليس بشيء لان من الحيوان مايحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت والنحل ودود القز ولا يسمى شيء من ذلك حكيما ولكن انما سمى الحكيم حكيما على الحقيقه لالتزامه الفضائل واجتنابه الرذائل فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيما عاقلا وهكذا هو في الشريعة لان جميع الفضائل انما هي طاعات الله عز وجل والرذائل انما هي معاصيه فلا حكيم الا من اطاع الله عز وجل واجتنب

وانتاجه مالم يقترن بذلك مايدل على ضرورتها علة بالفعل في تفسير ألفاظ يحتاج اليها المنطقي الظن الحق هو رأى في شيء انه كذا ويمكن أن لا يكون كذا العلم اعتقادا بأن الشيء كذا وانه لا يكون كذا بواسطة توجبه والشيء كذلك في ذاته وقد يقال علم لتصور الماهية بتحديد العقل اعتقاد بان الشيء كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا طبعاً بلا واسطة كاعتقاد المبادي الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصور الماهية بذاته بلا تحديدها كتصور المبادي الاول للحد والذهن قوة للنفس معدة نحو اكتساب العلم والذكاء قوة استعداد للحدس والحدس حركة النفس الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب او اصابة الحد الاكبر اذا أصيب الاوسط وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الى مجهول والحس انما يدرك الجزئيات الشخصية والذكر والخيال يحفظان مايؤديه الحس على شخصيته أما الخيال فيحفظ الصورة وأما الذكر فيحفظ المعنى المأخوذ واذا تكرر الحس كان ذكراً واذا تكرر الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الى المطالب والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال ارادية

معاصيه وعمل ما امره ربه عز وجل وليس من اجل هذا يسمى الباري حكيما انما سمى حكيما لانه سمى نفسه حكيما فقط ولو لم يسمي نفسه حكيما ماسميناه حكيما كما لم نسمه عاقلا اذ لم يسم بذلك ثم نقول لهم واما قولكم انما سمى الله حكيما لفعله الحكمة فانتم مقرون انه اعطى الكفار قوة الكفر ولا يسمى مع ذلك مقويا على الكفر واما من قال منهم انه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الى عباده ودفع المضار عنهم فكلام فاسد اذا قيل على عمومه لان كل مستضر بفعله في دنياه واخراه لم يصرف الله تعالى عنه تلك المضرة وقد كان قادرا على صرفها عنه الا ان يعجزوه عن ذلك فيكفروا وسألهم أصحابنا فقالوا اذا كان الله عز وجل لا يفعل الا ما هو عدل بيننا فلم خلق من يدري انه يكفر به وانه سيخلده بين اطباق النيران ابدا فاجابوا عن هذا باجوبة فمن اظرفها ان كثيراً منهم قالوا لولم يخلق من يكفر به ويخلده في نار جهنم لما استحق العذاب احد ولا دخل النار احد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وتكفي من الدلالة على ضعف عقل هذا الجاهل هذا الجواب ونقول له ذلك ما كنا نبغي وهل الخير كله على ما بيننا الا ان لا يعذب احد بالنار وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذي لا عدل عندنا سواه الا نجاة الناس كلهم من الاذى واجتماعهم في النعيم الدائم ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون واجاب بعضهم في هذا بان قال لو كان هذا لسلم الجميع من اللوم ولكان لا شيء اوضع ولا اخس من العقل لان الذي لا عقل له سالم من العذاب واللوم والاثم كلها مجمعة على فضل العقل

﴿ قال ابو محمد ﴾ لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف لان العقل على الحقيقة انما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصي وما عدا هذا فليس عقلا بل هو سخف وحمق قال الله عز وجل حكاية

عن

بغير روية والحكمة خروج نفس الانسان الى كماله الممكن في جزئي العلم والعمل أما في جانب العلم فان يكون متصوراً للموجودات كما هي ومصدقاً للقضايا كما هي وأما في جانب العمل فان يكون قد حصل له الخلق الذي يسمى العدالة والملكة الفاضلة والفكر العقلي ينال الكليات مجردة والحس والخيال والذكر ينال الجزئيات فالحس يعرض على الخيال أموراً مختلطة والخيال على العقل ثم العقل يفعل التمييز ولكل واحد من هذه المعاني معونة في صواحبها في قسمي التصور والتصديق في الالهيات يجب ان نحصر المسائل التي تختص بهذا العلم في عشر مسائل.

الاولى منها في موضوع هذا العلم وجملة ما ينظر فيه والتنبيه على الوجود ان لكل علم موضوعاً ينظر فيه فيبحث عن أحواله وموضوع العلم الالهي الوجود المطلق ولواحقه التي له لذاته ومباديه وينتهي في التفصيل الى حيث يبتدئ منه سائر العلوم وفيه بيان مباديها وجملة ما ينظر فيه هذا العلم هو أقسام الوجود وهو الواحد والكثير ولواحقها والعلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات العشر ويشبه أن يكون انقسام الوجود الى المقولات انقساماً بالفصول

عن الكفار انهم قالوا * لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير * ثم أصدقهم الله عز وجل في هذا فقال * فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير * فصدق الله من عصاه انه لا يعقل ثم نقول لهم نعم لا منزلة اخس ولا اوضع ولا اسقط من منزلة وموهبة ادت الى الخلود في النيران عقلا كانت او غير عقل على قولكم في العقل لو كان كون الانسان حشرة او دودة او كلباً كان احظى له واسلم وافضل عاجلا وآجلا واحب الى كل ذي عقل صحيح وتمييز غير مدخول واذا كان عند هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالا على صاحبه وسبباً الى تكليفه امورا لم يأت بها فاستحق النار فلا شك عند كل ذي حس سليم في ان عدمه خير من وجوده فان قالوا ان التكاليف لم يوجب عليه دخول النار قلنا نعم ولكنه كان سبباً الى ذلك ولولا التكاليف لم يدخل النار اصلا وقد شهد الله عز وجل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسلم وهي قوله تعالى * انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا * فحمد الله تعالى اباءة الجمادات من قبول التمييز الذي به وقع التكاليف وتحمل امانة الشرائع وذم عز وجل اختيار الانسان لتحملها وسمي ذلك منه ظلما وجهلا وجوراً وهذا معروف في بنية العقل والتمييز ان السلامة المضمونة لا يعدل بها التغرير المؤدي الى الهلاك او الى الغنم وقال بعضهم خلق الله عز وجل من يكفر ومن يعلم انه يخلده في النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خبط لا عهد لنا بمثله وهذا غاية السخف والعبث والظلم فاما العبث فان في العقول منا ان من عذب واحداً ليعظ به آخر فغاية العبث والسخف وأما الجور فأي جور اعظم فيما بيننا من ان يخلق قوماً قد علم انه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين في

وانقسامه الى الوحدة والكثرة وأخواتها انقساماً بالاعراض الوجود يشمل الكل شمولا بالتشكيك لا بالتواطئ ولهذا لا يصلح أن يكون جنساً فانه في بعضها أولى وأول وفي بعضها لا أولى ولا أول وهو أشهر من يحد او يرسم ولا يمكن أن يشرح بغير الاسم لانه مبدأ وأول لكل شيء فلا شرح له بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء وينقسم نوعا من القسمة الى واجب بذاته وممكن بذاته والواجب بذاته ما اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته فقط وجب وجوده واذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال ثم اذا عرض على القسمين عرضاً جليا الواحد والكثير كان الواحد أولى بالواجب والكثير أولى بالجائز وكذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة والغناء والفقر كان أحسن الاسماء أولى بالواجب بذاته وان لم يتطرق اليه الكثرة بوجه فلم يتطرق اليه التقسيم بل يتوجه الى الممكن بذاته فانقسم الى جوهر وعرض وقد عرفناهما برسميهما واما نسبة أحدهما الى الآخر فهو ان الجوهر محل مستغن في قوامه عن الحال فيه والعرض حال فيه غير مستغن في قوامه عنه فكل ذات

النعيم فهلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والانس وهل هذا على اصولهم الا غاية المحاباة والظلم والعبث تعالى الله عن ذلك يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه وسألهم اصحابنا عن ايلام الله عز وجل الصغار والحيوان واباحته تعالى ذبحها فوجموا عند هذه وقال بعضهم لان الله تعالى يعوضهم على ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا غاية العبث فيما بيننا ولا شئ اتم في العبث والظلم ممن يعذب صغيراً ليحسن بعد ذلك اليه فقالوا ان تعويضه بعد العذاب بالجدري والامراض أتم والذ من تنعيمه دون تعذيب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وفي هذا عليهم جوابان احدهما ان يقول لهم اكان الله تعالى قادراً على ان يوفي الاطفال والحيوان ذلك النعيم دون ايلام أو كان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر جموا مع الكفر الجنون لان ضرورة العقل يعلم بها انه اذا قدر على ان يعطيهم مقداراً ما من النعيم بعد الايلام فلا شك في انه قادر على ذلك المقدار نفسه دون ايلام يتقدمه ليس في العقل غير هذا اصلا اذ ليس هاهنا منزلة زائدة في القدرة ولا فعلان مختلفان وانما هو عطاء واحد لشئ واحد في كلا الوجهين وان قالوا انه قادر على ذلك فقد وجب العبث على اصولهم اذ كان قادراً على ان يعطيهم دون ايلام ما لم يعطهم الا بعد غاية الايلام والجواب الثاني ان نريهم صبياناً وحيواناً اماتهم في خير دون ايلام وهذه محاباة وظلم للمؤلم منهم فقالوا ان المؤلم لم يزداد في نعيمه لاجل ايلامه فقلنا لهم فهذه محاباة بزيادة النعيم للمؤلم فهلا الم الجميع ليستوي بينهم في النعيم او هلا تستوي بينهم في النعيم بان لا يؤلم منهم احداً وهذا ما لا انفكاك منه البتة وقال بعضهم فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا غاية الجور بيننا ولا عبث اعظم من ان يعذب انساناً لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين والله تعالى

لم يكن في موضوع ولا قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع فهو عرض وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهراً لا في موضوع اذا كان المحل القريب الذي هو فيه متقوّما به ليس متقوما بذاته ثم مقوما له ونسميه صورة وهو الفرق بينها وبين العرض وكل جوهر ليس في موضوع فلا يخلو اما أن لا يكون في محل أصلا أو يكون في محل لا يستغني في القوام عنه ذلك المحل فان كان في محل بهذه الصفة فانا نسميه صورة مادية وان لم يكن في محل أصلا فاما أن يكون محلا بنفسه لا تركيب فيه أولا يكون فان كان محلا بنفسه فانا نسميه الهيولي المطلقة وان لم يكن فاما أن يكون مركبا مثل أجسامنا المركبة من مادة وصورة جسمية وان لا يكون وماليس بمركب فلا يخلو اما أن يكون له تعلق ما بالاجسام أولم يكن له تعلق فماله تعلق نسميه نفسا وماليس له تعلق فنسميه عقلا وأما أقسام العرض فقد ذكرناها وحصرها بالقسمة الضرورية متعذر * المسئلة الثانية في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه وان المادة الجسمانية لا تتعرى عن الصورة وان الصورة متقدمة على المادة في مرتبة الوجود

قد انكر هذا بقوله تعالى * ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى * فقد انتفى الله عز وجل عن هذا الظلم حقاً واقد كان على اصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة وايلامه البغاة ليعظ بذلك غيرهم ادخل في العدل والحكمة من ان يؤلم طفلا او حيواناً لا ذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صار سبباً الى كفر كثير من الناس واجاب بعضهم في ذلك بان قال انما فعل ذلك عز وجل بالاطفال ليؤجر آباءهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كالذي قبله في الجور بسواء ان يؤذى من لا ذنب له لياجر بذلك مذنباً او غير مذنب حاشا لله من هذا الا ان في هذا مزية من التناقض لان هذا التعليل ينقض عليهم في اولاد الكفار واولاد الزنا ممن قد ماتت امه وفي اليتامى من آبائهم وامهاتهم ورب طفل قد قتل الكفار أو الفساق اباه وامه وترك هو بدار مضيعة حتى مات هزلا أو اكلته السباع فليت شعري من وعظ بهذا أو من اوجر به مع ان هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه يعني ان نؤذى انسان لا ذنب له لينتفع بذلك آخرون وهم يقولون ان الله تعالى فعل هذا فكان حسناً وحكمة ولجأ بعضهم الى ان قال ان لله عز وجل في هذا سراً من الحكمة والعدل يوقن به وان كنا لا نعلم لما هو ولا كيف هو

﴿ قال ابو محمد ﴾ واذ قد بلغوا هاهنا فقد قرب امرهم بعون الله تعالى وهو انه يلزمهم تصديق من يقول لهم ولله تعالى في تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليه سر من الحكمة يوقن به ولا نعلمه

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما نحن فلا نقول بهذا بل نقول انه لا سر هاهنا اصلا بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ولله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

اعلم ان الجسم الموجود ليس جسما بأن فيه ابعادا ثلاثة بالفعل فانه ليس يجب أن يكون في كل جسم فقط أو خطوط بالفعل وأنت تعلم ان الكرة لا قطع فيها بالفعل والنقط والخطوط قطوع بل الجسم انما هو جسم لانه بحيث يصلح أن يعرض فيه ابعاد ثلاثة كل واحد منها قائم على الآخر ولا يمكن أن يكون فوق ثلاثة فالذي يعرض فيه أولا هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحد المشترك هو العمق وهذا المعنى منه صورة الجسمية وأما الابعاد المحدودة التي تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم وهي لواحق لا مقدمات ولا يجب ان يثبت شيء منها له بل مع كل تشكيل يتجدد عليه يبطل كل بعد متجدد كان فيه وربما اتفق في بعض الاجسام ان تكون لا زمة له لا تفارق ملازمة أشكالها وكما ان الشكل لاحق فكذلك ما يتجدد بالشكل وكما ان الشكل لا يدخل في تحديد جسميته كذلك الابعاد المتجددة فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين أو داخلة فيها والابعاد المتجددة موضوعة لصناعة المتعالمين أو داخلة فيها ثم الصورة الجسمية طبيعية وراء الاتصال وهي

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولجأت طائفتان منهم الى أمرين أحدهما قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه قال ان الاطفال لا يألمون البتة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا ندري لعله يقول مثل ذلك في الحيوان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا انقطاع سمج ولجاج في الباطل قبيح ودفع للعيان والحس وكل احد منا قد كان صغيراً ويوقن اننا كنا نألم الالم الشديد الذي لا طاقة لنا بالصبر عليه والثانية احمد بن حابط البصري والفضل الحربي وكلاهما من تلاميذ النظام فانهما قالا ان ارواح الاطفال وارواح الحيوان كانت في اجساد قوم عصاة فعوقبت بان ركبت في اجساد الاطفال والحيوان لتؤلم عقوبة لها

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن هرب عن الاذعان للحق أو عن الاقرار بالانقطاع الى الكفر والخروج عن الاسلام فقد بلغ الى حالة ما كنا نريد أن يبلغها لكن اذا آثر الكفر فالى لعنة الله وحر سعيره ونعوذ بالله من الخذلان وانما كلامنا هذا مع من يتقي مخالفة الاسلام فاما اهل الكفر فقد تم ولله الحمد ابطالنا لقولهم وقد ابطلنا قول أصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله فاغنى عن اعادته واذا بلغ خصمنا الى مكابرة الحس أو الى مفارقة الاسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ولله تعالى الحمد

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان لجؤا الى قول معمر والجاحظ وقالوا ان آلام الاطفال هي فعل الطبيعة لا فعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع بل نقول لهم هل الله عز وجل قادر على معارضة هذه الطبيعة المقطعة لحم هذا الصبي بالجدري والآكلة والخنازير المعدية له ووجع الحصاة واحتباس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت والعدو القاسي القلب يرحمه ويتقطع له لعظيم ما يرى به من التضور والاوجاع بقوة من عنده تعالى يفرج بها عن هذا الطفل المسكين المعذب أم هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا هو غير قادر على ذلك فما في العالم اعجز ممن تغلبه

بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان قابل الاتصال والانفصال أمر وراء الاتصال والانفصال فان القابل يبقى بطريان أحدهما والاتصال لا يبقى بعد طريان الانفصال وظاهر ان هنا ها جوهراً غير الصورة الجسمية هي الهيولى التي يعرض لها الانفصال والاتصال معاً وهي تقارن الصورة الجسمية فهي التي تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسماً واحداً بما يقومها وذلك هو الهيولي والمادة ولا يجوز أن تفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين أحدهما انا لو قدرناها مجردة لا وضع لها ولا حيز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا ان الصورة صادفتها فاما أن يكون صادفتها دفعة أعني المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا على تدرج أو تحرك اليها المقدار والاتصال على تدرج فان حل فيها دفعة في اتصال المقدار بها يكون قد صادفها حيث انضاف اليها فيكون لا محالة صادفها وهو الحيز الذي هو فيه فيكون ذلك الجوهر متحيزا وقد فرض غير متحيز البتة وهذا خلف ولا يجوز ان يكون التحيز قد حصل له دفعة واحدة مع قبول المقدار لان المقدار يوافيه في حيز مخصوص

طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فيمن هي فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقار ضعيف من خلقه فهل في الجنون والكفر اكثر من هذا القول ان يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فيمن هي فيه ثم لا يقدر على كف عملها الذي هو وضعه فيها وان قالوا بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفها ولم يفعل دخل في نفس ما انكر واقر على ربه على اصله الفاسد بالظلم والعبث وبالضرورة ندري ان من رآى طفلا في نار أوماء وهو قادر على استنقاذه بلا مؤنة ولم يفعل فهو عابث ظالم ولكن الله تعالى يفعل ذلك وهو الحكم العدل في حكمه لا العابث ولا الظالم وهذا هو الذي اعظموا من ان يكون قادراً على هدى الكفار ولا يفعل ولجأ بعضهم الى ان قال لو عاش هذا الطفل لكان طاغياً قلنا لهم لم نسئلكم بعد عمن مات طفلا انما سألنا كم عن ايلامه قبل بلوغه ثم نجيبهم عن قولهم فيمن مات من الاطفال انه لو عاش لكان طاغياً فنقول لهم هذا أشد في الظلم ان يعذبه على مالم يفعل بعد

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد وجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان واكله واباح ذبح بعضه واوجب ذبح بعضه اذا نذر الناذر ذبحه قرباناً فنقول للمعتزله اخبرونا ماكان ذنب الذي ابيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار واكله وماكان ذنب الذي حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذي تدعونه وماكان بخت الذي حرم ايلامه ووجدناه عز وجل قد اباح ذبح صغار الحيوان مع ما يحدث لامهاتها من الحنين والوله كالابل والبقر فاي فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هي وبين ماحرم من ذبح اطفالنا وصغار اولاد اعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا فان طردوا دعواهم في المصلحة لربهم ان كل من له مصلحة في قتل غيره كان له قتله فان قالوا لا يجوز ذلك الا حيث أباحه الله عز وجل تركوا قولهم ووقفوا للحق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وجدناه تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له

وان حل فيها المقدار والاتصال على انبساط وتدريج وكل ما من شأنه ان ينبسط فله جهات وكل ماله جهات فهو ذو وضع وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتعين أن المادة لن تُعرى عن الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل والدليل الثاني انا لو قدرنا المادة وجوداً خاصاً متقوماً غير ذي كم ولا جزء باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ما هو متقوم بأنه لا جزء له ولا كم يعرض ان يبطل عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون حينئذ للمادة صورة عارضة بها تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة أخرى بها تكون غير واحدة بالفعل فيكون بين الامرين شيء مشترك هو القابل للامرين من شأنه ان يصير مرة ليس في قوته ان ينقسم ومرة في قوته ان ينقسم ويفرض الآن هذا الجوهر قد صار بالفعل شيئين ثم صار شيئاً واحداً بأن خلع الصورة الاثنينية فلا يخلو اما ان اتحدا وكل واحد منهما موجود فهما اثنان لا واحد وان اتحدا وأحدهما معدوم والآخر موجود فالمعدوم كيف يتحد بالموجود وان عدما جميعاً بالاتحاد وحدث شيء واحد ثالث فهما غير متحدين بل فاسدين وبينهما وبين

الصاحبة والولد ويهود ومجوس اذا اعطونا ديناراً او اربعة دنانير في العام وهم يكفرون بالله تعالى واباح قتل مسلم فاضل قد تاب واصلح لزنا سلف منه وهو محصن ولم يبح لنا استبقاء مشركي العرب من عباد الاوثان الا بان يسلموا ولا بد فاي فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا ابقاؤهم لذهب ناخذه منهم في العام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقالوا لنا هل في افعال الله تعالى عبث وضلال ونقص ومذموم فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اما ان يكون في افعاله تعالى عبث يوصف به او عيب مضاف اليه او ضلال يوصف به او نقص ينسب اليه او جور منه او ظلم منه او مذموم منه فلا يكون ذلك اصلا بل كل افعاله عدل وحكمة وخير وصواب وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ولكن فيها عيب على من ظهر منه ذلك الفعل وعبث منه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه ثم نسألهم فنقول لهم هل في افعاله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام واقذار وانتان ونجس وسخنة للعين وسواد الوجه فان قالوا لا اكذبهم الله عز وجل بقوله تعالى * ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها * وموت الانبياء وفرعون وابليس وكل ذلك مخلوق وان قالوا ان الله تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شئ منه الى الله عز وجل على الوجه المذموم ولكن على الوجه المحمود قلنا هذا قولنا فيما سألتمونا عنه ولا فرق فان قالوا اترضون بافعال الله عز وجل وقضائه قلنا نعم بمعنى اننا مسلمون لفعله وقضائه ومن الرضى بفعله وقضائه ان نكره ما كره الينا قال تعالى * وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان * ثم نسألهم عن هذا بعينه فنقول لهم اترضون بفعل الله تعالى وقضائه فان قالوا نعم لزمهم الرضى بقتل من قتل من الانبياء وبالخمور والانصاب والازلام وبابليس ويلزمهم ان يرضى منهم بالخلود في النار من خلد فيها

الثالث مادة مشتركة وكلامنا في نفس المادة لا في شيء ذي مادة فالمادة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز أن يقال ان الصورة بنفسها موجودة بالقوة وانما تصير بالفعل بالمادة لان جوهر الصورة هو الفعل وما بالقوة محله والصورة وان كانت لا تفارق الهيولي فليست تتقوم بالهيولي بل بالعلة المفيدة لها الهيولي وكيف يتصور ان تقوم الصورة بالهيولي وقد أثبت انها علتها والعلة لا تتقوم بالمعلول وفرق بين الذي يتقوم به الشيء وبين الذي لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوم الصورة أمر مباين لها مفيد وما يقوم الهيولى أمر ملاق لها وهي الصورة فاول الموجودات في استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم الذي يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم الهيولى وهي وان كانت سبباً للجسم فانها ليست بسبب يعطي الوجود بل بسبب يقبل الوجود بانه محل لنيل الوجود وللجسم وجود هاو زيادة وجود الصورة فيه التي هي أكمل منها ثم العرض أولى بالوجود فان أولى الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض وفي الاعراض ترتيب

وفي هذا ما فيه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وسأل بعض اصحابنا بعض المعتزلة فقال اذا كان عندكم إنما خلق الله تعالى الكفار وهو يعلم انهم لا يؤمنون وانه سيعذبهم بين اطباق النيران ابداً ليعظ بهم الملائكة وحور العين فقد كان يكفى من ذلك خلق واحد منهم فقال له المعتزلة ان المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه من الاطفال اكثر من الكفار بكثير جداً

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يخرج بهذا الجواب مما الزمه السائل لان الموعظة كانت تتم بخلق واحد هذا لو كان يخلق من يعذب ليوعظ به آخر وجه في الحكمة بيننا وايضاً فلولا ذكره الملائكة لكان كاذباً في ظنه ان عدد الداخلين في الجنة من الناس اكثر من الداخلين النار لان الامر بخلاف ذلك لان الله عزوجل يقول * فابى اكثر الناس الا كفوراً * وقال تعالى * وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وقال تعالى * وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله * وقال تعال * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم * فليت شعري في اي حكمة وجدوا فيما بينهم او بيننا او في اي عدل خلق من يكون اكثرهم مخلدين في جهنم على اصول هؤلاء الجهال واما نحن فانه لو عذب اهل السموات كلهم وجميع من عمر الارض لكان عدلا منه وحقاله وحكمة منه ولو لم يخلق النار وادخل كل من خلق الجنة لكان حقاً منه وعدلا وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولاحق الا ما فعل وما امر به

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولجأ قوم منهم الى ان قالوا ان الله تعالى لم يعلم من يكفر ولا من يؤمن واقروا انه لو علم من يموت كافراً لكان خلقه له جوراً وظلماً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهؤلاء ايضا مع عظيم ما اتوا به من الكفر في تجهيل

في الوجود أيضاً * المسئلة الثالثة في أقسام العلل وأحوالها وفي القوة والفعل واثبات الكيفيات في الكمية وان الكيفيات اعراض لا جواهر وقد بينا في المنطق ان العلل أربع فتحقيق وجودها ها هنا ان نقول المبدء والعلة يقال لكل ما يكون قد استمر له وجوده في نفسه ثم حصل منه وجود شيء آخر يقوم به ثم لا يخلو ذلك اما ان يكون كالجزء لما هو معلول له وهذا على وجهين اما ان يكون جزءا ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجوداً بالفعل وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجوداً ولا يلزم من وجوده وحده ان يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما ان يكون جزءا يجب عن حصوله بالفعل وجود المعلول له بالفعل وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتأليف للسرير وان لم يكن كالجزء لما هو معلول له فاما ان يكون مباينا أو ملاقيا لذات المعلول والملاقي فاما ان ينعت به المعلول واما ان ينعت بالمعلول وهذان هما في حكم الصورة والهيولى وان كان مباينا فاما ان يكون الذي منه الوجود وليس الوجود لاجله وهو الفاعل واما ان لا يكون منه

ربهم تعالى فلم يتخلصوا مما الزمهم اصحابنا لانه ليس من الحكمة خلق من لايدري ايموت كافراً فيعذبه ام لا وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكة على جهالة وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيما بيننا لمن يمكنه أن لا يغرر وقد كان الباري تعالى قادرا على ان لايخلق كما قد كان لم يزل لايخلق ثم خلق الا ان يلجأ الى انه تعالى لايقدر على ان لايخلق فيجعلوه مضطراً ذا طبيعة غالبة وهذا كفر مجرد محض ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ واذا أقرت المعتزلة ان اطفال بني آدم كلهم اولاد المشركين واولاد المسلمين في الجنة دون عذاب ولا تقرير تكليف فقد نسوا قولهم الفاسد ان العقل افضل من عدمه بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصول على النعيم الدائم فى الآخرة بلا تقرير الا في عدم العقل فكيف فارقوا هذا الاستدلال واما نحن فنقول ان من اسعده الله تعالى من الملائكة فلم يعرضهم لشيء من الفتن أعلى حالا من كل خلق غيرهم ثم بعدهم الذين عصم الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام وآمنهم من المعاصي ثم من سبقت لهم من الله تعالى الحسنى من مؤمني الجن والانس الذين لا يدخلون النار والحور العين اللاتي خلقن لاهل الجنة على ان لهؤلاء المذكورين حاشى الحور العين حالة من الخوف طول بقائهم في الدنيا ثم يوم الحشر في هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذي لايفي به شيء الا السلامة منه ولا يهنأ معه عيش حتى يخلص منه وقد تمنى كثير من الصالحين العقلاء الفضلاء ان لو كانوا نسياً منسياً في الدنيا ولا يعرضوا لما عرضوا له على انهم قد آمنوا بالضمان التام الذي لايخيس ولقد اصابوا في ذلك اذ السلامة لا يعد لها شيء الا عند عقول المعتزلة القائلين بان الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بانواع العذاب والتعريض لكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من ان يتقدمه

الوجود بل لاجله الوجود وهو الغاية والغاية تتأخر في حصول الموجود وتتقدم سائر العلل في الشيئية والغاية بما هو شيء فانها تتقدم وهي علة العلل في انها علل و بما هي موجودة في الاعيان قد تتأخر واذا لم تكن العلة هي بعينها الغاية كان الفاعل متأخرا في الشيئية عن الغاية و يشبه ان يكون الحاصل عند التمييز هو ان الفاعل الاول والمحرك الاول في كل شيء هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية هي الغاية بعينها استغنى عن تحريك الغاية فكان نفس ما هو فاعل نفس ما هو محرك من غير توسط وأما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان وأما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل أبدًا مستفيد والفاعل مفيد وقد تكون العلة علة للشيء بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة وقد تكون علة بعيدة وقد تكون علة لوجود الشيء فقط وقد تكون علة لوجوده ولد وأم ووجوده فانه انما احتاج الى الفاعل لوجوده وفي حال وجوده لا لعدمه السابق وفي حال عدمه فيكون الموجد انما يكون موجد الموجود والموجود هو الذي يوصف بأنه موجد وكما انه في حال ما هو

بلاء ثم الاطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ومن بلغ ولا تمييز له ثم منزلة من دخل النار ثم اخرج منها بعد ان دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ بالله منه وأما من يخلد في النار فكل ذي حس سليم توقن نفسه يقين ضرورة ان الكلب والدود والقرد وجميع الحشرات احسن حالا في الدنيا والآخرة منه وأعلى مرتبة وأتم سعداً وأفضل صفة وا كرم عناية من عند الباري تعالى منه ويكفي من هذا اخبار الله تعالى اذ يقول * ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا * فنص تعالى على ان حال الجمادية احسن منه حالة فاعجبوا للمعتزلة القائلين ان الله تعالى اعطى من يتمنى يوم القيامة ان يكون تراباً افضل عطية عنده ولم يترك في قدرته اصلح مما عمل به وان خلقه له كان خيراً له من ان لا يخلقه ونحن نعوذ بالله لانفسنا من ان يعمل بنا ما عمل بهم

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن عجائبهم قولهم ان الله تعالى لم يخلق شيئاً لا يعتبر به أحد من المكلفين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنقول لهم ما دليلكم على هذا وقد علمنا بضرورة الحس ان لله تعالى في قعور البحار وأعماق الارض اشياء كثيرة لم يرها انسان قط فلم يبق الا أن يدعو عوض الملائكة والجن في عمق الجبال وقعور البحور فهذه دعوى مفتقرة الى دليل والا فهي باطلة قال عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وايضاً فما تبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم على الله ان الله تعالى اذا خلق زيدا وله من الطول كذا وكذا فانه لو خلقه على اقل من ذلك الطول باصبع لكان الاعتبار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد وهكذا كل مقدار من المقادير فان ادعوا ان الزيادة في العدد زيادة في العبرة لزمهم ان يلزموا ربهم تعالى ان يزيد في مقدار طول كل ما خلق لانه كان يكون زيادة في الاعتبار والا فقد قصر وبالجملة فهو سهم لايحصيه الا الذي خلقهم نعوذ بالله مما ابتلاهم به

موجود يوصف بأنه موجد كذلك الحال في كل حال فكل موجد محتاج الى موجد مقيم لوجوده لولاه لعدم وأما القوة والفعل القوة تقال لمبدأ التغير في آخر من حيث انه آخر وهو اما في المنفصل وهي القوة الانفعالية وأما في الفاعل وهي القوة الفعلية وقوة المنفعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة الماء على قبول الشكل دون قوة الحفظ وفي الشمع قوة عليهما جميعاً وفي الهيولي قوة الجميع ولكن بتوسط شيء دون شيء وقوة الفاعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة النار على الاحراق فقط وقد يكون على أشياء كثيرة كقوة المختارين وقد يكون في الشيء قوة على شيء ولكن بتوسط شيء دون شيء والقوة الفعلية المحدودة اذا لاقت القوة المنفصلة حصل منها الفعل ضرورة وليس كذلك في غيرها مما يستوي فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي القوة التي يقابلها بها الفعل فان هذه تبقى موجودة عند ما يفعل والثانية انما تكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيه اما الذي بالارادة والاختيار فظاهر وأما الذي ليس بالاختيار فلا يخلو اما أن يصدر عن

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم مقرون ان العقول معطاة من عند الله عز وجل فنسألهم افاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقول أم لا فان قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلك ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم وتمييزه وعقل عيسى وابراهيم وموسى وايوب وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمييزهم وعقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وساير الملائكة ثم تمييز ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب وعقولهم وتمييز امهات المؤمنين وبنات النبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله على جميع من ذكرنا وعقولهن ثم تمييز سقراط وافلاطون وارسطاطاليس وعقولهم ليس شيء من ذلك افضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث البغاء الرقان ولهذه الزانية الخليقة المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذي يلعب مع الصبيان بالكعاب في الخانات ويعجفهم اذا قدر ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من اعطى الله عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز فقد كفي خصمه مؤنته وان قالوا بل الله تعالى فاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقل والتمييز قيل لهم صدقتم وهذا هو المحاباة والجور على اصولكم ولا محاباة على الحقيقة اكثر من هذا وهي عندنا حق وعدل منه تعالى لا يسأل عما يفعل ولعمري ان فيهم لعجباً اذ يقولون ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه الا ما اعطى سائرهم فهلا ان كانوا صادقين ساوى جميعهم ابراهيم النظام وابا الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والجبائي في دقة نظرهم وقوتهم على الجدال اذ كلهم فيما منحهم الله عز وجل من ذلك سواء فاذ لاشك في عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك في ان كل احد لا يقدر ان يزيد فيما منحه الله تعالى به وليس يمكنهم اصلا ان يدعوا هاهنا انهم كلهم قادرون على ذكاء الذهن وحدة النظر وقوة الفطنة وجودة الحفظ والبتة لدقيق الحجة وان لم يظهر وكما ادعوا ذلك في الاعمال الصالحة فصحت المحاباة من الله تعالى يقيناً عياناً

ذاته بما هو ذاته أو عن قوة في ذاته أو عن شيء مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب أن يشاركه سائر الاجسام واذا تميز عنها بصدور ذلك الفعل عنه فلمعني في ذاته زائد على الجسمية وان صدر عن شيء مباين فلا يخلو اما أن يكون جسما أو غير جسم فان كان جسماً فالفعل منه بقسر لا محالة وقد فرض بلا قسر هذا خلف وان لم يكن جسما فتأثر الجسم عن ذلك المفارق اما أن يكون بكونه جسما أو لقوة فيه ولا يجوز ان يكون بكونه جسما فتعين أن يكون لقوة فيه هي مبدؤ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذي نسميه القوة الطبيعية وهي التي يصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحيزات الى امكانها والتشكيلات الطبيعية واذا خليت وطباعها لم يجز أن يحدث منها زوايا مختلفة بل لا زاوية فيجب أن تكون كرة واذا صح وجود الكرة صح وجود الدائرة * المسئلة الرابعة في المتقدم والمتأخر والقديم والحادث واثبات المادة لكل متكون التقدم قد يقال بالطبع وهو ان يوجد الشيء وليس الآخر بموجود ولا يوجد الآخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال في الزمان كتقدم الاب على الابن

لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قروا ان العقول والذكاء وقبول العلم وذكاء الخاطر ودقة الفهم غير موهوبة من الله تعالى عز وجل قلنا لهم فمن خلقها فان قالوا هي فعل الطبيعة قلنا لهم ومن خلق الطبيعة التي فعلت العقول وكل ذلك بذاتها متفاضلة فمن قولهم ان الله تعالى خلقها فيقال لهم فهو موجب المحاباة اذ رتب الطبيعة رتبة المحاباة ولا بد وان قالوا لم تخلق الطبيعة ولا العقول لحقوا بالدهرية وصاروا الى ما لم يرد لهم المصير اليه وهذا لامخلص لهم منه اصلا وبالله تعالى التوفيق وبالضرورة ندري ان من كان تمييزه اتم كان اهتداؤه واعتصامه اتم على اصولهم وهذا هو المحاباة التي انكروها وسموها ظلماً وجورا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومهما امكنهم من الدفاع والقحة في شيء ما فانه لا يمكنهم اعتراض اصلا في ان فضل الله تعالى على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام وعلى يحيى ابن زكريا اذ جعل عيسى نبياً ناطقاً عاقلا في المهد رسولا حين سقوطه من بطن أمه واذ أتى يحيى الحكم صبياً اتم واعلا واكثر من فضله على من ولد في اقاصي بلاد الخز والزنج حيث لم يسمع قط ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الا متبعاً اقبح الذكر من التكذيب وانه كان متخيلا واكثر من فضله بلا شك على فرعون اذ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فقال * ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ان من ضل بعد هذا لضال وان من قال ان فضل الله عز وجل وعطاءه لموسى وعيسى ويحيى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعصمته لهم كفضله وعطائه على فرعون وملئه وعصمته لهم الذين نص عز وجل على انه شد على قلوبهم شدا منعهم الايمان حتى يروا العذاب الاليم فلا ينفعهم ايمانهم حينئذ لضعيف العقل قليل العلم مهاهل اليقين ولا بيان ابين

ويقال في المرتبة وهو الاقرب الى المبدأ الذي عين كالتقدم في الصف الاول أن يكون أقرب الى الامام ويقال في الكمال والشرف كتقدم العالم على الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقاً لوجود قبل المعلول وهما بماهما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصية التقدم والتأخر ولا خاصية المعني ولكن بما هما متضايفان وعلة ومعلول وان أحدهما لم يستفد الوجود من الآخر والآخر استفاد الوجود منه فلا محالة كان المفيد متقدماً والمستفيد متأخراً بالذات واذا رفعت العلة ارتفع المعلول لا محالة وليس اذا ارتفع المعلول ارتفع بارتفاعه العلة بل ان صح فقد كانت العلة ارتفعت أولا لعلة أخرى حتى ارتفع المعلول واعلم ان الشيء كما يكون محدثاً بحسب الزمان كذلك قد يكون محدثاً بحسب الذات فان الشيء اذا كان له في ذاته أن لا يجب له وجوده بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحق العدم لولا علته والذي بالذات يجب وجوده قبل الذي من غير الذات فيكون لكل معلول في ذاته أولا انه ليس ثم عن العلة وثانياً انه ليس فيكون كل معلول محدثاً أي مستفيد الوجود من غيره وان كان مثلا في جميع الزمان

ابين من هذه الآية في تفضيل الله عز وجل بعض خلقه على بعض واختصاص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض ومحاباته من شاء منهم واضلاله من ضل منهم وايضاً فانهم لا يستطيعون ان الله عز وجل فضل بني آدم على كثير ممن خلق قال تعالى* تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات* وقال تعالى* ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض* وقال تعالى* ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا* وهي المحاباة بعينها التي هي عند المعتزلة جور وظلم فيقال لهم على اصلكم الفاسد هل لا رزق الله العقل سائر الحيوان فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التي عرض لها بني آدم وهلا ساوى بين الحيوان وبيننا في ان لا يعرضنا كلنا للمهالك والفتن فهل هذا الا محاباة مجردة وفعل لما يشاء لا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد ذكر بعضهم ان الله تعالى قبح في عقول بني آدم اكل ما يعطيهم واكل اموال غيرهم ولم يقبح ذلك في عقول الحيوان ﴿ قال ابو محمد ﴾ فاقر هذا الجاهل بان الله تعالى هو المقبح والمحسن فاذ ذلك كذلك فلا قبيح الا ما قبح الله ولا محسن الا ما حسن وهذا قولنا ولم يقبح الله تعالى قط خلقه لما خلق وانما قبح منا كون ذلك الذي خلق من المعاصي فينا فقط وبالله تعالى التوفيق وان الامر لأبين من ذلك ألم تروا ان الله خلق الحيوان فجعل بعضه افضل من بعض بلا عمل أصلا ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق نعم وعلى نوق الانبياء الذين هم افضل من صالح وانما اتينا بهذا لئلا يقولوا انه تعالى انما فضلها تفضيلا لصالح عليه السلام وجعل تعالى الكلب مضروباً به المثل في الخساسة والرذالة وجعل القردة والخنازير معذبا بعض من عصاه بتصويره في صورتها فلو لا ان صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب في صورتها أشد ما

موجودًا مستفيدًا لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لانه وجوده من بعد لاوجوده بعدية بالذات وليس حدوثه انما هو في آن من الزمان فقط بل هو محدث في الدهر كله ولا يمكن أن يكون حادث بعد مالم يكن في زمان الا وقد تقدمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما أن يكون معنى معدوماً أو معنى موجودًا ومحال أن يكون معدوماً فان المعدوم قبل والمعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامكان والقبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذا معنى موجود وكل معنى موجود فاما قائم لا في موضوع أو قام في موضوع وكل ما هو قائم لا في موضوع فله وجود خاص لا يجب أن يكون به مضافاً وامكان الوجود انما هو ماهو بالاضافة الى ماهو امكان وجود له فهو اذًا معنى في موضوع وعارض لموضوع ونحن نسميه قوة الوجود ويسمى حامل قوة الوجود الذي فيه قوة وجود الشيء موضوعاً وهيولي ومادة وغير ذلك فاذًا كل حادث فقد تقدمته المادة كما تقدمه الزمان* المسئلة الخامسة في الكلي والواحد ولواحقها قال المعنى الكلي بما هو طبيعة ومعنى كالانسان بما هو انسان شيء وبما هو واحدًا

يكون من عذاب الدنيا ونكالها وجعل بعض الحيوان متقرباً الى الله عز وجل بذبحه وبعضه محرماً ذبحه وبعضه مأواه الرياض والاشجار والخضر وبعضه مأواه الحشوش والرداغ والدبر وبعضه قوياً وبعضه ضعيفاً وبعضه منتفعاً به في الاودية وبعضه سماً قاتلاً وبعضه قوياً على الخلاص ممن اراد بطيرانه وعدوه أو قوته وبعضه مهيناً لا مخلص عنده وبعضه خيلاً في نواصيها الخير يجاهد عليها العدو وبعضه سباعاً ضارية مسلطة على سائر الحيوان ذاعرة لها قاتلة لها آكلة لها وجعل سائر الحيوان لا ينقصر منها وبعضها حيات عادية مهلكة وبعضه مأكولا على كل حال فاي ذنب كان لبعضه حتى سلط عليه غيره فاكله وقتله وابيح ذبحه وقتله وان لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق والوزغ وسائر الهوام ونهى عن قتل النحل وعن قتل الصيد في الحرمين والاحرام وأباحه في غير الحرمين والاحرام فان قالوا ان الله تعالى يعوض ما اباح ذبحه وقتله منها قيل له فهلا أباح ذلك فيما حرم قتله ليعوضه أيضاً وهذه محاباة لاشك فيها مع انه في المعهود من المعقول عين العبث الا ان يقولوا انه تعالى لا يقدر على نعيمها الا بتقديم الاذى فانهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها على من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان مع انه تعجيز لله عز وجل ويقال لهم ما الذي عجزه عن ذلك واقدره على تنعيم من تقدم له الاذى فى الدنيا أطبيعة فيه جارية على بنيتها ام فوقه واهب له تلك القدرة ولابد من احد هذين القولين وكلاهما كفر مجرد وايضاً فان قولهم يبطل بتنعيم الله عز وجل الاطفال الذين ولدوا احياء وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم ولا تعذيب فهلا فعل بجميع الحيوان كذلك على اصولكم وايضاً فقد كان عز وجل قادراً على ان يجعل غذاءنا فى غير الحيوان لكن فى النبات والثمار كعيش كثير من الناس في الدنيا لا يأكلون لحماً فما ضرهم ذلك فى عيشهم شيئاً فهل هاهنا الا ان الله تعالى لا يجوز الحكم على افعاله

واكثر خاص أو عام شيء بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث هو في الذهن أو في الخارج واذا قد عرفت ذلك فقد يقال كلي للانسانية بلا شرط وهو بهذا الاعتبار موجود بالفعل في أشياء وهو المحمول على كل واحد لا على انه واحد بالذات ولا على انه كثير وقد يقال كلي للانسانية بشرط انها مقولة على كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجوداً بالفعل في لاشياء فبين ظاهر ان الانسان الذي اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص آخر حتى يكون ذلك بعينه في شخص زيد وعمرو فلا كلي عام في الوجود بل الكلي العام بالفعل انما هو في العقل وهي الصورة التي في العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم من الجهة التي قيل انه واحد ومنه مالا ينقسم في الجنس ومنه مالا ينقسم في النوع ومنه مالا ينقسم بالعرض العام كالغراب والقير في السواد ومنه مالا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الى النفس ومنه مالا ينقسم في العدد ومنه ما لا ينقسم في الحد والواحد بالعدد اما ان يكون فيه كثرة بالفعل فيكون واحد بالتركيب والاجتماع

بما يحكم به علي افعالنا لانا مأمورون منهيون وهو تعالى أمرنا لا مأمور ولا منهي فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق وكل ما فعلناه فانه ان وافق امره عز وجل كان عدلا وحقاً وان خالف امره عز وجل كان جوراً وظلما

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الحيوان فان قولنا فيه هو نص ما قاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم اذ يقول عز وجل * وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون * وقال عز وجل * واذا الوحوش حشرت * فنحن موقنون ان الوحوش كلها وجميع الدواب والطير تحشر كلها يوم القيامة كما شاء الله تعالى ولما شاء عز وجل واما نحن فلا ندرى لما ذا والله اعلم بكل شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فنحن نقر بهذا وبانه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء ولا ندري ما يفعل الله بهما بعد ذلك الا انا ندري يقيناً انها لا تعذب بالنار لان الله تعالى قال* لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * وبيقين ندري ان هذه الصفة ليست الا في الجن والانس خاصة ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى وقد ايقنا ان سائر الحيوان الذي في هذا العالم ما عدا الملائكة والحور والانس والجن فانه غير متعبد بشريعته واما الجنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة والحيوان حاشى من ذكرنا لا يقع عليهم اسم مسلمين لان المسلم هو المتعبد بالاسلام والحيوان المذكور غير متعبد بشرع فان قال قائل انكم تقولون ان اطفال المسلمين واطفال المشركين كلهم في الجنة فهل يقع على هؤلاء اسم مسلمين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول نعم كلهم مسلمون بلا شك لقول الله تعالى* واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم

واما ان لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحداً بالاتصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد على الاطلاق والكثير يكون على الاطلاق وهو العدد الذي بازاء الواحد كما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذي يترتب بازائه القليل فاقل العدد اثنان واما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتحاد في الكيفية والمساواة هو اتحاد في الكمية والمجانسة اتحاد في الجنس والمشاكلة اتحاد في النوع والموازاة اتحاد في الاجزاء والمطابقة اتحاد في الاطراف والهو هو حال بين اثنين جعلا اثنين في الوضع يصير بها بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل كل منها من باب الكثير متقابل * المسئلة السادسة في تعريف واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معاً وانه لا كثرة في ذاته بوجه وانه خير محض وحق وانه واحد من وجوه شتى ولا يجوز ان يكون اثنان واجبي الوجود وفي اثبات واجب الوجود بذاته قال واجب الوجود معناه انه ضروري الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه ثم ان واجب الوجود قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذي وجوده لذاته لا لشيء آخر والثاني هو الذي

الست بربكم قالوا بلى * وبقوله تعالى * فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله * ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وروي على الملة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه او يشركانه ولقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فصح لهم كلهم اسم الاسلام والحمد لله رب العالمين وقد نص عليه السلام على انه رآى كل من مات طفلا من اولاد المشركين وغيرهم في روضة مع ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم واما المجانين ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة نبي ومن ادركه الاسلام وقد هرم او اصم لا يسمع فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تبعث لهم يوم القيامة نار موقدة ويؤمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه برداً ودخل الجنة او كلاماً هذا معناه فنحن نؤمن بهذا ونقر به ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ واذ قد بلغ الكلام هاهنا فلنصله ان شاء الله تعالى راغبين في الاجر من الله عز وجل على بيان الحق فنقول وبالله تعالى نتأيد ان الله تعالى قد نص كما ذكرنا انه آخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وهذا نص جلي على انه عز وجل خلق انفسنا كلها من عهد آدم عليه السلام لان الاجساد حينئذ بلا شك كانت تراباً وماء وايضاً فان المكلف المخاطب انما هو النفس لا الجسد فصح يقيناً ان نفوس كل من يكون من بني آدم الى يوم القيمة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك ولم يقل الله عز وجل انه افنانا بعد ذلك ونص تعالى على انه خلق الارض والماء حينئذ بقوله تعالى * انه جعل من الماء كل شيء حي * وبقوله تعالى * خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش * واخبر عز وجل انه خلقنا من طين والطين هو

وجوده لشيء آخر أي شيء كان ولو وضع ذلك الشيء صار واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند وضع اثنين اثنين ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معاً فانه ان رفع ذلك الغير لم يخل اما ان يبقى وجوب وجوده أو لم يبق فان بقي فلا يكون واجباً بغيره وان لم يبق فلا يكون واجباً بذاته فكل ما هو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب وجوده تابع لنسبة ما وهي اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشيء فاعتبار الذات وحدها اما ان يكون مقتضياً لوجوب الوجود وقد أبطلناه واما ان يكون مقتضياً لامتناع الوجود وما امتنع بذاته لم يوجد بغيره واما ان يكون مقتضياً لامكان الوجود وهو الباقي وذلك انما يجب وجوده بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده على عدمه ولا يكون بين هذه الحالة الاولى فرق وان قيل تجددت حالة فالسؤال عنها كذلك ثم واجب الوجود بذاته لا يجوز ان يكون لذاته مبادي تجتمع فيتقوم منها واجب الوجود لا أجزاء كمية ولا أجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة أو كانت على وجه آخر

التراب والماء وانما خلق تعالى من ذلك اجسامنا فصح ان عنصر اجسامنا مخلوق منذ اول خلقه تعالى السموات وان ارواحنا وهي انفسنا مخلوقة منذ اخذ الله تعالى عليها العهد وهكذا قال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وثم توجب في اللغة التي بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ثم يصور الله تعالى من الطين اجسامنا من اللحم والدم والعظام بان يحيل اعراض التراب والماء وصفاتها فتصير نباتاً وحباً وثماراً يتغذى بها فتستحيل فينا لحماً وعظماً ودماً وعصباً وجلداً وغضاريف وشعراً ودماغاً ونخاعاً وعروقاً وعضلاً وشحماً ومنياً ولبناً فقط وكذلك تعود اجسامنا بعد الموت تراباً ولا بد وتصعد رطوباتها المائية واما جمع الله تعالى الانفس الى الاجساد فهي الحياة الاولى بعد افتراقها الذي هو الموت الاول فتبقى كذلك في عالم الدنيا الذي هو عالم الابتلاء ما شاء الله تعالى ثم ينقلنا بالموت الثاني الذي هو فراق الانفس للاجساد ثانية الى البرزخ الذي تقيم فيه الانفس الى يوم القيامة وتعود اجسامنا تراباً كما قلنا ثم يجمع الله عز وجل يوم القيامة بين انفسنا واجسادنا التي كانت بعد ان يعيدها وينشرها من القبور وهي المواضع التي استقرت اجزاؤها فيها لا يعلمها غيره ولا يحصيها سواه عز وجل لا اله الا هو فهذه الحياة الثانية التي لا تبيد ابداً ويخلد الانس والجن مؤمنهم في الجنة بلا نهاية وكافرهم في النار بلا نهاية واما الملائكة وحور العين فكلهم في الجنة فيها خلقوا من النور وفيها يبقون ابداً بلا نهاية ولم ينقلوا عنها قط ولا ينقلون هذا كله نص قول الله عز وجل اذ يقول * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * واذ يقول تعالى مصدقاً للقائلين * ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * فلا يشذ عن هذا احد الا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه كمن أحياه الله عز وجل آية لنبي كالمسيح عليه السلام وكالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال

بأن تكون أجزاء القول الشارح لمعنى اسمه يدل كل واحد منها على شيء هو في الوجود غير الآخر بذاته وذلك لان كل ماهذا صفته فذات كل جزؤ منه ليس هو ذات الآخر ولا ذات المجتمع وقد وضح ان الاجزاء بالذات أقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة للاجزاء ثم للكل ولا يكون شيء منها بواجب الوجود وليس يمكننا أن نقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء فهو اما متأخر واما معاً فقد اتضح ان واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة في جسم ولا صورة في جسم ولا مادة معقولة لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة في مادة معقولة ولا قسمة له لا في الكم ولا في المبادئ ولا في القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذ هو واحد من كل وجه فلا جهة وجه وأيضاً فان قدر بأن يكون واجباً من جهة ممكناً من جهة كان امكانه متعلقاً بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقاً فينبغي أن يتفطن من هذا ان واجب الوجود لا يتأخر عن وجوده وجود له منتظر بل كل ماهو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات التي تكون لذاته منتظرة

لهم

لهم الله موتوا ثم احياهم فهؤلاء والذي اماته الله مائة عام ثم احياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات واما من ظن ان الصعقة التي تكون يوم القيامة موت فقد أخطا بنص القرآن الذي ذكرنا لانها كانت تكون حينئذ لكل احد ثلاث موتات وثلاث احيا آت وهذا كذب وباطل وخلاف للقرآن وقد بين عز وجل هذا نصاً فقال تعالى *ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله* فبين تعالى ان تلك الصعقة انما هي فزع لاموت وبين ذلك بقوله تعالى في سورة الزمر *ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء * الآية فبين تعالى ان تلك الصعقة مستثنى منها من شاء الله عز وجل وفسر بها الآية التي ذكرنا قبل وبينت انها فزعة لاموتة وكذلك فسرها النبي عليه الصلوة والسلام بانه اول من يقوم فيرى موسى عليه السلام قائماً فلا يدري اكان ممن صعق فافاق ام جوزى بصعقة الطور فسماها افاقة ولو كانت موتة ماسماها افاقة بل احياء فكذلك كانت صعقة موسى عليه الصلوة والسلام يوم الطور فزعة لاموتا قال تعالى * وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك* هذا مالا خلاف فيه

﴿ قال ابو محمد ﴾ فصح بما ذكرنا ان الدور سبع وهي عالمون كل عالم منها قائم بذاته فاولها دار الابتداء وعالمه وهو الذي خلق عز وجل فيه الانفس جملة واحدة وأخذ عليها العهد هكذا نص تعالى على انها الانفس بقوله عز وجل * واشهدهم على انفسهم ألست بربكم * وهي دار واحدة لانهم كلهم فيها مسلمون وهي دار طويلة على آخر النفوس جداً الاعلى اول المخلوقين فهي قصيرة عليهم جداً وثانيها وهي دار الابتلاء وعالمه وهي التي نحن فيها وهي التي يرسل الله تعالى النفوس اليها من عالم الابتدا

وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو مايتشوقه كل شيء ويتم به وجود كل شيء والشر لاذات له بل هو اما عدم جوهر او عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خيرية وكمال الوجود كمال الخيرية والوجود الذي لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال للجوهر بل هو دائماً بالفعل فهو خير محض والممكن بذاته ليس خيراً محضاً لان ذاته يحتمل العدم وواجب الوجود هو حق محض لان حقيقة كل شيء خصوصية وجوده الذي يثبت له فلا أحق اذا من واجب الوجود وقد يقال حق أيضاً فيما يكون الاعتقاد به لوجوده صادقاً فلاأحق بهذه الصفة مما يكون الاعتقاد لوجوده صادقاً ومع صدقه دائماً ومع دوامه لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز أن يكون نوع واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له بعينه اما أن يقتضيه ذات نوعه أو لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجود نوعه مقتضى ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذا تام في وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة ان حده له وواحد من جهة انه لا ينقسم بالكم ولا بالمبادئ المقومة له ولا

فتقيم فيه في اجسادها متعبدة ما اقامت حتي تفارقه جيلا بعد جيل حتى تستوفي جميع الانفس المخلوقة بسكناها الموفق لها فيه ثم ينقضي هذا العالم وهي دار قصيرة جداً على كل نفس في ذاتها لان مدة عمر الانسان فيها قليل ولو عمر الف عام فكيف باعمار جمهور الناس التي هي من ساعة الى حدود المائة عام ثم داران اثنتان للبرزخ وهما اللتان ترجع اليهما النفوس عند خروجها من هذا العالم وفراقها اجسادها وهما عند سماء الدنيا نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر انه رأى ليلة اسرى به عليه الصلاة والسلام آدم في سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فسأل عنها فاخبر انها نسم بنيه وان الذين عن يمينه ارواح اهل السعادة والذين عن يساره ارواح اهل الشقا وقد نص الله تعالى على هذا نصاً فقال تعالى * وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين * وقال تعالى * فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو الحق اليقين * وقال تعالى * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة *

﴿ قال ابو محمد ﴾ رضي الله عنه هكذا نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان ارواح الشهداء في الجنة وكذلك الانبياء بلا شك فمن الباطل ان يفوز الشهداء بفضل يحرمه الانبياء وهم المقربون الذين ذكر الله تعالى انهم في الجنة اذ يقول تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فهاتان داران قائمتان لم يدخل اهلها بعد لا جنة ولا ناراً بنص القرآن والسنة وقال تعالى * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً

باجزاء الحد وواحد من جهة ان لكل شيء وحدة محضة وبها كمال حقيقته الذاتية وواحد من جهة ان مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذاً أن يكون اثنان كل واحد منهما واجب الوجود بذاته فيكون وجوب الوجود مشتركا فيه على أن يكون جنساً أو عارضاً ويقع الفصل بشيء آخر اذ يلزم التركيب في ذات كل واحد منهما بل ولا تظن انه موجود وله ماهية وراء الوجود كطبيعة الحيوان واللون مثلاً الجنسين اللذين يحتاجان الى فصل وفصل حتى يتقررا في وجودهما لان تلك الطبائع معلومة وانما يحتاجان لا في نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل في الوجود وها هنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التي لا يحتاج الى فصل في ان يكون حيوانا بل في ان يكون موجوداً ولا يظن ان واجبي الوجود لا يشتركان في شيء ما كيف وهما مشتركان في وجوب الوجود ومشتركان في البراءة عن الموضوع فان كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس في منع كثرة اللفظ والاسم بل في معنى واحد هي معاني ذلك الاسم وان كان بالتواطئ فقد حصل معنى

ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب* وقال تعالى حاكياً عن الكفار انهم يقولون يوم البعث*يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا*فصح انهم لم يعذبوا في النار بعد وهكذا جاءت الاخبار كلها بان الجميع يوم القيامة يصيرون الى الجنة والى النار لاقبل ذلك حاشى الانبياء والشهداء فقط ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثم خرج عنها قال تعالى*ولقد رآه نزلة أخري عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وهما داران طويلتان على أول النفوس جداً حاشى آخر المخلوقين فهي قصيرة عليهم جداً وانما استقصرها الكفار كما قال عز وجل في القرآن لانهم انتقلوا عنها الى عذاب النار نعوذ بالله منها فاستقلوا تلك المدة وان كانت طويلة حتى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا اليه يوماً أو بعض يوم وقال بعضهم ان لبثتم الا عشرا ثم الدار الخامسة هي عالم البعث وهو يوم القيامة وهو عالم الحساب ومقداره خمسون الف سنة قال تعالى * في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبراً جميلا انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * فصح انه يوم القيامة وبهذا أيضاً جاءت الاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الايام التي قال الله تعالى فيها ان اليوم منها الف سنة فهي آخر قال تعالى * يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون* وقال تعالى*وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون*فهي أيام اخر بنص القرآن ولا يحل احالة نص عن ظاهره بغير نص آخر أو اجماع يقين أو ضرورة حس ثم الدار السادسة والسابعة داران للجزاء وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ولا فناء لهما ولا لمن فيهما نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ونسأله الرضى منه الموجب للجنة وما توفيقنا

عام عموم لازم أو عموم جنس وقد بينا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين على سبيل اللوازم التي تعرض من خارج واللوازم معلومة وأما اثبات واجب الوجود فليس يمكن الا لبرهان ان وهو الاستدلال بالممكن عن الواجب فنقول كل جملة من حيث انها جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخلو اما ان كانت واجبة بذاتها أو ممكنة بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود يتقوم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة في الوجود الى مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد خارجاً عنها أو داخلا فيها فان كان داخلا فيها و يكون واحد منها واجب الوجود وكان كل واحد منها ممكن الوجود هذا خلف فتعين ان المفيد يجب ان يكون خارجاً عنها وذلك هو المطلوب المسئلة السابعة في ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة في ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال العقل يقال على كل مجرد من

الا بالله الرحيم الكريم وأما من قال ان قوله تعالى في يوم القيامة انما هو مقدار خمسين الف سنة لو تولى ذلك الحساب غيره فهو مكذب لربه تعالى مخالف للقرآن ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول ذلك اليوم وبضرورة العقل ندري انه لو كلف جميع اهل الارض محاسبة اهل حصر واحد فيما أضمروه وفعلوه وموازنة كل ذلك ما قاموا به في الف الف عام فبطل هذا القول الكاذب بيقين لا شك فيه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واذ قد بينا بطلان قول المعتزلة في تحكمهم على ربهم وايجابهم عليه ما أوجبوا بآرائهم السخيفة وتشبيههم اياه بانفسهم فيما يحسن منهم ويقبح وتجويزهم اياه فيما فعل وقضى وقدر فلنبين بحول الله وقوته انهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ثم نذكر ما نص الله تعالى عليه مصدقاً لقولنا ومكذباً لقولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل نتايد ان من المحال البين ان يقول المعتزلة انا نجور الله تعالى ونحن نقول انه لا يجور البتة ولا جار قط وان كل ما فعل اويفعل أي شيء كان فهو العدل والحق والحكمة على الحقيقة لا شك في ذلك وانه لا جور الا ما سماه الله عز وجل جوراً وهو ما ظهر في عصاة عباده من الجن والانس مما خالف امره تعالى وهو خالقه فيهم كما شاء فكيف يكون مجور اليه عز وجل من هذه هي مقالته وانما المجور لربه تعالى من يقول فيما اخبر الله عز وجل انه خلقه هذا جور وظلم فان قايل هذا القول لا يخلو ضرورة من احد وجهين لا ثالث لهما اما انه مكذب لربه عز وجل في اخباره في القرآن انه برأ المصائب كلها وخلقها وانه تعالى خلقنا وما نعمل وانه خلق كل شيء بقدر محرف لكلام ربه تعالى الذي هو غاية البيان عن مواضعه مبدل له بعد ما سمعه وقد نص الله تعالى فيمن يحرف الكلم عن مواضعه ويبدله بعد ما سمعه ما نص فهذا

المادة واذا كان مجرداً بذاته فهو عقل لذاته وواجب الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما يعتبر له ان هويته المجردة لذاته فهو معقول لذاته وبما يعتبر له ان ذاته له هوية مجردة فهو عاقل لذاته وكونه عاقلاً ومعقولاً لا يوجب ان يكون اثنين في الذات ولا اثنين في الاعتبار فانه ليس تحصيل الامرين الا انه له ماهية مجردة وانه ماهية مجردة ذاته له وها هنا تقديم وتأخير في ترتيب المعاني في عقولنا والغرض المحصل هو شيء واحد وكذلك عقلنا لذاتنا هو نفس الذات واذا عقلنا شيئاً فلسنا نعقل ان نعقل بعقل اخرى لان ذلك يؤدي الى التسلسل ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق ان يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة برية عن المواد وانحاء النقص واحدة من كل جهة ولم يسلم لذلك بكنهه الا واجب الوجود فهو الجمال المحض والبهاء المحض وكل جمال وبهاء وملائم وخير فهو محبوب معشوق وكل ما كان الادراك أشد اكتناهاً والمدرك أجمل ذاتاً فحب القوة المدركة له وعشقه له والتذاذه به كان أشد وأكثر فهو أفضل مدرك لافضل مدرك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته

خطة كفران التزمها والثانية وهي تصديق الله عز وجل في اخباره بذلك وبجويزه في فعله لا بد له من ذلك وهـذه ايضاً خطة كفران التزمها أو الانقطاع والتناقض والثبات على اعتقاد الباطل بلا حجة تقليداً للعيارين الشطار الفساق كالنظام والعلاف وبشر نخاس الرقيق ومعمر المتهم عندهم في دينه وثمامة الخليع المشهور بالقبائح والجاحظ وهو من عرف هزلا وعيارة وانهمالاً وهذه اسلم الوجوه لهم ونعوذ بالله من مثلها ثم هم بعد هذا صنفان أصحاب الاصلح واصحاب اللطف فاما اصحاب اللطف فان اصحاب الاصلح يصفونهم بانهم مجورون لله مجهلون له واصحاب الاصلح يصفهم اصحاب اللطف بانهم معجزون لله تعالى مشبهون له بخلقه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقد نص الله تعالى على انه يفعل ما يشاء بخلاف ما قالت المعتزلة فقال عز وجل * كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء * وامرنا عز وجل ان ندعوه فنقول * ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا غاية البيان في انه عز وجل له ان يكلفنا ما لا طاقة لنا به وانه لو شاء ذلك لكان من حقه ولو لم يكن له ذلك لما امرنا بالدعاء في ان لا يحملنا ذلك ولكان الدعاء بذلك كالدعاء في ان يكون الهاً خالقاً على اصولهم ونص تعالى كما تلونا على انه قد حمل من كان قبلنا الاصر وهو الثقل الذي لا يطاق وامرنا ان ندعوه بان لا يحمل ذلك علينا وايضاً فقد امرنا تعالى في هذه الآية ان ندعوه في ان لا يؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وهذا هو تكليف ما لا يطاق نفسه لان النسيان لا يقدر احد على الخلاص منه ولا يتوهم التحفظ منه ولا يمكن احداً دفعه عن نفسه فلو لا ان له تعالى ان يؤاخذ بالنسيان من شاء من عباده لما امرنا بالدعاء في النجاة منه وقد وجدنا الانبياء عليهم الصلاة

عشق من غيره أو لم يعشق وانت تعلم ان ادراك العقل للمعقول أقوى من ادراك الحس للمحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقي و يتحد به و يصير هو هو و يدركه بكنهه لا بظاهره ولا كذلك الحس واللذة التي لنا بان نعقل فوق الذي بان نحس لكنه قد يعرض ان يكون القوة الداركة لا تستلذ بالملائم لعوارض كالممرور يستمر العسل لعارض واعلم ان واجب الوجود ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته اما متقومة بما يعقل أو عارض لها ان يعقل وذلك محال بل كما انه مبدأ كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدأ له وهو مبدأ للموجودات التامـة باعيانها والموجودات الكائنة الفاسدة بانواعها أولا و بتوسط ذلك أشخاصها ولا يجوز ان يكون عاقلاً لهذه المتغيرات مع تغيرها حتى يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة لا أي معدومة غير موجودة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية على حدة ولا واحد من الصورتين يبقى مع الثانيـة فيكون واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو فعلي كلي ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي فلا يعزب عنه

والسلام موآخذين بالنسيان منهم ابونا آدم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى * ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي * يريد نسيانه عداوة ابليس له الذي حذره الله تعالى منها ثم وآخذه على ذلك واخرجه من الجنة ثم تاب عليه وهذا كله على اصول المعتزلة جور وظلم تعالى الله عن ذلك وقال عز وجل * ولو شاء الله ما اشركوا * ولو في اللغة التي بها نزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقيناً ان ترك الشرك من المشركين ممتنع لامتناع مشيئة الله تعالى لتركه وقال تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * ومشيئة الله هي تفسير اذن الله وقال تعالى * ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله * فهذا نص جلي على انه لا يمكن احداً ان يؤمن الا باذن الله عز وجل له في الايمان فصح يقيناً ان كل من آمن فلم يؤمن الا باذن الله عز وجل وانه تعالى شاء ان يؤمن وان كل من لم يؤمن فلم يأذن الله تعالى له في الايمان ولا شاء ان يكون منه الايمان هذا نص هاتين الآيتين اللتين لا يحتملان تأويلا غيره اصلا وليس لاحد ان يقول انه تعالى عنى الاكراه على الايمان لان نص الآيتين مانع من هذا التأويل الفاسد لانه تعالى اخبر ان كل من آمن فانما آمن باذن الله عز وجل وان من لم يؤمن فان الله تعالى لم يشاء ان يؤمن فيلزمهم على هذا ان كل مؤمن في العالم فمكره على الايمان وهذا شر من قول الجهمية واشد فان قالوا ان اذن الله تعالى ها هنا انما هو أمره لزمهم ضرورة احد وجهين لابد منهما اما ان يقولوا ان الله تعالى لم يأمر الكفار بالايمان لان النص قد جاء بانه تعالى لو اذن لهم لآمنوا واما ان يقولوا ان كل من في العالم فهم مؤمنون لانهم عندهم مأذون لهم في الايمان اذا كان الاذن هو الامر وكلا القولين كفر مجرد ومكابرة للعيان ونعوذ بالله من الضلال

مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وأما كيفية ذلك فلانه اذا عقل ذاته وعقل انه مبدء كل موجود عقل أوائل الموجودات وما يتولد عنها ولا شيء من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجباً بسببه فتكون الاسباب بمصادمتها تتأدى الى ان يوجد عنها الامور الجزوية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما يتأدى اليه وما بينها من الازمنة وما لها من العودات فيكون مدركاً الامور الجزوية من حيث هي كلية أعنى من حيث لها صفات وان تخصصت بها شخصاً فبالاضافة الى زمان متشخص أو حال متشخصة ويعقل ذاته ونظام الخير الموجود في الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأ ته وابداع وايجاد ولا يستبعد هذا فان الصورة المعقولة التي تحدث فينا تصير سبباً للصورة الموجودة الصناعية ولو كانت نفس وجودها كافية لان يتكون منها الصورة الصناعيـة دون آلات وأسباب لكان المعقول عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضي لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته مغايرة لعلمه لكن القدرة التي له هي كون ذاته عاقلة الكل عقلاً هو مبداء الكل

﴿ قال أبو محمد ﴾ الاذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلق الله تعالى للايمان فيمن آمن وقوله لايمانه كن فيكون وعدم اذنه تعالى وعدم مشيئته للايمان هو ان لا يخلق في المرء الايمان فلا يؤمن لا يجوز غير هذا البتة اذ قد صح ان الاذن هاهنا ليس هو الامر وقال عز وجل * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة * فاخبر تعالى انه هدى بعضهم دون بعض وهذا عند المعتزلة جور وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من من الجن والانس * فنص على انه خلقهم ليدخلهم النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى * ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء * وامر تعالى ان ندعوه فنقول * ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا * فنص تعالى على بزيغ قلوب من لم يهدهم من الذين زاغوا اذ ازاغ الله قلوبهم وقال تعالى * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون * فقطع تعالى على ان كلماته قد حقت على الفاسقين انهم لا يؤمنون فمن الذي حقق عليهم ان لا يؤمنوا الا هو عز وجل وهذا جور عند المعتزلة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل آية ذكرناها في باب الاستطاعة منهن حجة عليهم في هذا الباب وكل آية نتلوها ان شاء الله عز وجل في باب اثبات ان الله عز وجل اراد كون الكفر والفسق بعد هذا الباب منهي أيضاً حجة عليهم في هذا الباب وكذلك كل آية نتلوها ان شاء الله عز وجل في ابطال قول من قال ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه الله ابا جهل وفرعون وابا لهب مما يستدعي الى الايمان فانها حجة عليهم في هذا الباب وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق * وبقوله تعالى * وما ربك بظلام للعبيد * وبقوله تعالى * وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم

لا مأخوذ عن الكل ومبدأ بذاته لا متوقفاً على غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه قدرته وارادته وعلمه فالصفات منها ما هو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن لم يتحاش عن اطلاق لفظ الجوهر لم يعن به الا هذا الوجود مع سلب الكون في موضوع وهو واحد أي مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول والمسلوب عنه الشريك وهو عقل وعاقل ومعقول أي مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلايقها مع اعتبار اضافة ما وهو أول أي مسلوب عنه الحدوث مع اضافة وجوده الى الكل وهو مريد أي واجب الوجود مع عقليته أي سلب المادة عنه مبدأ لنظام الخير كله وجواد أي هو بهذه الصفة بزيادة سلب أي لا ينحو عرضاً لذاته فصفاته اما اضافية محضة واما مؤلفة من اضافة وسلب واما سلبية محضة وذلك لا يوجب تكثراً في ذاته قال واذا عرفت انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز ان يوجد عنه يجب ان يوجد وذلك لان الجائز ان يوجد وان لا يوجد اذا تخصص بالوجود احتياج الى مرجح لجانب الوجود والمرجح اذا كان على الحال الذي

يظلمون * وبقوله تعالى*وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون*وبقوله تعالى*وما ربك بظلام للعبيد * وبقوله تعالى*ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه حجة لنا عليهم لانه تعالى اخبر انه قادر على ان يسمعهم والاسماع ها هنا الهدى بلا شك لان آذانهم كانت صحاحا ومعنى قوله تعالى * ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون * انما معناه بلا شك لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لا يجوز غير هذا لانه محال أن يهديهم الله وقد علم من قلوبهم خيراً فلا يهتدوا هذا تناقض قد تنزه كلامه عز وجل عنه فصح انه كما ذكرنا يقيناً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وسائرها لا حجة لهم في شيء منه بل هو حجة لنا عليهم وهو نص قولنا انه خلق السموات والارض وما بينهما بالحق وافعال العباد بين السماء والارض بلا شك فالله تعالى خلقها بالحق الذي هو اختراعه لها وكل ما فعل تعالى حق واضلاله من اضل حق له ومنه تعالى وهداه من هدى حق منه تعالى ومحاباته من حابى بالنبوة وبالطاعة حق منه ونحن نبرأ الى الله تعالى من كل من قال ان الله تعالى خلق شيئاً بغير الحق أو انه تعالى خالق شيئاً لاعباً او انه تعالى ظلم احداً بل فعله عدل وصلاح ولقد ظهر لكل ذي فهم اننا قايلون بهذه الآيات على نصها وظاهرها فاي حجة لهم علينا في هذه النصوص لو عقلوا واما المعتزلة فيقولون انه تعالى لم يخلق كثيراً مما بين السموات والارض لاسيما عباد بن سليمان منهم تلميذ هشام بن عمرو الفوطي القائل ان الله تعالى لم يخلق الجدب ولا الجوع ولا الامراض ولا الكفار ولا الفساق ومحمد بن عبد الله الاسكافي تلميذ جعفر بن حرب القائل ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا المزامير ولا الطنابير وكل ذلك ليس بخلق من خلق

كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شيء فيه ولا مباين عنه يقتضي الترجيح في هذا الوقت دون وقت قبله أو بعده وكان الامر على ما كان لم يكن مرجحاً اذا كان التعطل عن الفعل والفعل عنده بمثابة واحدة فلا بد وان يعرض له شيء وذلك لا يخلوا ما ان يعرض في ذاته وذلك يوجب التغير وقد قدمنا ان واجب الوجود لا يتغير ولا يتكثر واما ان يعرض مبايناً عن ذاته والكلام في ذلك المباين كالكلام في سائر الافعال قال والعقل الصريح الذي لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها واحدة وهي كما كانت وكان لا يوجد عنها شيء فيما قبل وهي الآن كذلك فالآن لا يوجد عنها شيء فاذا صار الآن يوجد منها شيء فقد حدث أمر لا محالة من قصد أو ارادة أو طبع أو قدرة أو تمكن أو غرض ولان الممكن ان يوجد وان لا يوجد لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب عنها الترجيح ثم رجح فلا بد من حادث موجب للترجيح في هذه الذات والا كانت نسبتها الى ذلك الممكن على ما كان قبل ولم تحدث لها نسبة أخرى فيكون

الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهم يقولون ان الله عز وجل لو حابى احداً لكان ظالماً لغيره وقد صح ان الله تعالى حابى موسى وابراهيم ويحيي ومحمداً صلوات الله عليهم دون غيرهم ودون ابي لهب وابي جهل وفرعون والذي حاج ابراهيم في ربه فعلى قول المعتزلة يجب ان الله تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم وهذا ما لا مخلص لهم منه الا بترك قولهم الفاسد واما قوله تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * فهكذا نقول ما خلقهم الله تعالى الا ليكونوا له عباداً مصرفين بحكمه فيهم منقادين لتدبيره اياهم وهذه حقيقة العبادة والطاعة أيضاً عبادة وقال تعالى حاكياً عن القائلين * انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * وقد علم كل احد ان قوم موسى عليه السلام لم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلل فكانوا له عبيداً فهم له عابدون وكذلك قول الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن وقد علم كل احد انهم لم يعبدوا الجن عبادة تدين لكن عبدوهم عبادة تصرف لأمرهم واغوائهم فكانوا لهم بذلك عبيداً فصح القول بانهم يعبدونهم وهذا بين وقال بعض اصحابنا معنى هذه الآية انه تعالى خلقهم ليأمرهم بعبادته ولسنا نقول بهذا لان فيهم من لم يأمره الله تعالى قط بعبادته كالاطفال والمجانين فصار تخصيصاً للآية بلا برهان والذي قلناه هو الحق الذي لا شك فيه لانه المشاهد المتيقن العام لكل واحد منهم واما ظن المعتزلة في هذه الآية فباطل يكذبه اجماعهم معنا ان الله تعالى لم يزل يعلم ان كثيراً منهم لا يعبدونه فكيف يجوز ان يخبر انه خلقهم لامر قد علم انه لا يكون منهم الا ان يصيروا الى قول من يقول انه تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون فيتم كفر من لجأ الى هذا ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث الى الخالق تعالى اذ غرر من خلق فيما لا يدري أيعطبون فيه أم يفوزون وتحيرت المعتزلة القائلون بالاصلح وبابطال

الامر بحاله ويكون المكان امكاناً صرفاً بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث أمر ولا بد من ان يحدث في ذاته أو مباين عن ذاته وقد بينا استحالة ذلك وبالجملة فانا نطالب النسبة الموقعة لوجود كل حادث في ذاته أو مباين عن ذاته ولا نسبة أصلاً فليلزم ان لا يحدث شيء أصلاً وقد حدث فيعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه سبقه لا بزمان ووقت ولا تقدير زمان بل سبقا ذاتيا من حيث انه هو الواجب لذاته وكل ممكن بذاته فهو محتاج الى الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب فقط والمبدع مسبوق بالمبدع فقط لا بالزمان * المسئلة الثامنة في ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد وفي ترتيب وجود العقول والنفوس والاجرام العلوية وان المحرك القريب للسمويات نفس والمبداء الا بعد عقل وحال تكون الاستقصات عن العلل اذا صح ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد. ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوماً معاً فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته ولو كانت الجهتان لا زمتين لذاته فالسؤال في لزومها ثابت حتى يكونا من

المحاباة في وجه العدل في ستة عشر باباً وهي العدل في ادامة العذاب العدل في ايلام الحيوان العدل في تبليغ من في المعلوم انه يكفر العدل في المخلوق العدل في اعطاء الاستطاعة العدل في الارادة العدل في البدل العدل في الامر العدل في عذاب الاطفال العدل في استحقاق العذاب العدل في المعرفة العدل في اختلاف أحوال المخلوقين العدل في اللطف العدل في الاصلح العدل في نسخ الشرايع العدل في النبوة

﴿ الكلام في هل شاء الله عز وجل كون الكفر والفسق وارداه تعالى من الكافر والفاسق ام لم يشأ ذلك ولا أراد كونه ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ قالت المعتزلة ان الله تعالى لم يشأ ان يكفر الكافر ولا ان يفسق الفاسق ولا ان يشتم تعالى ولا ان يقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل * ولا يرضى لعباده الكفر * وبقوله تعالى * اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم * وقالوا من فعل ما أراد الله فهو مأجور محسن فان كان الله تعالى أراد أن يكفر الكافر وان يفسق الفاسق فقد فعلا جميعاً ما أراد الله تعالى منهما فهما محسنان مأجوران وذهب اهل السنة ان لفظة (شاء) وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين احدهما الرضى والاستحسان فهذا منفي عن الله تعالى انه اراده أو شاءه في كل ما نهى عنه والثاني ان يقال أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده فهذا هو الذي نخبر به عن الله عز وجل في كل موجود في العالم من خير أو شر فسلكت المعتزلة سبيل السفسطة فى التعلق بالالفاظ المشتركة الواقعة على معنيين فصاعدا والتمويه الذي يضمحل اذا فتش ويفتضح اذا بحث عنه وهذه سبيل الجهال الذين لا حيلة بايديهم الا المخرقة وقال اهل السنة ليس من فعل ما أراد الله تعالى وما شاء الله كان محسناً وانما المحسن من فعل بما أمره الله تعالى به ورضيه منه

ذاته فيكون ذاته منقسماً بالمعنى وقد منعناه وبينا فساده فتبين ان أول الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته واحدة لا في مادة وقد بينا ان كل ذات لا في مادة فهو عقل وأنت تعلم ان في الموجودات أجساماً وكل جسم ممكن الوجود في حيز نفسه وانه يجب بغيره وعلمت انه لاسبيل الى أن يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فبالحري أن يكون عنها المبدعات الثانية والثالثة وغيرها بسبب اثنينية فيها ضرورة فالمعلول الاول ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بأنه عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الاول ضرورة وليست هذه الكثرة له من الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل له من الاول وجوب وجوده ثم كثرة انه يعقل الاول ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الاول وهذه كثرة اضافية ليست في أول وجوده وداخلة في مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن أن يوجد منها الا واحدة ولكان يتسلسل الوجود من وحدات فقط فما كان يوجد جسم فالعقل الاول يلزم عنه بما يعقل الاول وجود

قال

﴿قال ابو محمد﴾ ونسألهم فنقول لهم اخبرونا كان الله تعالى قادراً على منع الكافر من الكفر والفاسق من الفسق وعلى منع من شتمه من النطق به ومن امراره على خاطره وعلى المنع من قتل من قتل من انبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزاً عن المنع من ذلك فان قالوا لم يكن قادراً على المنع من شيء من ذلك فقد اثبتوا له معنى العجز ضرورة وهذا كفر مجرد وابطال لالاهيته تعالى وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهي القوة وانقطاع القدرة مع التناقض الفاحش لانهم مقرون انه تعالى هو اعطاهم القوة التي بها كان الكفر والفسق وشتمه تعالى وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن المحال المحض ان يكون تعالى لا يقدر على ان لا يعطيهم الذي اعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر وان قالوا بل هو قادر على منعهم من كل ذلك اقروا ضرورة انه مريد لبقائهم على الكفر وانه المبقي للكافر وللكفر وحالف الزمان الذي امتد فيه الكافر على كفره والفاسق على فسقه وهذا نفسه هو قولنا انه اراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يرضى عن شيء من ذلك بل سخطه تعالى وغضب على فاعله وقالت المعتزلة ان كان الله تعالى أراد كون كل ذلك فهو اذن يغضب مما أراد

﴿قال ابو محمد﴾ ونحن نقر انه تعالى يغضب على فاعل ما اراد كونه منه ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم فاذ هذا عندكم منكر وانتم مقرون بانه قادر على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقر ويسخط ما يقره ولا يغيره ويثبت ما لا يرضي وهذا هو الذي شنعوا فيه ولا يقدرون على دفعه والشناعة عليهم راجعة لانهم أنكروا ما لزمهم وبالضرورة ندري ان من قدر على المنع من شيء فلم يفعل ولا منع منه فقد اراد وجود كونه ولو لم يرد كونه لغيره ولمنع منه ولما تركه يفعل فان قالوا انه حكيم وخلاهم دون منع لسر من الحكمة له في ذلك قيل

عقل تحته وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهي النفس وبطبيعة امكان الوجود الخاصية له المندرجة فيما يعقله لذاته وجود جرمية الفلك الاعلى المندرجة في جملة ذات الفلك الاعلى بنوعه وهو الامر المشارك للقوة فيما يعقل الاول يلزم عنه عقل وبما يختص بذاته على جهتيه الكرة الاولى بجزأيها أعني المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة أو مشاركتها كما ان امكان الوجود يخرج الي الفعل بالفعل الذي يحاذي صورة الفلك وكذلك الحال في عقل عقل وفلك فلك الى أن ينتهي الى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا وليس يجب أن يذهب هذا المعنى الى غير النهاية حتى يكون تحت كل مفارق مفارقاً فانه ان لزم كثرة عن العقول فنسبت الى المعاني التي فيها من الكثرة وقولنا هذا ليس ينعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فتلزم كثرته هذه المعلولات ولا هذه العقول متفقة الانواع حتى يكون مقتضى معانيها متفقاً ومن المعلوم ان الافلاك كثيرة فوق العدد الذي في المعلول الاول فليس يجوز أن يكون مبدؤها واحداً هو المعلول الاول ولا أيضاً يجوز أن يكون كل جرم متقدم منها علة

لهم فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم انه اراد كونه لانه حكيم كريم عزيز وله في ذلك سر من الحكمة

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما نحن فنقول انه تعالى اراد كون كل ذلك ولا سر هاهنا وان كل ما فعل فهو حكمة وحق وان قولهم هذا هادم لمقدمتهم الفاسدة انه يقبح من الباري تعالى ما يقبح منا وفيما بيننا وما علم قط ذو عقل ان عن خلى منا عدوه منطلق اليد على وليه واحب الناس اليه يقتله ويعذبه ويلطمه ويهينه ويتركه ينطلق على عبيده وامائه يفجر بهم وبهن طوعاً وكرهاً والسيد حاضر يرى ويسمع وهو قادر على المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتركهم الاحتى يعطي عدوه القوة على كل ذلك والآلات المعينة له ويمده بالقوى شيئاً بعد شيء فليس حكيماً ولا حليماً ولكنه عابث ظالم جائر فيلزمهم على اصلهم الفاسد ان يحكموا على الله تعالى بكل هذا لانهم معترفون بانه تعالى فعل كل هذا وهذا لا يلزمنا لاننا نقول ان الله تعالى يفعل ما يشاء وان كل ما فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة وحق وعدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فبطل بضرورة المشاهدة قولهم ان الله تعالى لم يرد كون الكفر او كون الفسق أو كون شتمه تعالى وقتل انبيائه عليهم الصلاة والسلام ولو لم يرد كونه لمنع من ذلك كما منع من كون كل ما لم يرد ان يكون

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويكفي من هذا كله اجماع الامة على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهذا على عمومه موجب ان كل ما في العالم كان او يكون اي شيء كان فقد شاء الله تعالى وكل ما لم يكن ولا يكون فلم يشأه الله تعالى وقد نص الله تعالى نصاً لا يحتمل تأويلاً على انه تعالى اراد كون كل ذلك فمن ذلك قوله تعالى * لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فنص تعالى نصاً جلياً على انه لا يشاء احد استقامة على طاعته تعالى الا ان شاء الله تعالى ان يستقيم فلو

للمتأخر لان الجرم بما هو جرم مركب من مادة وصورة فلو كان علة لجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لها طبيعة عدمية والعدم ليس مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ الجرم ولا يجوز أن يكون مبدؤها قوة نفسانية هي صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته ليس جوهراً مفارقاً والا كان عقلا وأنفس الافلاك انما يصدر عنها أفعالها في أجسام أخرى بواسطة أجرامها في مشاركتها وقد بينا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدأ الجسم ولا يكون متوسطاً بين نفس ونفس ولو أن نفساً مبدأ النفس بغير توسط الجسم فلها انفراد قوام من دون الجسم وليست النفس الفلكية كذلك فلا تفعل شيئاً ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم في المرتبة والكمال فتعين ان الافلاك مبادي غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك في مبدء واحد وهو الذي نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدأ خاص فيه فيلزم دائماً عقل عن عقل حتى يتكون الافلاك بأجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير ويقف حيث يمكن ان تحدث

صح

صح قول المعتزلة ان الله تعالى شاء ان يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيم لان الله تعالى عندهم قد شاء ذلك وهذا تكذيب مجرد لله تعالى نعوذ بالله من مثله فصح يقيناً لا مدخل للشك في صحته انه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ولم يشأ أن يستقيموا بنص القرآن وقال تعالى * وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه الآية غاية في البيان في ان الله تعالى جعل عدة ملائكة النار فتنة للذين كفروا وليقولوا ماذا اراد الله بهذا مثلا فاخبر تعالى أراد ان يفتن الذين كفروا وان يضلهم فيضلوا وانه تعالى قصد اضلالهم وحكم بذلك كما قصد هدى المؤمنين واراده وكذلك قال تعالى * ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنص تعالى على انه نزل القرآن هدى للمؤمنين وعمي للكفار وبيقين ندري انه تعالى اذا نزل القرآن اراد ان يكون كما قال تعالى عمي للكفار وهدى للمؤمنين وقال تعالى * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * هكذا هي الآية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على انه لو شاء لآمن الناس والجن وهم اهل الارض كلهم ولو في لغة العرب التي بها خاطبنا الله عز وجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشيء

الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثر الاسباب فكل عقل هو أعلى في المرتبة فانه بمعنى فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل آخر دونه و بما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن لذاته وانما نفس الفلك فمن حيث ان يعقل ذاته الواجب بغيره و يستبقى الجرم بتوسط النفس الفلكية فان كل صورة هي علة لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما ان الامكان نفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات السموية عددها لزم بعدها وجود الاستقصات ولما كانت الاجرام الاستقصية كائنة فاسدة وجب ان تكون مباديها متغيرة فلا يكون ما هو عقل محض وحده سبباً لوجودها ولما كانت لها مادة مشتركة وصور مختلفة فيها وجب ان يكون اختلاف صورها مما تعين فيه اختلاف في أحوال الافلاك وأبقا ومادتها مما تعين فيه اتفاق في أحوال الافلاك فالافلاك لما اتفقت في طبيعة اقتضى الحركة المستديرة كما تبين كان مقتضاها وجود المادة ولما اختلفت في أنواع الحركات كان مقتضاها تهيء المادة للصور المختلفة ثم العقول المفارقة

لامتناع غيره فصح يقيناً ان الله تعالى لم يشأ ان يؤمن كل من في الارض واذ لا شك في ذلك فباليقين ندري انه شاء منهم خلاف الايمان وهو الكفر والفسق لا بد ولو كان الله تعالى اذن للكافرين في الايمان على قول المعتزلة لكان كل من في الارض قد آمن لأنه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن احد الا باذنه وهذا امر من المعتزلة يكذب به العيان فصح ان المعتزلة كذبت وان الله تعالى صدق وانه لم يأذن قط لمن مات كافراً في الايمان وان من عمي عن هذه لأعمى القلب وكيف لا يكون اعمى القلب من اعمى الله قلبه عن الهدى وبالضرورة ندري ان قول الله تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * حق وان من لم يأذن الله تعالى له في الايمان فانه تعالى لم يشأ ان يؤمن واذ لم يشأ ان يؤمن فبلا شك انه تعالى شاء ان يكفر هذا ما لا انفكاك منه وقال تعالى * ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله * فبين تعالى اتم بيان على ان الآيات لا تغني شيئاً ولا النذر وهم الرسل وانه لا يؤمن شيء من ذلك الا من شاء الله عز وجل ان يؤمن فصح يقيناً انه لا يؤمن الا من شاء الله ايمانه ولا يكفر الا من شاء الله كفره فقال تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام انه قال * وان لا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فبالضرورة نعلم ان من صبا وجهل فان الله تعالى لم يصرف عنه الكيد الذي صرفه برحمته عمن لم يصب ولم يجهل واذ صرفه تعالى عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد اراد تعالى اضلال من صبا وجهل وقال تعالى * وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً * فليت شعري اذ قال تعالى انه جعل قلوب الكافرين في اكنة ان يفقهوا القرآن وجعل الوقر في آذانهم أتراه أراد ان يفقهوه أو أراد ان لا يفقهوه وكيف

بل آخرها الذي يلينا هو الذي يفيض عنه بمشاركة الحركات السموية شيء فيه رسم صور العالم الاسفل من جهة الانفعال كما ان في ذلك العقل رسم الصور على جهة الفعل ثم يفيض منه الصور فيها بالتخصيص بمشاركة الاجرام السموية فيكون اذا خصص هذا الشيء تأثير من التأثيرات السموية بلا واسطة جسم عنصري أو بواسطة تجعله على استعداد خاص به بعد العام الذي كان في جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت في تلك المادة وأنت تعلم ان الواحد لا يخصص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد بامر دون أمر يكون له الا ان يكون هناك مخصصات مختلفة وهي معدات المادة والمعد هو الذي يحدث عنه في المستعد أمر ما يصير مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء آخر ويكون هذا الاعداد مرجحاً لوجود ما هو أولى منه من الاوائل الواهبة للصور ولو كانت المادة على التهيء الاول تشابهت نسبتها الى الضدين فلا يجب ان يختص بصورة دون صورة قال والاشبه ان يقال ان المادة التي تحدث بالشركة يفيض اليها من الاجرام السموية أما عن أربعة

يسوغ في عقل احد ان يخبر تعالى انه فعل عز وجل شيئاً لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ولا شاء ايجاده وهذا تخليط لا يتشكل في عقل كل ذي مسكة من عقل فصح يقيناً ان الله تعالى أراد كون الوقر في آذانهم وكون الا كنة على قلوبهم وقال تعالى * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء * فنص تعالى على انه لم يرد ان يجعلنا امة واحدة ولكن شاء ان يضل قوماً ويهدي قوماً فصح يقيناً انه تعالى شاء اضلال من ضل وقال تعالى مثنيا على قوم ومصدقالهم في قولهم * قد افترينا على الله كذباً ان في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا * فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام واتباعهم قول الحق الذي شهد الله عز وجل بتصديقه انهم انما خلصوا من الكفر بان الله تعالى نجاهم منه ولم ينج الكافرين منه وان الله تعالى ان شاء ان يعودوا في الكفر عادوا فيه فصح يقيناً انه تعالى شاء ذلك ممن عاد في الكفر وقد قالت المعتزلة في هذه الآية معنى هذا الا ان يأمرنا الله بتعظيم الاصنام كما امرنا بتعظيم الحجر الاسود والكعبة

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا في غاية الفساد لان الله تعالى لو امرنا بذلك لم يكن عوداً في ملة الكفر بل كان يكون ثباتاً على الايمان وتزايداً فيه وقال تعالى * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً * فليت شعري اذ زاد لهم الله مرضاً أتراه لم يشأ ولا اراد ما فعل من زيادة المرض في قلوبهم وهو الشك والكفر وكيف يفعل الله ما لا يريد ان يفعل وهل هذا الا الحاد مجرد ممن قاله وقال تعالى * ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد * فنص تعالى على انه لو شاء لم يقتتلوا فوجب ضرورة انه شاء واراد ان يقتتلوا وفي اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك فقد شاء الله تعالى كون الضلال ووجوده بنص

أجرام أو عدة منحصرة في أربع أو عن جرم واحداً وله تكون نسب مختلفة انقساماً من الاسباب منحصرة في أربع فتحدث منها العناصر الاربع وانقسمت بالخفة والثقل فما هو الخفيف المطلق فميله الى الفوق وما هو الثقيل المطلق فميله الى الاسفل وما هو الخفيف والثقيل بالاضافة فبينهما واما وجود المركبات من العناصر فبتوسط الحركات السموية وسنذكر أقسامها وتوابعها واما وجود الانفس الانسانية التي تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسد فانها كثيرة مع وحدة النوع والمعلول الاول الواحد بالذات فيه معاني متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز ان تكون تلك المعاني متكثرة متفقة النوع والحقائق حتى يصدر عنها كثرة متفقة النوع فانه يلزم أن تكون فيه مادة تشترك فيها صورة تخالف وتتكثر بل فيه معاني مختلفة الحقائق يقتضي كل معنى شيئاً غير ما يقتضيه الآخر في النوع فلم يلزم كل واحد منها ما يلزم الآخر فالنفوس الارضية كائنة عن المعلول الاول بتوسط علة أو علل أخرى وأسباب من الامزجة والمواد وهي غاية ماينتهي اليها الابداع ونبتدئ القول في الحركات وأسبابها ولوازمها

كلامه تعالى وقال عز وجل * ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئاً * فنص تعالى على انه اراد فتنة المفتتنين وهم الكفار وكفرهم الذين لم يملك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله شيئاً فهذا نص على ان الله تعالى اراد كون الكفر من الكفار وقال تعالى * اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا غاية البيان في انه تعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم وبالضرورة ندري ان من لم يرد الله ان يطهر قلبه فقد اراد فساد دينه الذي هو ضد طهارة القلب وقال تعالى * ولو شاء الله لجمعهم على الهدى * وهذا غاية البيان في ان الله تعالى لم يرد هدى الجميع واذا لم يرد هداهم فقد اراد كون كفرهم الذي هو ضد الهدى وقال تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا غاية البيان في انه تعالى لم يشأ هدى الكفار لكن حق قوله بانهم لا بد من ان يكفروا فيكونوا من اهل جهنم وقال تعالى * من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم * فاخبر تعالى انه شاء ان يضل من اضله وشاء ان يهدي من جعله على صراط مستقيم وهم بلا شك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم واراد فتنتهم وان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا من اصحاب النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه قال * لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين * فشهد الخليل عليه السلام ان من لم يهده الله تعالى ضل وصح ان من ضل فلم يهده الله عز وجل ومن لم يهده الله وهو قادر على هداه فقد اراد ضلاله واضلاله ولم يرد هداه وقال تعالى * ولو شاء الله ما اشركوا * فصح يقيناً لا اشكال فيه ان الله تعالى شاء ان يشركوا اذ نص على انه لو شاء ان لا يشركوا ما اشركوا

اعلم ان الحركة لا تكون طبيعية للجسم والجسم على حالته الطبيعية وكل حالة بالطبع فالحالة مفارقة للطبع غير طبيعية اذ لو كان شيء من الحركات مقتضى طبيعة الشيء لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعته اما في الكيف واما في الكم واما في المكان واما في الوضع واما مقولة أخرى والعلة في تجدد حركة بعد حركة تجدد الحال الغير الطبيعية وتقدير البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية الى حال طبيعية اذا وصلت اليها سكنت ولم يجز أن يكون فيها بعينها قصد الى تلك الحالة الغير الطبيعية لان الطبيعية ليست تفعل باختيار بل على سبيل تسخير وان كانت الطبيعة تحرك على الاستدارة فهي تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي أو وضع غير طبيعي هرباً طبيعياً عنه وكل هرب طبيعي عن شيء فمحال أن يكون هو بعينه قصداً طبيعياً اليه والحركة المستديرة ليست تهرب عن شيء الا وتقصده فليست اذاً طبيعية الا انها قد يكون بالطبع وان لم تكن قوة طبيعية كان شيئاً بالطبع

وقال تعالى * يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شآء ربك ما فعلوه * وهذا نص على انه تعالى شآء ان يفعلوه اذ اخبر انه لو شاء ان لا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى * وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شآء الله ما فعلوه * فنص تعالى على انه لو لم يشآء ان يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ما اوحوه ولو شآء ان لا يلبس بعضهم دين بعض وان لا يقتلوا اولادهم ما لبس عليهم دينهم ولا قتلوا اولادهم فصح ضرورة انه تعالى شاء ان يلبس دين من التبس دينه واراد كون قتلهم اولادهم وان يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وقال تعالى * ولو شآء الله لسلطهم عليكم * فصح يقيناً انه تعالى سلط ايدي الكفار على من قتلوه من الانبيآء والصالحين وقال تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء * فنص على انه يريد هدى قوم فيهديهم ويشرح صدورهم للايمان ويريد ضلال آخرين فيضلهم بان يضيق صدورهم ويحرجها فكأنهم كلفوا الصعود الى السمآء فيكفروا وقال تعالى * واصبر وما صبرك الا بالله * فنص تعالى على ان من صبر فصبره ليس الا بالله فصح ان من صبر فان الله أتاه الصبر ومن لم يصبر فان الله عز وجل لم يؤته الصبر وقال تعالى * ولا تنازعوا * فنهانا عن الاختلاف وقال تعالى * ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم * فنص تعالى انه خلقهم للاختلاف الا من رحم الله منهم ولو شآء لم يختلفوا فصح يقيناً ان الله خلقهم لما نهاهم عنه من الاختلاف واراد كون الاختلاف منهم وقال عز وجل * تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء وتذل من تشآء بيدك الخير انك على كل شيء قدير * وقال تعالى * بعثنا

وانما تحرك بتوسط الميل الذي فيه ونقول ان الحركة معنى متجدد النسب وكل شطر منه مختص بنسبة وانه لا ثبات له ولا يجوز ان يكون عن معنى ثابت البتة وحده ولو كان فيجب ان يلحقه ضرب من مثل من تبدل الاحوال والثابت من جهة ما هو ثابت لا يكون عنه الا ثابت فان الارادة العقلية الواحدة لا يوجب البتة حركة فانها مجردة عن جميع أصناف التغير والقوة العقلية حاصرة المعقول دائماً ولا يفرض فيها الانتقال من معقول الى معقول الا مشاركاً الى التخيل والحس فلا بد للحركة من مبدء قريب والحركة المستديرة مبدؤها القريب نفس في الفلك يتجدد تصوراتها وارادتها وهي كمال جسم الفلك وصورته ولو كانت قائمة بنفسها من كل وجه لكانت عقلا محضاً لا يتغير ولا ينتقل ولا يخالط ما بالقوة بل نسبتها الى الفلك نسبة النفس الحيوانية التي لنا الينا الا ان لها ان تعقل بوجه ما تعقلا مشوباً بالمادة وبالجملة أوهامها أو ما يشابه الاوهام صادقة وتخيلاتها حقيقية كالعقل العلمي فينا والمحرك الاول لها غير مادية أصلاً وانما تحركت عن قوة غير متناهية والقوة التي للنفس متناهية لكنها بما يعقل الاول

عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا * الى قوله تعالى * وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة * فنص تعالى على انه اغرى الكفار وسلب المؤمنين في الملك وانه بعث اولئك الذين دخلوا المسجد ودخلوه مسخط لله تعالى بلا شك فصح يقيناً انه تعالى خلق كل ذلك واراد كونه وقال عز وجل * الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك * فهذا نص جلي على ان الله آتى الملك ذلك الكافر فصح يقيناً ان الله تعالى فعل تمليكه وملكه على اهل الايمان ولا خلاف بين احد من الامة في ان ذلك يسخط الله عز وجل ويغضبه ولا يرضاه وهو نفس الذي انكرته المعتزلة وشنعت به

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسألهم عما مضت الدنيا عليه مذ كانت من اولها الى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك اهل الشرك والملوك الجورة والظلمة والغلبة المعطاة لهم على من ناواهم من اهل الاسلام واهل الفضل واخترام من ارادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ويأتي النصر لهم بوجوه الظفر الذي لا شك في ان الله تعالى فاعله من اماتة اعدائهم من اهل الفضل وتأييدهم عليهم وهذا ما لا مخلص لهم في ان الله تعالى اراد كونه وقال عز وجل * ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * فنص تعالى نصاً جلياً لا يحتمل تأويلا على انه كره ان يخرجوا في الجهاد الذي افترض عليهم الخروج فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كره تعالى كون ما اراد ونص على انه ثبطهم عن الخروج في الجهاد ثم عذبهم على التثبيط الذي اخبر تعالى انه فعله ونص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا يقين ليس بأمر الزام لأن الله تعالى لم يأمرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم بل لعنهم وسخط عليهم اذ قعدوا فاذ لا شك في هذا فهو ضرورة امر تكوين فصح ان الله تعالى خالق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه واذا نص

تعالى

فيسبح عليه نوره دائماً صارت قوتها غير متناهية وكانت الحركات المستديرة أيضاً غير متناهية والاجرام السموية لما لم يبق في جواهرها أمر ما بالقوة أعني في كمها وكيفها تركب صورتها في مادتها على وجه ولا يقبل التحليل ولكن عرض لها في وضعها وأينها اما بالقوة اذ ليس شيء من أجزاء مدار الفلك أو كوكب أولى بأن يكون ملاقياً له أو لجزئه من جزء آخر فمتى كان في جزء الفعل فهو في جزء آخر بالقوة والتشبه بالحيز الاقصى يوجب البقاء على أكمل كمال ولم يكن هذا ممكناً للجرم السماوي بالعدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة حافظة لما يكون من هذا الكمال ومبدؤها الشوق الى التشبه بالحيز الاقصى في البقاء على الكمال ومبدء الشوق هو ما يعقل منه فنفس الشوق الى التشبه بالاول من حيث هو بالفعل تصدر عنه الحركة الفلكية صدور الشيء عن التصور الموجب له وان كان غير مقصود في ذاته بالقصد الاول لان ذلك تصور لما بالفعل فيحدث عنه طلب لما بالفعل ولا يمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب ثم يتبع ذلك التصور تصورات جزئية على سبيل الانبعاث لا المقصود الاول وتتبع تلك

تعالى على امر فلا اعتراض لاحد عليه وقال عز وجل * فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون * وهذا نص جلي على انه عز وجل اراد ان يموتوا وهم كافرون وانه تعالى اراد كفرهم والقاف من تزهق مفتوحة بلا خلاف من احد من القراء معطوفة على ما اراد الله عز وجل من ان يعذبهم بها فى الدنيا والواو تدخل المعطوف في حكم المعطوف عليه بلا خلاف من احد في اللغة التي بها خاطبنا الله تعالى

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان قال قائل فان الله عز وجل قال في الذين قعدوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم * فلهذا ثبطهم قلنا لا عليكم اكانوا مأمورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار ان قعدوا لغير عذر ام كانوا غير مأمورين بذلك فاذ لا شك في انهم كانوا مأمورين فقد ثبطهم الله عز وجل عما أمرهم به وعذبهم على ذلك وخلق قعودهم عما أمرهم به ثم نقول لهم اكان تعالى قادراً على ان يكف عن اهل الاسلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا فان قالوا لم يكن قادراً على ذلك عجزوا ربهم تعالى وان قالوا انه تعالى كان قادراً على ذلك رجعوا الى الحق واقروا ان الله تعالي ثبطهم وكره كون ما افترض عليهم وخلق قعودهم الذي عذبهم عليه ولامهم عليه كما شاء لا معقب لحكمه وبالله تعالي التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلا بانه عز وجل اراد ضلال من ضل وشاء كفر من كفر فقد علمنا ضرورة ان كلام الله تعالى لا يتعارض فلما اخبر عز وجل انه لا يرضى لعباده الكفر فبالضرورة علمنا ان الذي نفى عز وجل هو غير الذي اثبت فاذ لا شك في ذلك فالذي نفى تعالى هو الرضى بالكفر

التصورات الحركات المتنقل بها في الاوضاع وهي كأنها عبادة ملكية أو فلكية وليس من شرط الحركة الارادية أن تكون مقصودة في نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية يشتاق نحو أمر يسنح منها تأثير تحرك له الاعضاء فتارة يتحرك على النحو الذي به يوصل الى الغرض وتارة على نحو آخر متشابه واذا بلغ الالتذاذ ينعقل المبدء الاول ربما يدرك منه على نحو عقلي أو نفساني شغل ذلك عن كل شيء ولكن ينبعث منه ماهو أدون منه في المرتبة وهو الشوق الى الاشبه به بقدر الامكان فقد عرفت ان الفلك متحرك بطبعه ومتحرك بالنفس ومتحرك بقوة عقلية غير متناهية وتميز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت ان المحرك الاول بجملة السماء واحد ولكل كرة من كرات السماء محرك قريب يخصه ومتشوق معشوق يخصه فأول المفارقات الخاصة محرك الكرة الاولى وهي على قول من تقدم بطلميوس كرت الثوابت وعلى قول بطلميوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التي يلي الاولى ولكل واحد مبدأ خاص وللكل مبدأ فلذلك تشترك الافلاك في دوام الحركة وفي الاستدارة

والذي اثبت هو الارادة لكونه والمشيئة لوجوده وهما معنيان متغايران بنص القرآن وحكم اللغة فان أبت المعتزلة من قبول كلام ربهم وكلام نبيهم صلى الله عليه وسلم وكلام ابراهيم ويوسف وشعيب وسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم وأبت ايضاً من قبول اللغة وما أوجبته البراهين الضرورية مما شهدت به الحواس والعقول من الله تعالى لو لم يرد كون ما هو موجود كائن لمنع منه وقد قال تعالى * الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين * فشهد الله تعالى بتكذيبهم واستعاضته من ذلك باصول المنانية ان الحكيم لا يريد كون الظلم ولا يخلقه فلبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولقد لجأ بعضهم الى ان قال ان لله تعالى في هذه الآيات معنى ومراداً لا نعلمه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تجاهل ظاهر وراجع لنا عليهم سواء بسواء في خلق الله تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليها ولا فرق فكيف وهذا كله لا معنى له بل الآيات كلها حق على ظاهرها لا يحل صرفها عنه لان الله تعالى قال * افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها * وقال تعالى * قرآناً عربياً * وقال تعالى * تبياناً لكل شيء * وقال تعالى * او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم * وقال تعالى * وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * فاخبر تعالي ان القرآن تبيان لكل شيء فقالت المعتزلة انه لا يفهمه أحد وانه ليس بياناً نعوذ بالله من مخالفة الله عز وجل ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا فرق بين ما تلونا من الآيات في أن الله تعالي شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى * قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير * وقوله تعالى * ان الله يفعل ما يشاء * وقال تعالى * يجتبي من رسله من يشاء * وقوله * يرزق من يشاء * وقوله تعالى *

ولا يجوز أن يكون شيء منها لاجل الكائنات السافلة لا قصد حركة ولا قصد جهة حركة ولا تقدير سرعة وتطويل ولا قصد فعل العلة لاجلها وذلك ان كل قصد فيجوز أن يكون أنقص وجوداً من المقصود لان كل ما لاجله شيء آخر فهو أتم وجوداً من الآخر ولا يجوز أن يستفاد الوجود الا كمل من الشيء الاخس فلا يجوز أن يكون البتة الى معلول قصد صادق والا كان القصد معطياً ومفيد الوجود ماهو أكمل وانما يقصد بالواجب شيء يكون القصد مهيئاً له ومفيد وجوده شيء آخر وكل قصد ليس عبثاً فانه يفيد كمالا ما لقاصد لو لم يقصد لم يكن ذلك الكمال ومحال أن يكون المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كمالا لم يكن فالعالى اذا لا يريد أمرا لاجل السافل وانما هو يريد لما هو أعلى منه وهو التشبه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز أن يكون الغرض تشبهاً بجسم من الاجسام السموية وان كان تشبه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفاً له وأسرع في كثير من المواضع ولا يجوز أن يكون الغرض شيئاً يوصل اليه بالحركة بل شيئاً مبايناً غير

يختص برحمته من يشاء * وقوله تعالى * فعال لما يريد * فهذا العموم جامع لمعاني هـذه الآيات ونص القرآن واجماع الامة على أن الله عز وجل حكم بان من حلف فقال ان شاء الله او الا ان يشاء الله على أي شيئ حلف فانه ان فعل ما حلف عليه أن لا يفعله فلا حنث عليه ولا كفارة تلزمه لان الله تعالى لو شاء لانفذه وقال عز وجل * ولا تقولن لشيئ اني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان اعترضوا بقول الله عز وجل وقالوا * لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون * فلا حجة لهم في هذه الآية لان الله عز وجل لا يتناقض كلامه بل يصدق بعضه بعضاً وقد اخبر تعالى انه لو شاء ان يؤمنوا لآمنوا وانه لو لم يشاء ان يشركوا ما اشركوا وانه شاء اضلالهم وانه لا يريد ان يطهر قلوبهم فمن المحال الممتنع ان يكذب الله عز وجل قوله الذي أخبر به وصدقه فاذ لاشك في هذا فان في الآية التي ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لم يقل تعالى انهم كذبوا في قولهم * لو شاء الرحمن ما عبدناهم * فكان يكون لهم حينئذ في الآية متعلق وانما اخبر تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصاً ليس في هذه الآية معنى غير هذا أصلا وهذا حق وهو قولنا ان الله تعالى لم ينكر قط فيها ولا في غيرها معنى قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم بل صدقه في الآيات الاخر وانما انكر عز وجل ان قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد اكذب الله عز وجل من قال الحق الذي لا حق احق منه اذ قاله غير معتقد له قال عز وجل * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون *

﴿ قال أبو محمد ﴾ فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه رسول غير معتقدين لذلك سماهم الله تعالى كاذبين وهكذا

جواهر الافلاك من موادها وأنفسها وبقي أن يكون لكل واحد من الافلاك شوق تشبه بجوهر عقلي مفارق يخصه ويختلف الحركات وأفعالها وأحوالها اختلافها الذي لها لاجل ذلك وان كنا لا نعرف كيفيتها او كميتها وتكون العلة الاولى متشوق الجميع بالاشتراك وهـذا معنى قول القدماء ان للكل محركا واحداً معشوقاً . ولكل كرة محركا يخصها ومعشوقاً يخصها فيكون اذاً لكل فلك نفس محركة تعقل الخير ولها بسبب الجسم تخيل أي تصور الجزئيات وارادة لها ثم يلزمها حركات مادونها لزوماً بالقصد الاول حتى ينتهي الى حركة الفلك الذي يلينا ومديرها العقل الفعال و يلزم الحركات السموية حركات العناصر على مثال تناسب حركات الافلاك وتعد تلك الحركات موادها لقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صورها على قدر استعداداتها كما قررنا فقد تبين لك أسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها في الطبيعيات * المسئلة التاسعة في العناية الازلية وبيان دخول الشر في القضاء قال العناية هي كون الاول عالماً لذاته بما عليه الوجود في نظام الخير وعلته لذاته للخير والكمال بحسب الامكان وراضياً به على النحو المذكور فيعقل

فعل عز وجل في قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم لما قالوا هذا الكلام الذي هو الحق غير عالمين بصحته انكر تعالى عليهم ان يقولوه متخرصين وبرهان هذا قول الله تعالى أثر هذه الآية نفسها * ام أتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون* فبين تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وان الذين قالوا معتقدين له انما هو انهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم فهذا هو الذي عقدوا عليه وهذا انكر تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فبطل ان يكون لهم في الآية متعلق أصلا والحمد لله رب العالمين فان اعترضوا بقول الله عز وجل * وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان سكتوا هاهنا لم يبعدهم التمويه وقلنا لهم صلوا القراءة وأتموا معنى الآية فان بعد قوله تعالى فهل على الرسل الى البلاغ المبين متصلا به* ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فآخر هذه الآية يبين اولها وذلك ان الله تعالى ايضاً لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكى عز وجل انهم قالوا * لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء* ولم يكذبهم في ذلك اصلا بل حكى هذا القول عنهم كما حكى تعالى ايضا قولهم * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * ولو انكر عز وجل قولهم ذلك لا كذبهم فاذ لم يكذبهم فلقد صدقهم في ذلك والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان اعترضوا بقول الله عز وجل* سيقول الذين

نظام الخير على الوجه الابلغ في الامكان فيفيض منه ما يعقله نظاماً وخيراً على الوجه الابلغ الذي يعقله فيضاناً على أتم تأدية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية والخير يدخل في القضاء الالهي دخولا بالذات لا بالعرض والشر بالعكس منه وهو على وجوه فيقال شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلق ويقال شر لمثل الآلام والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزنا وبالجملة الشر بالذات هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو المعدم والحابس للكمال عن مستحقه والشر بالذات ليس بأمر حاصل الا أن يخبر عن لفظه ولو كان له حصول ما لكان الشر العام وهذا الشر يقابله الوجود على كماله الاقصى أن يكون بالفعل وليس فيه ما بالقوة أصلا فلا يلحقه شر وأما الشر بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما في طباعه أمر بالقوة وذلك لاجل المادة فيلحقها لامر يعرض لها في نفسها واول وجودها هيئة من الهيئات المانعة لاستعدادها الخاص للكمال الذي توجهت اليه فتجعله أردى مزاجاً وأعصى جوهراً لقبول التخطيط والتشكيل والتقويم

اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هـذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهـواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً *

﴿ قال ابو محمد ﴾ انما تلونا جميع الآيات على نسقها في القرآن واتصالها خوف ان يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قوله يخرصون فكثيراً ما احتجنا الى بيان مثل هذا من الاقتصار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقي الله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه الآية من اعظم حجة على القدرية لانه تعالى لم ينكر عليهم قولهم *ولو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء * ولو انكره لكذبهم فيه وانما انكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وان وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفاً وقد بين تعالى انه انما انكر عليهم ذلك بقوله عز وجل في الآية نفسها ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ثم لم يدعنا تعالى في لبس من ذلك بل واتبع ذلك نسقاً واحداً بان قال * فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين * فصدقهم عز وجل في قولهم انه لو شاء ما اشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ما حرموا واخبر تعالى انه لو شاء لهداهم فاهتدوا وبين تعالى ان له الحجة عليهم في ذلك ولا حجة لاحد عليه تعالى وانكر عز وجل ان اخرجوا ذلك مخرج العذر لأنفسهم او مخرج الاحتجاج على الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى انه انما انكر ايضاً تكذيبهم رسله بقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم بالذال المشددة بلا خلاف من القراء ودعواهم

فتشوهت الخلقة وانتقضت البنية لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لا يقبل وأما الامر الطارئ من خارج فأحد شيئين اما مانع للمكمل واما مضاد ما حق الكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وتراكمها واظلال جبال شاهقة يمنع تأثير الشمس في الثمار على الكمال ومثال الثاني حس البرد للنبات المصيب لكماله وفي وقته حتى يفسد الاستعداد الخاص ويقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق مثال الاول الظلم والزنا ومثال الثاني الحقد والحسد ويقال شر للآلام والغموم ويقال شر لنقصان كل شيء عن كماله والضابط لكله اما عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا توهمت موجودة فاما أن تمنع أن يكون الا خيرًا على الاطلاق أو شرا على الاطلاق أو خيرا من وجه وهذا القسم اما ان يتساوى فيه الخير والشر أو الغالب فيه أحدهما واما الخير المطلق الذي لا شر فيه فقد وجد في الطباع والخلقة واما الشر المطلق الذي لا خير فيه أو الغالب فيه أو المساوي فلا وجود له أصلا فبقي ما في الغالب وجوده الخير وليس يخلو عن شر فالاحرى به أن يوجد فان لا كونه أعظم شرا من كونه

ان الله تعالى حرم ما ادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى * قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا * فوضح بكل ما ذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال وبان صحة قولنا ان الله تعالى شاء كون كل ما في العالم من ايمان وشرك وهدى وضلال وان الله تعالى اراد كون ذلك كله وكيف يمكن ان ينكر تعالى قولهم لو شاء الله ما اشركنا وقد اخبرنا عز وجل بهذا نصاً في قوله في السورة نفسها * اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا * فلاح يقيناً صدق ما قلنا من انه تعالى لم يكذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وهذا مثل ما ذكره الله تعالى من قولهم * انطعم من لو يشاء الله اطعمه * فلم يورد الله عز وجل قولهم هذا تكذيباً بل صدقوا في ذلك بلا شك ولو شاء الله لأطعم الفقراء والمجاويع وما أرى المعتزلة تنكر هذا وانما اورد الله تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به في الامتناع من الصدقة واطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة على ربها اذ قالت يكلفنا مالا يقدر ناعليه ثم يعذبنا بعد ذلك على ما اراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا الله عز وجل اطعام هذا الجائع ولو اراد اطعامه لاطعمه

﴿قال أبو محمد﴾ تباً لمن عارض أمر ربه تعالي واحتج عليه بل لله الحجة البالغة ولو شاء لاطعم من ألزمنا اطعامه ولو شاء لهدى الكافرين فآمنوا ولكنه تعالي لم يرد ذلك بل أراد ان يعذب من لا يطعم المسكين ومن أضله من الكافرين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وحسبنا الله ونعم الوكيل وقالت المعتزلة معنى قوله تعالي ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولآمن من في الارض وسائر الآيات التي تلوتهم انما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم الي الايمان فآمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة

فواجب أن يفيض وجوده من حيث يفيض منه الوجود لئلا يفوت الخير الكلي لوجود الشر الجزؤي وأيضاً لو امتنع وجود ذلك الخير من الشر امتنع وجود أسبابه التي تؤدي الى الشر بالعرض فكان فيه أعظم خلل في نظام الخير الكلي بل وان لم يثبت الى ذلك وصيرنا التفاتنا الى ما ينقسم اليه الامكان في الوجود من أصناف الموجودات المختلفة في أحوالها وكان الوجود المبراء من الشر من كل وجه قد حصل وبقى نمط من الوجود انما يكون على سبيل ان لا يوجد الا ويتبعه ضرر وشر مثل النار فان الكون انما يتم بان يكون فيه نار ولن يتصور حصولها الا على وجه يحرق ويسخن ولم يكن بد من المصادمات الحادثة ان تصادف النار ثوب فقير ناسك فيحترق والامر الدائم الاكثري حصول الخير من النار فاما الدائم فلان أنواعاً كثيرة لا يستحفظ على الدوام الا بوجود النار وأما الاكثر فلان أكثر أشخاص الانواع في كنف السلامة من الاحراق فما كان يحسن ان يترك المنافع الاكثرية والدائمة لاعراض شرية اقلية فاريدت الخيرات الكائنة عن مثل هذه الاشياء ارادة أولية على

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تأويل جمعوا فيه بلايا جمة اولها انه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو ساقط ويقال لهم ما صفة الايمان الضروري الذي لا يستحق عليه الثواب عندكم وما صفة الايمان غير الضروري الذي يستحق به الثواب عندكم فانهم لا يقدرون على فرق أصلا الا ان يقولوا هو مثل ما قال الله عز وجل اذ يقول تعالى * يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً * ومثل قوله تعالى * ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون * ومثل حالة المحتضر عند المعاينة التي لا يقبل فيها ايمانه وكما قيل لفرعون * آلآن وقد عصيت قبل *

﴿ قال أبو محمد ﴾ فيقال لهم كل هذه الآيات حق وقد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الاحوال ولم يبطل بذلك قبول ايمانهم فهلا على أصولكم صار ايمانهم ايمان اضطرار لا يستحقون عليه جزاء في الجنة اما صار جزاؤهم عليه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منه اصلا ثم نقول لهم اخبرونا عن ايمان المؤمنين اذ صح عندهم صدق النبي بمشاهدة المعجزات من شق القمر واطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ونبعان الماء الغزير من بين الاصابع وشق البحر واحياء الموتى واوضح كل ذلك بنقل التواتر الذي به صح ما كان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك مما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا فرق في صحة اليقين لكونه هل ايمانهم الا ايمان يقين قد صح عندهم وانه حق ولم يتخالجهم فيه شك فان علمهم به كعلمهم ان ثلاثة اكثر من اثنين وكعلمهم ما شاهدوه بحواسهم في انه كله حق وعلموه ضرورة ام ايمانهم ذلك ليس يقيناً مقطوعاً بصحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا بل هو الآن يقين قد صح علمهم

الوجه الذي يصلح ان يقال ان الله تعالى يريد الاشياء ويريد الشر أيضاً على الوجه الذي بالعرض فالخير مقتضي بالذات والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر فالحاصل ان الكل انما رتبت فيه القوى الفعالة والمنفعلة السموية والارضية الطبيعية والنفسانية بحيث يؤدي الى النظام الكلي مع استحالته ان تكون هي على ما هي ولا يؤدي الى شرور فيلزم من أحوال العالم بعضها بالقياس الى بعض ان يحدث في نفس صورة اعتقاد رديء أو كفر أو شر آخر ويحدث في بدن صورة قبيحة مشوهة لو لم يكن ذلك لم يكن النظام الكلي يثبت فلم يعبأ ولم يلتفت الى اللوازم الفاسدة التي تعرض بالضرورة وقيل خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وكل ميسر لما خلق له * المسئلة العاشرة في المعاد واثبات سعادات دائمة للنفوس واشارة الى النبوة وكيفية الوحي والالهام والتقدم على الخوض فيها أصولا ثلاثة * الاصل الاول * ان لكل قوة نفسانية لذة وخيرا يخصها واذى وشرا يخصها وحيث ما كان المدرك أشد ادراكا وأفضل ذاتا والمدرك أكمل موجوداً وأشرف ذاتاً وأدوم ثباتاً فاللذة أبلغ وأوفر

بانه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كتيقنهم صحة ما علموه بمشاهدة حواسهم قلنا لهم نعم هذا هو الايمان الاضطراري بعينه والا ففرقوا وهذا الذي موهتم بانه لا يستحق عليه من الجزآء كالذي يستحق على غيره وبكل تمويهكم بحمد الله تعالى اذ قلتم ان معنى قوله تعالى لجمعهم على الهدى ولآ من من في الارض انه كان يضطرهم الى الايمان فان قالوا بل ليس ايمان المؤمنين هكذا ولا علمهم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة قيل لهم قد اوجبتم ان المؤمنين على شك في ايمانهم وعلى عدم يقين في اعتقادهم وليس هذا ايماناً بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا فان كان هذا صفة ايمان المعتزلة فهم اعلم بانفسهم واما نحن فايماننا ولله الحمد ايمان ضروري لا مدخل للشك فيه كعلمنا ان ثلاثة اكثر من اثنين وان كل بناء فمبني وكل من اتى بمعجزة فحق في نبوته ولا نبالي ان كان ابتداء علمنا استدلالاً أم مدركاً بالحواس اذ كانت نتيجة كل ذلك سوآء في تيقن صحة الشيء المعتقد وبالله تعالى التوفيق ثم نسألهم عن الذين يرون بعض آيات ربنا يوم لا ينفع نفساً ايمانها اكان الله تعالى قادراً على ان ينفعهم بذلك الايمان ويجزيهم عليه جزاءه لسائر المؤمنين ام هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا بل هو قادر على ذلك رجعوا الى الحق والتسليم لله عز وجل وانه تعالى منع من شاء واعطى من شاء وانه تعالى ابطل ايمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل ايمان من آمن عند رؤية آية اخرى وكلها سوآء في باب الاعجاز وهذا هو المحاباة المحضة والجور البين عند المعتزلة فان عجزوا ربهم تعالى عن ذلك أحالوا وكفروا وجعلوه تعالى مضطراً مطبوعاً محكوماً عليه تعالى الله عن ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد قال عز وجل * فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة

الدنيا

* الاصل الثاني * انه قد يكون الخروج الى الفعل في كمال ما بحيث يعلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصور كيفيته ولا يشعر به فلم يشتق اليه ولم يفزع نحوه فيكون حال المدرك حال الاصم والاعمى المتيقنين برطوبة اللحم وملاحة الوجه من غير شعور وتصور وادراك * الاصل الثالث * ان الكمال والامر الملائم قد تيسر للقوة الداركة وهناك مانع أو شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده وتكون القوة المميزة بضد ما هو كمالها فلا يحس به كالمريض والممرور فاذا زال العائق عاد الى واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل له كمال اللذة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كمالها الخاص بها ان يصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور على الكل مبتداء من المبداء أو سالكاً الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعاً ما بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها ثم كذلك حتى يستوفي نفسها هيئة الوجود كله فيصير عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كله مشاهداً لما هو الحسن المطلق والخير والبهاء الحق ومتحداً به ومنتقشاً في

الدنيا ومتعناهم الى حين * فهؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل الله عز وجل منهم ايمانهم وآمن فرعون وسائر الامم المعذبة لما رأوا العذاب فلم يقبل الله عز وجل منهم ففعل الله تعالى ما شاء لا معقب لحكمه فظهر فساد قولهم فى ان الايمان الاضطراري لا يستحق عليه جزآء جملة وصح ان الله تعالى يقبل ايمان من شاء ولا يقبل ايمان من شآء ولا مزيد ثم يقال لهم وبالله تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذي هديتم به من ان معنى قوله تعالى لجمعهم على الهدى انما هو لاضطرهم الى الايمان فاخبرونا لو كان ذلك فاي ضرر كان يكون في ذلك على الناس والجن بل كان يكون في ذلك الخير كله وما ذا ضر الاطفال اذ لم يكن لهم ايمان اختياري كما تزعمون وقد حصلوا على افضل المواهب من السلامة من النار بالجملة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا فزعاً رآه غيرهم وايضاً فان دعواهم هذه التي كذبوا فيها على الله عز وجل اذ وصفوا عن مراد الله تعالى مالم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لان اسم الهدى والايمان لا يقعان البتة على معنى غير المعنى المعهود في القرآن واللغة وهما طاعات الله عز وجل والعمل بها والقول بها والتصديق بجميعها الموجب كل ذلك بنص القرآن رضي الله عز وجل وجنته ولا يسمى الجماد والحيوان غير الناطق ولا المجنون ولا الطفل مؤمناً ولا مهتدياً الا على معنى جرى احكام الايمان على المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلنا قول الله تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين * فصح ان الهدى الذي لو اراد الله تعالى جمع الناس عليه هو المنقذ من النار والذي لا يملأ جهنم من اهله وكذلك قوله تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * فصح ان الايمان جملة

سلكه ومنخرطاً بمثاله وصائراً من جوهره فهذا الكمال لا يقاس بسائر الكمالات وجوداً ودواماً ولذة وسعادة بل هذه اللذة أعلى من اللذات الحسية وأعلى من الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة بينها في الشرف والكمال وهذه السعادة لا تتم له الا باصلاح الخير والعمل من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم روية وذلك باستعمال المتوسط بين الخلقين المتضادين لا بان يفعل أفعال المتوسط بل بان يحصل ملكة التوسط فيحصل في القوة الحيوانية هيئة الاذعان وفي القوة الناطقة هيئة الاستعلا ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضياً للقوى الحيوانية فاذا قويت حدثت في النفس الناطقة هيئة اذعانية قد رسخت فيها من شأنها ان تجعلها قوى العلاقة مع البدن والانصراف اليه وأما ملكت التوسط فهي من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة من البدن فسعدت السعادة الكبرى ثم للنفوس مراتب في اكتساب ما بين هاتين القوتين أعنى العلمية والعملية والتقصير فيهما فلم ينبغي ا يحصل عند نفس الانسان من تصور المعقولات والتخلق

شيء واحد وهو المنقذ من النار الموجب للجنة وايضاً فان الله عز وجل يقول * من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً * ويقول * انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء * ويقول تعالى * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء * فهذه الآيات مبينة ان الهدى المذكور هو الاختياري عند المعتزلة لانه تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افانت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين * وقال تعالى * لا اكراه في الدين * فصح يقيناً ان الله تعالى لم يرد قط بقوله لجمعهم على الهدى ولآمن من في الارض ايماناً فيه اكراه فبطل هذرهم والحمد لله رب العالمين فان قالوا لنا فاذا اراد الله تعالى كون الكفر والضلال فأريدوا ما اراد الله تعالى من ذلك قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ليس لنا ان نفعل مالم نؤمر به ولا يحل لنا ان نريد مالم يأمرنا الله تعالى بارادته وانما علينا ما امرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما امرنا بمحبته ونريد ما امرنا بارادته ثم نسألهم هل اراد الله تعالى امراض النبي صلى الله عليه وسلم اذ أمرضه وموته صلى الله عليه وسلم اذ أماته وموت ابراهيم ابنه اذ أماته أولم يرد الله تعالى شيئاً من ذلك فلا بد من ان الله تعالى اراد كون كل ذلك فيلزم ان يريدوا موت النبي صلى الله عليه وسلم ومرضه وموت ابنه ابراهيم لان الله تعالى اراد كل ذلك فان اجابوا الى ذلك ألحدوا بلا خلاف وعصوا الله ورسوله وان أبوا من ذلك بطل ما ارادوا الزامنا اياه الا انه لازم لهم على اصولهم الفاسده لا لنا لأنهم صححوا هذه المسألة ونحن لم نصححها ومن صحح شيئاً لزمه ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر في حال ما يباح لنا فيه ارادة الكفر من بعض الناس فقد اثنى الله عز وجل على ابن آدم في قوله لاخيه * اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك

بالاخلاق الحسنة حتى تجاوز الحد الذي في مثله يقع في الشقاوة الابدية وأي تصور وخلق يوجب له بالشقاء المؤبد وأي تصور وخلق يوجب له الشقاء الموقت قال فليس يمكنني ان أنص عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه وقيل

فدع عنك الكتابة لست منها
ولو سوّدت وجهك بالمداد

قال وأظن ذلك أن يتصور نفس الانسان المبادي المفارقة بصوراً حقيقياً وتصدق بها تصديقاً يقينياً لوجودها عنده بالبرهان ويعرف العلل الغائية للامور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزئية التي لا تتناهى ويتقرر عنده هيئة الكل ونسب أجزائه بعضها الى بعض والنظام الآخذ من المبدأ الاول الى أقصى الموجودات الواقعة في ترتيبه ويتصور العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل أي وجود يخصها وأية وحدة تخصها وانه كيف يعرف حتى لا يلحقها تكثر وتغير بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها وكلما ازداد استبصارا ازداد للسعادة استعدادا وكأنه ليس يتبرأ الانسان عن هذا العالم وعلائقه الا أن يكون أكد العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الى ماهناك يصده

جزآء الظالمين * فهذا ابن آدم الفاضل قد أراد ان يكون أخوه من اصحاب النار وان يبوء باثمه مع اثم نفسه وقد صوب الله عز وجل قول موسي وهارون عليهما السلام * ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يرو العذاب الاليم * قال قد اجيبت دعوتكما * فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد ارادا وأحبا ان لا يؤمن فرعون وان يموت كافراً الى النار وقد جآء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا على عتبة بن أبي وقاص ان يموت كافراً الى النار فكان كذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ واصدق الله عز وجل أنا عن نفسي التي هو اعلم بما فيها مني ان الله تعالى يعلم أني لاسر بموت عقبة بن ابي معيط كافراً وكذلك أمر أبي لهب لاذاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتتم كلمة العذاب عليهما وان المرء ليسر بموت من استبلغ في اذاه ظلما بان يموت على اقبح طريقة وقد روينا هذا عن بعض الصالحين في بعض الظلمة ولا خرج على من اثنى بمحمد وبموسى وبافضل ابني آدم صلى الله عليه وسلم وليت شعري أي فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب في النار وبين الدعاء عليه بأن يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الامرين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقال عز وجل * ولو شاء الله لسلطهم عليكم * وقال تعالى * وما النصر الا من عند الله * وقال تعالى * اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم * وقال تعالى * هو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة * فصح يقيناً ان الله تعالى سلط الكفار على من سلطهم عليهم من الانبياء وعلى اهل بئر معونة ويوم احد ونصرهم املاء لهم وابتلاء للمؤمنين والا فيقال لمن انكر هذا اتراه تعالى كان عاجزاً عن منعهم فان قالوا نعم كفروا وناقضوا لان الله تعالى قد نص على انه كف ايدي الكفار عن المؤمنين اذ شاء وسلط ايديهم على المؤمنين ولم يكفها اذ شاء

عن الالتفات الى ما خلفه جملة ثم ان النفوس والقوى الساذجة التي لم تكتسب هذا الشوق ولا تصورت هذه التصورات فان كانت بقيت على ساذجيتها واستقرت فيها هيئآت صحيحية اقناعية وملكات حسنة خلقية سعدت بحسب ما اكتسبت اما اذا كان الامر بالضد من ذلك أو حصلت أوائل الملكة العملية وحصل لها شوق قد تبع رأياً مكتسباً الى كمال حالها فصدها عن ذلك عائق مضاد فقد شقي الشقاء الابدي وهؤلاء اما مقصرون في السعي لتحصيل الكمال الانساني واما معاندون متعصبون لآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية والجاحدون أسوأ حالاً والنفوس البله أدنى من الخلاص في فطانة تبرأ لكن النفوس اذا فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معنى جاذب الى الجهة التي فوقهم لا كمال فتسعد تلك السعادة ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة بل جميع هيئآتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة الى الاجسام ولا بد لها من تخيل ولا بد للتخيل من أجسام قال فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة التخيلة فتشاهد ما قيل لها في

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال بعض شيوخ المعتزلة ان اسلام الله تعالى من أسلم من الانبياء الى اعدائه فقتلوهم وجرحوهم واسلام من اسلم من الصبيان الى اعدائه يحضونهم ويغلبونهم على انفسهم بركوب الفاحشة اذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلانًا فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها الان الله تعالى لم يذكرها في هذا الباب لكنا نقول لكم اذا كان قتل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اعظم ما يكون من الكفر والظلم وكان الله عز وجل بقولكم قد اسلم انبياءه صلوات الله عليهم الى اعدائهم ليعوضهم اجل عوض فقد اقررتم بزعمكم أن الله عز وجل اراد اسلامهم الى اعدائهم واذا أراد الله عز وجل ذلك باقراركم فقد أراد باقراركم كون اعظم ما يكون من الكفر وشاء وقوع اعظم الضلال ورضي ذلك لانبيائه عليهم السلام على الوجه الذي تقولون كاينًا ما كان وهذا مالا مخلص لهم منه وأيضًا فنقول لهذا القائل اذا كان اسلام الانبياء الى اعداء الله عز وجل يقتلونهم ليس ظلما وعبثًا على توجيهكم المناقض لأصولكم في انه أدى الى أجزل الجزاء فليس خذلانًا وكذلك اسلام المسلم الى عدوه يحضنه ويرتكب فيه الفاحشة فهو على أصولكم خير وعدل فيلزمكم ان تتمنوا ذلك وان تسروا بما نيل من الانبياء عليهم السلام في ذلك وان تدعوا فيه الى الله تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف اجماع اهل الاسلام وهذا ما لا مخلص لهم منه ولا يلزمنا نحن ذلك لاننا لا نسر الا بما أمرنا الله تعالى بالسرور به ولا نتمنى الا ما قد اباح لنا تعالى ان ندعوه فيه وكل فعله عز وجل وان كان عدلا منه وخيرًا فقد افترض تعالى علينا ان ننكر من ذلك ما سماه من غيره ظلما وان نبرأ منه ولا نتمناه لمسلم فانما نتبع ما جاءت به النصوص فقط وبالله تعالى التوفيق وقال قائل من المعتزلة اذا حملتم قوله تعالى * والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى * فما يدريكم لعله عليكم عمى

الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الاخروية وتكون الانفس الرديئة أيضًا تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه فان الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد تأثيرًا كما تشاهد في المنام وهذه هي السعادة والشقاوة بالقياس الى الانفس الحسية واما الانفس المقدسة فانها تبعد عن مثل هذه الاحوال وتتصل عن كمالها بالذات وتنغمس في اللذة الحقيقية ولو كان بقي فيها أثر من ذلك اعتقادي أو خلقي تأذت به وتخلفت عن درجة عليين الى ان ينفسخ قال والدرجة الاعلى فيما ذكرناه لمن له النبوة اذ في قواه النفسانية خصائص ثلاث نذكرها في الطبيعيات فيها يسمع كلام الله و يرى ملائكته المقربين وقد تحولت على صورة يراها وكما ان الكائنات ابتدأت من الاشرف فالاشرف حتى ترقت في الصعود الى العقل الاول ونزلت في الانحطاط الى المادة وهي الاخس كذلك ابتدأت من الاخس حتى بلغت النفس الناطقة وترقت الى درجة النبوة ومن المعلوم ان نوع الانسان محتاج الى اجتماع ومشركة في ضروريات حاجاته مكتفيًا في آخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضًا مكتفيًا به ولا يتم تلك الشركة الا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى قد نص على انه لا يكون عمى الا على الذين لا يؤمنون ونحن مؤمنون ولله تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذم الله تعالى قوماً حملوا القرآن على غير ظاهره فقال تعالى * يحرفون الكلم عن مواضعه * فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حساً فمن حمل القرآن على ما خوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن له هدى وشفاء ومن بدل كلمه عن مواضعه وادعي فيه دعاوي برأيه وكهانات بطنه واسراراً واعرض عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم المبين عن الله تعالى بامره ومال الى قول المنانية فهو الذي عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلها وحماقتها واقدامها انهم قالوا ان الشهادة التي غبط الله تعالى بها الشهداء واوجب لهم بها افضل الجزاء وتمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وفضلاء المسلمين ليس هي قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البريء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وجنون المعتزلة وجهلهم واهذارهم ووساوسهم لا قياس عليها وحق لمن استغنى عن الله عز وجل وقال انه يقدر على ما لا يقدر عليه ربه تعالى وقال ان قتله كمقتول الانبياء عليهم السلام سواء بسواء ان يخذله الله عز وجل مثل هذا الخذلان نعوذ بالله من خذلانه ونسئله العصمة فلا عاصم سواه أما سمعوا قول الله عز وجل * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً * وقوله تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء * ثم انهم فسروا الشهادة بعقولهم فقالوا انما الشهادة الصبر على الجراح المؤدية الى القتل والعزم على التقدم الى الحرب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وفي هذا الكلام من الجنون ثلاثة اضرب احدها انه كلام مبتدع لم يقبله احد قبل متأخريهم المنسلخين من الخير جملة

بمعاملة ومعارضة يجري بينهما يفزع كل واحد منهما صاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير ولا بد في المعاملة من سنة وعدل ولا بد من سانّ معدل ولا بد من أن يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة فلا بد من أن يكون انساناً ولا يجوز ان يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل واحد منهم ماله عدلا وما عليه جوراً وظلماً فالحاجة في هذا الانسان في أن يبقى نوع الانسان أشد من الحاجة الى انبات الشعر على الاشفار والحاجبين فلا يجوز أن تكون العناية الاولى تقتضي أمثال تلك المنافع ولا تقتضي هذه التي هي أثبتها ولا ان يكون المبدأ الاول والملائكة بعده تعلم تلك ولا تعلم هذا ولا ان يكون ما يعمله في نظام الامر الممكن وجوده الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبني على وجوده فلا بد اذاً من نبي هو انسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على انها من عند ربه يدعوهم الى التوحيد ويمنعهم من الشرك ويسن لهم الشرائع والاحكام ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغبهم في

والثاني انه لو وضح ما ذكروا لكانت الشهادة في الحياة لا بالموت لان الصبر على الجراح والعزم على التقدم لا يكونان الا في الحياة والشهادة في سبيل الله لا تكون بنص القرآن وصحيح الأخبار واجماع الامة الا بالقتل والثالث ان الذي منه هربوا فيه وقعوا بعينه وهو ان الشهادة التي تمنى المسلمون بها ان كانت العزم على التقدم الى الحرب والصبر على الجراح المؤدية الى القتل فقد حصل تمنى قتل الكفار للمسلمين وتمني أن يجرحوا المسلمين جراحاً تؤدي الى القتل وتمني ثبات الكفار على الكفر حتى يجرحوا اهل الاسلام جراحاً قاتلة وحرب الكفار للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم اياهم معاص وكفر بلا شك فقد حصلوا على تمني المعاصي وهو الذي به شنعوا وبالله تعالى التوفيق فبطل كل ما شنعت به المعتزلة والحمد لله رب العالمين كثيراً

الكلام في اللطف والاصلح

﴿ قال ابو محمد ﴾ وضل جمهور المعتزلة في فصل من القدر ضلالا بعيداً فقالوا باجمعهم حاشا ضرار بن عمرو وحفصاً الفرد وبشر بن المعتمر ويسيراً ممن اتبعهم انه ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدى اهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن هداً مستوياً وانه ليس يقدر على شيء هو اصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين ثم اختلف هؤلاء فقال جمهورهم انه تعالى قادر على امثال ما فعل من الصلاح بلا نهاية وقال الاقل منهم وهم عباد ومن وافقه هذا باطل لانه لا يجوز ان يترك الله تعالى شيئاً يقدر عليه من الصلاح من اجل فعله لصلاح ما وحجتهم في هذا الكفر الذي اتوا به انه لو كان عنده اصلح او افضل مما فعل بالناس ومنعهم اياه لكان بخيلاً ظالماً لهم ولو أعطى شيئاً من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابياً ظالماً والمحاباة جور ولو كان عنده ما يؤمن به الكفار اذا أعطاهم

الآخرة وثوابها ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثالا تسكن اليها نفوسهم وأما الحق فلا يلوح لهم الا أمرا مجملاً وهو ان ذلك شيء لا عين رأته ولا أذن سمعته ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير والمذكرات اما حركات واما اعدام حركات يفضي الى حركات فالحركات كالصلوات وما في معناها واعدام الحركات كالصيام ونحوه وان لم يكن لهم هذه المذكرات تناسوا جميع ما دعاهم اليه مع انقراض قرن وينفعهم ذلك أيضاً في المعاد منفعة عظيمة فان السعادة في الآخرة تبتريه النفس عن الاخلاق الرديئة والملكات الفاسدة فيتقرر لها بذلك هيئة الانزعاج عن البدن وتحصل لها ملكة التسلط عليه فلا ينفعل عنه ويستفيد به ملكة الالتفات الى جهة الحق والاعراض عن الباطل ويصير شديد الاستعداد ليتخلص الى السعادة بعد المفارقة البدنية وهذه الافعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد أنها فريضة من عند الله تعالى وكان مع اعتقاده ذلك يلزمه في كل فعل ان يتذكر الله ويعرض عن غيره لكان جديرا ان يفوز من هذه الزكا بحظ فكيف اذا استعملها من يعلم ان النبي من عند

اياه ثم منعهم اياه لكان ظالماً لهم غاية الظلم قالوا وقد علمنا ان انساناً لو ملك اموالا عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج اليها فقصده جار فقير له تحل له الصدقة فسأله درهما يحيي به نفسه وهو يعلم فقره اليه ويعلم انه يتدارك به رمقه فمنعه لا لمعنى فانه بخيل قالوا فلو علم انه اذا اعطاه الدرهم سهلت عليه افعال كلفه اياها فمنعه من ذلك لكان بخيلا ظالماً فلو علم انه لا يصل الى ما كلفه الا بذلك الدرهم فمنعه لكان بخيلا ظالماً سفيهاً فهذا كل ما احتجوا به لاحجة لهم غير هذه البتة وذهب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم الى ان عند الله عز وجل الطافاً كثيرة لانهاية لها لو اعطاها الكفار لآمنوا ايماناً اختيارياً يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشار الى نحو هذا ولم يحققه ابو علي الجبائي وابنه ابو هاشم وكان بشر بن المعتمر يكفر من قال بالاصلح والمعتزلة اليوم تدعي ان بشرا تاب عن القول باللطف ورجع الى القول بالاصلح

﴿ قال ابو محمد ﴾ وحجة هؤلاء انه تعالى قد فعل بهم ما يؤمنون عنده لو شاؤا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمه اكثر من ذلك فعارضهم اصحاب الاصلح بان قالوا ان الاختيار هو ما يمكن فعله ويمكن تركه فلو كان الكفار عند اتيان الله تعالي بتلك الالطاف يختارون الايمان لأمكن ان يفعلوه وان لا يفعلوه ايضاً فعادت الحال الى ما هي عليه الا أن يقولوا انهم كانوا يؤمنون ولا بد فهذا اضطرار من الله تعالى لهم الى الايمان لا اختيار قالوا ونحن لا ننكر هذا بل الله تعالى قادر على ان يضطرهم الى الايمان كما قال تعالى * يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل * قالوا فالذي فعل تعالى بهم أفضل وأصلح

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا لازم لمن لم يقل ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لزوماً لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنا وانما سألناهم هل الله تعالى

الله وبارسال الله وواجب الحكمة الالهية ارساله وان جميع ما سنه فانما هو وجب من عند الله ان سنه فانه متميز عن سائر الناس بخصائص تأله واجب الطاعة بآيات ومعجزات دلت على صدقه وسيأتي شرح ذلك في الطبيعيات لكنك تحدس مما سلف اذا ان الله كيف رتب النظام في الموجودات وكيف سخر الهيولي مطيعة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال بازالة صورة واثبات صورة وحيثما كانت النفس الانسانية أشد مناسبة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال كان تأثيرها في الهيولي أشد وأغرب وقد تصفو النفوس صفاء شديد الاستعداد للاتصال بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم مالا يصل اليه من هو في نوعه بالفكر والقياس فبالقوة الاولى يتصرف في الاجرام بالتقليب والاحالة من حال الى حال و بالقوة الثانية يخبر عن غيب ويكلمه ملك فيكون بالانبياء وحيا و بالاولياء الهاما ونحن نبتدئ القول في الطبيعيات المنقولة عن أبي علي بن سينا في الطبيعيات قال أبو علي بن سينا ان للعلم الطبيعي موضوعا ينظر فيه وفي لواحقه كسائر العلوم وموضوعه الاجسام الموجودة بما هي واقعة في التغير و بما هي موصوفة بانحاء الحركات والسكونات وأما

قادر على ان يأتي الكفار بالطاف يكون منهم الايمان عندها باختيار ولا بد ويثيبهم على ذلك أتم ثواب يثيبه عبداً من عباده أم لا فقالوا لا

﴿ قال أبو محمد ﴾ كأن أصحاب الأصلح غيب عن العالم أو كأنهم اذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمست حواسهم وصدق الله فقد نبه على مثل هذا اذ يقول تعالى *لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها* أترى هؤلاء القوم ماشاهدوا ان الله عز وجل منع الاموال قوماً واعطاها آخرين ونبأ قوماً وأرسلهم الى عباده وخلق قوماً آخرين في اقاصي أرض الزنج يعبدون الأوثان وأمات قوماً من أوليائه ومن أعدائه عطشاً وعنده مجادح السموات وسقى آخرين الماء العذب أما هذه محاباة ظاهرة فان قالوا ان كل ما فعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سألناهم عن أماتته تعالى الكفار وهم يصيرون الى النار واعطائه تعالى قوماً مالاً ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مع القلة والخمول صالحين وأفقر أقواماً فسرقوا وقتلوا وكانوا في حال الغنى صالحين وأصح أقواماً وجمل صورهم فكان ذلك سبباً لكون المعاصي منهم وتركوها إذ أسنوا وأمرض أقواماً فتركوا الصلاة عمداً وضجروا وثربوا وتكلموا بما هو الكفر او قريب منه وكانوا في صحتهم شاكرين لله يصلون ويصومون أهذا الذي فعل الله بهم كان أصلح لهم فان قالوا نعم كابروا المحسوس وان قالوا لو عاشوا لازدادوا قلنا لهم فانما كان أصلح لهم ان يخترمهم الله عز وجل قبل البلوغ او أن يطيل اعمارهم في الكفر ويملكهم الجيوش فيهلكوا بها أرض الاسلام ويقوي اجسادهم واذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل لسعيد الفيومي اليهودي وأباريطا اليعقوبي النصراني والمتحققين بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية اما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم ان يميتهم صغاراً

﴿ قال أبو محمد ﴾ فانقطعوا ناجأ بعضهم الى أن قال لانه قد سبق في علم الله تعالى أنه لو أماتهم صغاراً لكفر خلق من المؤمنين —

مبادىء هذا العلم فمثل تركب الاجسام عن المادة والصورة والقول في حقيقتهما ونسبة كل واحد منهما الى الثاني فقد ذكرناها في العلم الالهي والذي يختص من ذلك التركب بالعلم الطبيعي هو ان تعلم ان الاجسام الطبيعية منها أجسام مركبة من أجسام اما متشابهة الصورة كالسرير واما مختلفها كبدن الانسان ومنها أجسام مفردة والاجسام المركبة لها أجزاء موجودة بالفعل متناهية وهي تلك الاجسام المفردة التي منها تركبت وأما الاجسام المفردة فليس لها في الحال جزؤ بالفعل وفي قوتها أن تتجزأ أجزاء غير متناهية كل واحد منها أصغر من الآخر والتجزىء اما بتفريق الاتصال واما باختصاص العرض ببعض منه واما بالتوهم واذا لم يكن أحد هذه الثلاثة فالجسم المفرد لاجزء له بالفعل قال ومن أثبت الجسم مركباً من أجزاء لا تتجزأ بالفعل فبطلانه بأن كل جزء مس جزأ فقد شغله بالمس وكل ماشغل شيئاً بالمس فاما أن يدع فراغاً من شغله بجهة أولا يدع فان ترك فراغاً فقد تجزأ الممسوس وان لم يترك فراغاً فلا يتأتى أن يماسه آخر غير مماس الاول وقد ماسه آخر هذا خلف وكذلك في

﴿قال أبو محمد﴾ وفي هذا الجواب من السخافة وجوه جمة أولها انه دعوى بالدليل والثاني انهم لا ينفكون به مما الزمناهم ونقول لهم كان الله عز وجل قادراً على ان يميتهم ولا يوجب موتهم كفر احد فان قالوا لا عجزوا ربهم تعالى وان قالوا بل كان قادراً على ذلك ألزموه الجور والظلم على أصولهم ولا بد من احد الامرين والثالث انه ما يسمع في العالم باسخف من قول من قال ان انساناً مؤمناً يكفر من أجل صغير مات فهذا امر ما شوهد قط في العالم ولا توهم ولا يدخل في الامكان ولا في العقل وكم طفل يموت كل يوم مذ خلق الله تعالى الدنيا الى يوم القيامة فهل كفر احد قط من اجل موت ذلك الطفل وانما عهدنا الناس يكفرون عند ما يقع لهم من الغضب الذي يخلقه الله عز وجل في طبائعهم وبالعصبية التي أتاهم الله عز وجل اسبابها وبالملك الذي أتاهم الله إياه اذا عارضهم فيه عارض والرابع انه ليس في الجور ولا في العبث ولا في الظلم ولا في المحاباة أعظم من ان يبقي طفلاً حتى يكفر فيستحق الخلود في النار ولا يميته طفلاً فينجوا من النار من اجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما في الظلم والمحاباة اقبح من هـذا وهل هذا الا كمن وقف انساناً للقتل فأخذ هو آخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون

﴿قال أبو محمد﴾ وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون

﴿قال أبو محمد﴾ وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفاراً أضر على الاسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم ايضاً في هذا الجواب السخيف وايضاً فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ويثير الظلم ويميت الحق ويوسس القتالات والمنكرات حتى يضل بها خلق كثير حتى يظنوا انها حق وسنة فأي وجه لخلق هؤلآء على اصول المعتزلة الضلال نعم واي معنى واي صلاح في

جزء موضوع على جزء متصل وغيره من تركيب المربعات منها المساواة الاقطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظل والشمس دلائل على ان الجزء الذي لا يتجزأ محال وجوده فنتكلم بعد هذه المقدمة في مسائل هذا العلم ونحصرها في مقالات * المقالة الاولى في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة والسكون والزمان والمكان والخلا والتناهي والجهات والتماس والالتحام والاتصال والتتالي اما الحركة فيقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيرًا يسيرا على سبيل اتجاه نحو شيء والوصول اليه هو بالقوة و بالفعل فيجب من هذا أن تكون الحركة مفارقة الحال ويجب أن يقبل الحال التنقص والتزيد ويكون باقياً غير متشابه الحال في نفسه وذلك مثل السواد والبياض والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره فالجسم اذا كان في مكان فتحرك فقد حصل فيه كمال وفعل أول به يتوصل به الى كمال وفعل ثان هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل وفي المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ولا يكون وجودها الا في زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الامور التي

خلق ابليس ومردة الشياطين واعطاهم القوة على اضلال الناس من الحكمة المعهودة بيننا وبالضرورة نعلم ان من نصب المصايد للناس في الطرقات وطرح الشوك في ممشاهم فانه عائب سفيه فيما بيننا والله تعالى خلق كل ما ذكرنا باقرارهم وهو الحكيم العليم ثم وجدناه تعالى قدشهد للذين بايعوا تحت الشجرة بانه علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ثم أمات منهم من ولي منهم أمور المسلمين سريعاً ووهن قوي بعضهم وملك عليهم زيادا والحجاج وبغاة الخوارج فأي مصلحة في هذا للحجاج ولقطري او لسائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ولكن الحق هو قولنا وهو ان كل ذلك عدل من الله وحق وحكمة وهلاك ودمار واضلال للحجاج المسلط ولقطري ونظايرهما اراد الله تعالى بذلك هلاكهم في الآخرة ونعوذ بالله من الخذلان ثم نسألهم ماذا تقولون اذا أمر الله عز وجل بجلد الحرة في الزنا ماية وبجلد الامة نصف ذلك أليس هذا محاباة للامة واذ خول الله عز وجل قوماً اموالاً جمة فعاثوا فيها وحرم آخرين اما هذا عين المحاباة والجور على اصلهم الفاسد فيمن* منع جاره الفقير الا ان يطردوا قولهم فيصيروا الى قول من ذكر ان الواجب يواسى الناس في الاموال والنساء على السوا وبالجملة فان القوم يدعون نفي التشبيه ويكفرون من شبه الله تعالى بخلقه ثم لا نعلم أحداً أشد تشبيهاً لله تعالى بخلقه منه فيلزمونه الحكم ويخرون عليه الامر والنهي ويشبهونه بخلقه تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا اصولهم اذ من قولهم ان ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نبعده عن الباري تعالى ونحن نجد فيما بيننا من يحابي أحد عبيده على الآخر فيجعل احدهم مشرفاً على ماله وعياله وحاضناً لولده ويرتضيه لذلك من صغره بان يعلمه الكتاب والحساب ويجعل الآخر رائضاً لدابته وجامعاً للزبل لبستانه ومنقياً لحشه ويرتضيه لذلك من صغره وكذلك الاماء فيجعل احداهن محل ازاره ومطلباً لولده ويجعل الثانية خادماً

تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا وقد ظهر انها في كل أمر تقبل التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذاً لا شيء من الحركات في الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعة وأما الكمية فانها تقبل التزيد والتنقص فخليق أن يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف وأما الكيفية فما يقبل منها التنقص والتزيد والاشتداد كالتبيض والتسود فيوجد فيه الحركة وأما المضاف فأبدا عارض لمقولة من البواقي في قبول التنقص والتزيد فاذا أضيف اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة وأما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة واما متى فان وجوده للجسم بتوسط الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتى متى وأما الوضع فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه اذ لو توهم المكان المطيف به معدوما لما امتنع كونه متحركا ولو قدر ذلك في الحركة المكانية لامتنع ومثاله في الموجودات الجرم الاقصى الذي ليس وراءه جسم والوضع يقبل التنقص والاشتداد فيقال انصب وانكس وأما الملك فان ما تبدل الحال فيه

لهذه في الطبخ والغسل وهذا عدل باجماع المسلمين كلهم فلم انكروا ان يحابي الباري عز وجل من شاء من عباده بما احب من التفضيل ووجدوا في الشاهد من يعطي المحاويج من ماله فيعطى احدهم ما يغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو الف دينار ثم يعطى آخر مثله الف دينار ويزيده الف دينار فانه وان حابى فحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوروه اذا فعله وهو تعالى بلا شك أتم ملكا لكل ما في العالم من أحدنا لما خوله عز وجل من الاملاك ونقضوا اصلهم في ان ما حسن في الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من الباري جل وعز ووجدوا في الشاهد من يدخر أموالا عظيمة فيؤدي جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخيلا فلأي شيء منعوا ربهم جل وعز من مثل ذلك وجوروه وبخلوه اذا لم يعط أفضل ما عنده وهذا كله بين لا اشكال فيه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسألهم عن قول لهم عجيب وهو انهم اجازوا أن يخلق الله عز وجل أضعف الاشياء ثم لا يكون قادراً على أضعف منه فهكذا هو قادر فاعل اصلح الاشياء ثم لا يكون قادراً على اصلح منه وعلى اصغر الاشياء وهو الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقدر على اصغر منه

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا ايجاب منهم لتناهي قدرة الله عز وجل وتعجيز له تعالى وايجاب لحدوثه وابطال الاهيته اذ التناهي في القوة صفة المحدث المخلوق لا صفة الخالق الذي لم يزل وهذا خلاف القرآن واجماع المسلمين وتشبيه الله تعالى بخلقه في تناهي قدرتهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذي لا يتجزأ وبالقياس لزوماً صحيحاً لا انفكاك لهم منه ونعوذ بالله من هذه المقالات المهلكة بل نقول ان الله تعالى كل ما خلق شيئاً صغيراً أوضعيفاً أو كبيراً أو قوياً أو مصلحة فانه ابداً بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه وأضعف

تبدل أولا في الاين فاذا الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه بالقوة او العزيمة أوالآلة فكانت الحركة في قوة الفاعل أو عزيمته أو آلته أولا وفي الفعل بالعرض على ان الحركة ان كانت خروجاً عن هيئة فهي عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فإذاً لا حركة بالذات الا في الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشيء بحيث لا يجوز أن يكون على ما هو عليه من أينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة في ما من شأنه أن توجد فيه وهذا العدم له معنى ما ويمكن أن يرسم وفرق بين عدم القرنين في الانسان وهو السلب المطلق عقداً وقولا و بين عدم المشي له فهو حالة مقابلة للمشي عند ارتفاع علة المشي وله وجود ما بنحو من الانحاء وله علة بنحو والمشي علة بالعرض لذلك العدم فالمعدوم معلول بالعرض فموجود بالعرض ثم اعلم ان كل حركة توجد في الجسم فانما توجد لعلة محركة اذ لو تحرك بذاته وبما هو جسم لكان كل جسم متحركا فيجب أن يكون المحرك معنى زائداً على هيولي الجسمية وصورتها ولا يخلو اما أن يكون ذلك المعنى في الجسم واما

وأقوى وأصلح

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسألهم ايقدر الله تعالى على ما لو فعله لكفر الناس كلهم فان قالوا لا لحقوا بعلى الاسواري وهم لا يقولون بهذا ولو قالوه لا كذبهم الله تعالى اذ يقول * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض * وبقوله تعالى * ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة * وان قالوا نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بانه تعالى يقدر على الشر ولا يقدر على الخير هذه مصيبة على اصولهم ولزمهم أيضاً فساد اصلهم في قولهم ان من قدر على شيء قدر على ضده لانهم يقولون ان الله تعالى يقدر على ما يكفر الناس كلهم عنده ولا يقدر على ما يؤمن جميعهم عنده

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسأل من قال منهم انه تعالى يقدر على مثل ما فعل من الصلاح بلا نهاية لا على اكثر من ذلك فنقول لهم ان على اصولكم لم تنفكوا من تجويز الباري جل وعز لان بضرورة الحس ندري انه اذا استضافت المصالح بعضها الى بعض كانت أصلح من انفراد كل مصلحة عن الاخرى فاذ هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعباده فقد لزمه ما الزمتموه لو كان قادراً على اصلح مما فعل ولم يفعله فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل ذلك مقدار يصلح به من اعطيه فاذا استضافت اليه امثاله كان ضرراً قال علي رضي الله عنه ولم يقل قط ذو عقل ومعرفة بحقايق الامور ان غذاء كذا مصلحة جملة وعلى كل حال ولا ان الاكل مصلحة ابداً وعلى الجملة ولا ان الشراب مصلحة بكل وجه ابداً وانما الحق ان مقداراً من الدواء مصلحة لعلة كذا فقط فان زاد أو نقص أو تعدى به تلك العلة كان ضرراً وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة في حال ما وبقدر ما فما زاد أو تعدى به وقته كان ضرراً وما نقص عن الكفاية كان ضررا ليس اطلاق اسم الصلاح في شيء من

ذلك

أن لا يكون فان كان المحرك مفارقاً فلا بد لتحريكه من معنى في الاسم قابل لجهة التحريك والتغير ثم المتحرك لمعنى في ذاته يسمى متحركا لذاته وذلك اما أن تكون العلة الموجودة فيه يصح عنه أن يحرك تارة ولا تحرك أخرى فيسمى متحركا بالاختيار واما أن لا يصح فيسمى متحركا بالطبع والمتحرك بالطبع لا يجوز أن يتحرك وهو على حالته الطبيعية لان كل ما اقتضاه طبيعة الشيء لذاته ليس يمكن أن يفارقه الا والطبيعة قد فسدت وكل حركة يتعين في الجسم فانما يمكن أن يفارق والطبيعة لم تبطل لكن الطبيعة انما تقتضي الحركة للعود الى حالتها الطبيعية فاذا عادت ارتفع الموجب للحركة وامتنع أن يتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينبغي أن تكون مستقيمة ان كانت في المكان لانها لا تكون الا لميل طبيعي وكل ميل طبيعي فعلى أقرب المسافة وكل ماهو على أقرب المسافة فهو على خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة الوضعية فان كل حركة طبيعية فانها تهرب عن حالة غير طبيعية ولا يجوز أن يكون فيه قصد طبيعي بالعود الى ما فارقه بالهرب اذ لا

ذلك اولى من اطلاق اسم الضرر لان كلا الامرين موجود في ذلك كما ذكرنا وليس الصلاح من الله عز وجل للعبد والهدى له والخير من قبله عز وجل كذلك بل على الاطلاق والجملة وعلى كل حال بل كلما زاد الصلاح وكثر وزاد الهدى وكبر وزاد الخير وكبر فهو افضل فان قالوا نجد الصلاة والصيام اثماً في وقت ما واجرا في آخر قلنا ما كان من هذا منهياً عنه فليس صلاحاً البتة ولا هو هدى ولا خير بل هو اثم وخذلان وضلال وليس في هذا كلامنا كم لكن فيما هو صلاح حقيقة وهدى حقيقة وخير حقيقة وهذا مالا مخلص لهم منه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال اصحاب الاصلح منهم ان من علم الله تعالى انه يؤمن من الاطفال ان عاش أو يسلم من الكفار ان عاش أو يتوب من الفساق ان عاش فانه لا يجوز البتة ان يميته الله قبل ذلك قالوا وكذلك من علم الله تعالى انه ان عاش فعل خيراً فلا يجوز البتة ان يميته الله قبل فعله قالوا ولا يميت الله تعالى احداً الا وهو يدري انه ان ابقاه طرفة عين فما زاد فانه لا يفعل شيئاً من الخير أصلاً بل يكفر أو يفسق ولا بد

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا من طوامهم التي جمعت الكفر والسحق ولم ينفكوا بها فما فروا عنه من تجوير الباري تعالى بزعمهم واما الكفر فانه يلزمهم ان ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بلغ لكفر أو فسق وليت شعري اذ هذا عندهم كما زعموا فلم أمات بعضهم أثر ولادته ثم آخر بعد ساعة ثم يوم ثم يومين وهكذا شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام الى ان أمات بعضهم قبل بلوغه بيسير وكلهم عندهم سواء في انهم لو عاشوا لكفروا أو فسقوا كلهم واذ عني بهم هذه العناية فلم أبقى من الاطفال من درى انه يكفر ويفسق نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق في الفهم كالفيومي سعيد بن يوسف والمعمس داود بن قزوان وابراهيم البغدادي وأبي كثير الطبراني متكلمي اليهود وأبي ربطه اليعقوبي ومقرونيش

اختيار لها وقد تحقق العود فهي اذاً غير طبيعية فهي اذاً عن اختيار أو ارادة ولو كانت عن قسر فلا بد أن ترجع الى الطبع أو الاختيار وأما الحركات في أنفسها فيتطرق اليها الشدة والضعف فيتطرق اليها السرعة والبطء لايتخلل سكنات وهي قد تكون واحدة بالجنس اذا وقعت في مقولة واحدة أو في جنس واحد من الاجناس التي تحت تلك المقولة وقد تكون واحدة بالنوع وذلك اذا كانت ذات جهة مفروضة عن جهة واحدة الى جهة واحدة في نوع واحد وفي زمن مساو مثل تبيض بالتبيض وقد تكون واحدة بالشخص وذلك اذا كانت عن متحرك واحد بالشخص في زمان واحد ووحدتها بوجود الاتصال فيها والحركات المتفقة في النوع لا تتضاد واما تتطابق الحركات فيعنى بها التي لا يجوز أن يقال لبعضها اسرع من بعض أو ابطأ أو مساو والاسرع هو الذي يقطع شيئاً مساويا لما يقطعه الآخر في زمان أقصر وضده الابطأ والمساوى معلوم وقد يكون التطابق في القوة وقد يكون بالفعل وقد يكون بالتخيل واما تضاد الحركات فان الضدين هما اللذان موضوعهما واحد وهما ذاتان يستحيل

الملكي من متكلمي النصاري وقردان بخت الثاني حتى أضلوا كثيراً بشبههم وتمويهاتهم ومخارقهم ولا سبيل الى وجود فرق أصلاً وهذا محاباة وجور على اصولهم ثم نجده تعالى قدعذب بعض هؤلاءالاطفال باليتم والقمل والعرى والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والاوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفه مخدوم منعم حتى يموت كذلك ولعلهما لاب وام وكذلك يلزمهم ان أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسائر الصحابة رضي الله عنهم نعم ومحمداً صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى وابراهيم وسائر الرسل عليهم الصلوة والسلام ان كل واحد منهم لو عاش طرفة عين على الوقت الذي مات فيه لكفر أو فسق ولزمهم مثل هذا في جبريل وميكائيل وحملة العرش عليهم السلام ان كانوا يقولون بانهم يموتون فان تمادوا على هذا كفروا وقد صرح بعضهم بذلك جهاراً وان أبو تناقضوا ولزمهم ان الله تعالى يميت من يدري انه يزداد خيراً ويبقى من يدري انه يكفر وهذا عندهم على اصولهم عين الظلم والعبث ﴿ قال ابو محمد ﴾ وأجاب بعضهم في هذا السؤال بان قال ان النبي صلى الله عليه وسلم امتحنه الله عز وجل قبل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منه لو عاش الى يوم القيمة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا جنون ناهيك به لوجوه أولها انه محاباة مجردة له عليه السلام على غيره وهلا فعل ذلك بغيره وعجل راحتهم من الدنيا ونكدها وثانيها ان هذا القول كذب بحت وذلك ان المحن في العالم معروفة وهي اما في الجسم بالعلل واما في المال بالاتلاف واما في النفوس بالخوف والهوان والهم بالاهل والاحبة والقطع دون الامل لا محنة في العالم تخرج عن هذه الوجوه الا المحنة في الدين فقط نعوذ بالله من ذلك فاما المحنة في الجسم فكذبوا وما مات عليه السلام الا سليم الاعضاء سويها معافى من مثل محنة ايوب عليه السلام وسائر اهل البلاء نعوذ

بالله

أن يجتمعا فيه و بينهما غاية الخلاف فتضاد الحركات ليس لتضاد المتحركين ولا بالزمان ولا لتضاد مايتحرك فيه بل تضادها هو بتضاد الاطراف والجهات فعلى هذا لا تضاد بين الحركة المستقيمة والحركة المستديرة المكانية لانهما لايتضادان في الجهات بل المستديرة لا جهة فيها بالفعل لانه متصل واحد فالتضاد في الحركة المكانية المستقيمة يتصور فالهابطة ضد الصاعدة والمتيامنة ضد المتياسرة وأماالتقابل بين الحركة والسكون فهو كتقابل العدم والملكة وقد بينا أن ليس كل عدم هو السكون بل هو عدم ما من شأنه أن يتحرك ويختص ذلك بالمكان الذي يتأتى فيه الحركة والسكون في المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه لا الحركة اليه بل انما كان هذا السكون استكمالا لها واذا عرفت ماذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بأن تقول كل حركة تفرض في مسافة على مقدار من السرعة وأخرى معها على مقدارها وابتدأتا معاً فانهما يقطعان المسافة معاً وان ابتدأ أحدهما ولم يبتدأ الآخر ولكن تركا الحركة معاً فان أحدهما يقطع دون ما يقطعه الاول وان ابتدأ معه بطئ واتفقا في الاخذ والترك وجد البطئ

بالله منه واما في المال فما شغله الله عز وجل منه بما يقتضي محنته في فضوله ولا احوجه الى احد بل اقامه على حد الغني بالقوت ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقر به من ربه عز وجل واما النفس فاي محنة لمن قال الله عز وجل له *والله يعصمك من الناس* ولمن رفع له ذكره وضمن له اظهار دينه على الدين كله ولو كره اعداؤه وجعل شانئه الابتر واعزه بالنصر على كل عدو فاي خوف واي هوان يتوقعه عليه السلام واما اهله واحبته فاخترم بعضهم فأجره فيهم كابراهيم ابنه وخديجة وحمزة وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضي الله عنهم واقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسائر امهات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلي والعباس والحسن والحسين واولاد العباس وعبد الله بن جعفر وابي سفيان بن الحارث رضي الله عن جميعهم فأي محنة هاهنا أليس قد اعاذ الله تعالى من مثل محنة حبيب بن عدي سمية ام عمار رضي الله عنهم أليس من قتل من الانبياء عليهم السلام ومن انشر بالمنشار واحرق بالنيران اعظم محنة ومن خالفه قومه فلم يتبعه منهم الا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم اعظم محنة وهل هذه الا مكابرة وحماقة وقحة واي محنة تكون لمن اوجب الله عز وجل على الجن والانس طاعته واكرمه برسالته وأمنه من كل الناس واكب عدوه اوجهه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهل هذه الا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجردة له على جميع الانس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنث قبله زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي العدوي وقيس بن ساعدة الايادي وغيرهما فما اكرموا بشيء من هذا ولكن نوك المعتزلة ليس عليه قياس

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومما سئلوا عنه ان قيل لهم أليس قد علم الله تعالى ان فرعون والكفار ان أعاشهم كفروا فمن قولهم نعم فيقال لهم فلم أبقاهم

قد قطع أقل والسريع أكثر وكان بين أخذ السريع الاول وتركه امكان قطع مسافة معينة بسرعة معينة وأقل منها ببطيء معين وبين أخذ السريع الثاني وتركه امكان أقل من ذلك بتلك السرعة المعينة يكون ذلك الامكان طابق جزأ من الاول ولم يطابق جزأ مقتضيا وكان من شأن هذا الامكان التقضي لانه لو ثبتت الحركات بحال واحدة لكان يقطع المتفقات في السرعة أيـ وقت ابتدأت وتركت مسافة واحدة بعينها ولما كان قبل امكان أقل من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان يتعينان وكان ذا مقدار مطابق للحركة فاذا هاهنا مقدار للحركات مطابق لها وكل ماطابق للحركات فهو متصل ويقتضى الاتصال متجدده وهو الذي نسميه الزمان ثم هو لابد وان يكون في مادة ومادته الحركة فهو مقدار الحركة واذا قدرت وقوع حركتين مختلفتين في العدم وكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد سبق ان الامكان والمقدار لا يتصور الا في موضع فليس الزمان محدثا حدوثا زمانيا بحيث يسبقه زمان لان كلامنا في ذلك الزمان بعينه وانما حدوثه

حتى كفروا واخترتم على قولكم من علم انه ان عاش كفر وهذا تخليط لا يعقل ونقول لهم أيضاً أيما كان أصلح للجميع لا سيما لاهل النار خاصة ان يخترعنا الله تعالى كلنا في الجنة كما فعل بالملائكة وحور العين أم ما فعل بنا من خلقنا في الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود في النار ﴿ قال أبو محمد ﴾ فلحوا عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد فقلنا لهم هبكم ان الامر كما قلتم فانما كان اصلح للجميع ان يعجل الله عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها أو يؤخر خلقنا حتى يخلقها ثم يخلقنا منها أم خلقه لنا حيث خلقنا فان عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهي القدرة ومشبهاً لخلقه وأبطلوا الاهيته وجعلوه محيزاً ضعيفاً وهذا كفر مجرد ونفي السؤال أيضاً مع ذلك بحسبه في ان يجعلنا كالملائكة وان يجعلنا كلنا انبياء كما فعل بعيسى ويحيى عليهما السلام وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة في ذلك مما يخرج هذا الامر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة والحكمة في خلق الله تعالى لافعال عباده وفي تكليفه الكافر والفاسق ما لا يطيق ثم يعذبهما على ذلك مما يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخلص لهم منه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ما جهلنا ذلك لكن نقطع على ان كل ما فعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وان من أراد اجراء افعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فقد الحدوا حظاً وضل وشبه الله عز وجل بخلقه لان الحكمة والعدل بيننا انما هما طاعة الله عز وجل فقط لا حكمة ولا عدل غير ذلك الا ما امرنا به اي شيء كان فقط واما الله تعالى فلا طاعة لاحد عليه فبطل ان تكون افعاله جارية على احكام العبيد المأمورين المربوبين المسؤلين عما يفعلون لكن افعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم

حدوث ابداع لا يسبقه الا مبدعه وكذلك ما يتعلق به الزمان ويطابقه فالزمان متصل يتهيأ أن ينقسم بالتوهم فاذا قسم ثبت منه انات وانقسم الى الماضي والمستقبل وكونهما فيه ككون أقسام العدد في العدد وكون الآن فيه كالوحدة في العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات في العدد والدهر هو المحيط بالزمان وأقسام الزمان ما فصل منه بالتوهم كالساعات والايام والشهور والاعوام وأما المكان فيقال مكان لشيء يكون محيطاً بالجسم ويقال لشيء يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاو للمتمكن مفارق له عند الحركة ومساوله وليس في المتمكن وكل هيولي وصورة فهو في المتمكن فليس المكان اذاً بهيولي وصورة وللابعاد التي يدعي انها مجردة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكن لا مع امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع جواز خلوها كما يظنه مثبتوا الخلاء ونقول في نفي الخلاء ان فرض خلاء خالي فليس هو لا شياء محضاً بل هو ذات ماله كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء آخر أقل منه أو اكثر ويقبل التجزئ في ذاته والمعدوم والا شيء ليس يوجد

له وان لا يسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى وقد خاب من خالف ما قال الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث علي اصولهم على ربهم تعالى عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك وكنا ايضاً نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وادخالنا الجنة بعد استحقاقنا لها اتم في النعمة وابلغ في اللذة وايضاً فلو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد على ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وايضاً فان الله تعالى قد علم ان بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كل ما قدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق اما قولهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك فاننا نقول وبالله تعالى نتأيد أكان الله تعالى قادر على ان يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا في ذلك اكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو كعلمنا ذلك ام كان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر على ذلك عجزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على امرنا ولا يقدر على غيره وهذا لا يكون الا لعرض داخل او لبنية متناهية القوة وهذا كفر مجرد وان قالوا كان الله قادراً على ذلك أقروا بانه عز وجل لم يفعل بهم اصلح ما عنده وان عنده اصلح مما فعل بهم وايضاً فان كانوا ارادوا بذلك ان اللذة تعقب البلاء والتعب اشد سروراً وآوا بلغ لزمهم ان يبطلوا نعم الجنة جملة لانه ليس نعيمها البتة مشوباً بالم ولا تعب وكل الم بعد العهد به فانه ينسى كما قال القائل :

كان الفتى لم يعر يوماً اذا اكتسى ولم يفتقر يوماً اذا ما تمولا

فلزم على هذا الاصل ان يحدد الله عز وجل لاهل الجنة آلاماً فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الاسلام ويلزمهم ايضاً ان يدخل النبيين

هكذا فليس الخلاء لاشيء فهو ذو كم وكل كم اما متصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحد المشترك بين أجزائه وقد تقرر في الخلاء حد مشترك فهو اذاً متصل الاجزاء منحازها في جهات فهو اذاً كم ذو وضع قابل للابعاد الثلاثة كالجسم الذي يطابقه وكأنه جسم تعليمي مفارق للمادة فنقول الخلاء المقدر اما أن يكون موضوعاً لذلك المقدار أو يكون الوضع والمقدار جزئين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار في التوهم كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقي متقدراً بنفسه فهو مقدار بنفسه لا لمقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذاً جسم فهو ملأ وأيضاً فان الخلاء يقبل الاتصال والانفصال وكل شيء يقبل الاتصال والانفصال فهو ذو مادة ونقول ان التمانع في محسوس بين الجسمين وليس التمانع هو من حيث المادة فان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الآخر وانما ينحاز الجسم عن الجسم لاجل صورة البعد فطباع الابعاد يأبي التداخل ويوجب المقاومة أو التنحي وأيضاً فان بعداً لو دخل بعداً فاما أن يكونا جميعاً

والصالحين النار ثم يخرجهم منها الى الجنة فتضاعف اللذة والسرور اضعافاً بذلك ويقال لهم كنا نكون كالملائكة والحور العين فان كانوا عالمين بمقدار ما هم فيه من نعيم ولذة فكنا نحن كذلك وان كانوا غير عالمين بمقدار ما هم فيه من اللذة والنعيم فهلا اعطاهم هذه المصلحة ولأي شيء منعهم هذه الفضيلة التي اعطاها لنا وهم اهل طاعته التي لم تشب بمعصية فان قالوا ان الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار في النار فقام لهم مقام الترهيب قلنا لهم وهل المحاباة والجور الا ان يعرض قوماً للمعاطب ويبقيهم حتى يكفروا فيخلدوا في النار ليوعظ بهم قوم آخرون خلقوا في الجنة والرفاهية سرمداً ابداً لا بد وهل عين الظلم الا هذا فيما بيننا على اصول المعتزلة وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث في صلاح الثلثين صلاح وهل في الشاهد عبث وسفه اعظم من عبث من يقول لآخر هات اضربك بالسياط واردك من جبل واصفع في قفاك وانتف سبالك وامشيك في طريق ذات شوك دون راحة في ذلك ولا منفعة ولكن لاعطيك بعد ذلك ملكاً عظيماً ولعلك في خلال ضربي اياك ان تتضرر فتقع في بئر منتنة لا تخرج منها ابداً فاي مصلحة عند ذي عقل في هذا الحال لا سيما وهو قادر على ان يعطيه ذلك الملك دون ان يعرضه لشيء من هذا البلاء فهذه صفة الله عز وجل عند المعتزلة لا يستحقون من ان يصفوا انفسهم بان يصفوا الله تعالى بالعدل والحكمة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأما نحن فنقول لو ان الله تعالى اخبرنا انه يفعل هذا كله بعينه ما انكرناه ولعلمنا انه منه تعالى حق وعدل وحكمة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن العجب ان يكون الله تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقاً لا نجوع فيه ابداً ولا نعطش ولا نبول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما في صدورنا من غل ثم لا يقدر على ان يخلقنا فيها ولا على ان يخلقنا خلقاً نلتذ معه بابتدائنا فيها كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد

فهل

موجودين أو معدومين أو أحدهما موجوداً والآخر معدوماً فان وجدا جميعاً فهما أزيد من الواحد وكل ماهو عظيم وهو أزيد فهو أعظم وان عدما جميعاً أو وجد أحدهما وعدم الآخر فليس مداخلة فاذا قيل جسم في خلاء فيكون بعداً في بعد وذلك محال ويقول في نفي النهاية عن الجسم ان كل موجود الذات ذا وضع وترتيب فهو متناه اذ لو كان غير متناه فاما أن يكون غير متناه من الاطراف كلها أو غير متناه من طرف فان كان غير متناه من طرف أمكن ان يفصل منه من الطرف المتناهي جزء بالتوهم فيوجد ذلك المقدار مع ذلك الجزء شيئاً على حدة و بانفراده شيئاً على حدة ثم يطبق بين الطرفين المتناهيين في التوهم فلا يخلو اما أن يكون بحيث يمتدان معاً متطابقين في الامتداد فيكون الزائد والناقص متساويين وهذا محال واما أن لا يمتد بل يقصر عنه فيكون متناهياً والفصل أيضاً كان متناهياً فيكون المجموع متناهياً فالاصل متناه واما اذا كان غير متناه من جميع الاطراف فلا يبعد أن يفرض ذا مقطع يتلاقى عليه الاجزاء ويكون طرفاً ونهاية ويكون الكلام في الاجزاء والجزئين كالكلام في الاول وبهذا يتأتى

فهل يفرق بين شيء من هذا الا من لا عقل له او مستخف بالباري
تعالى وبالدين وأما قولهم لو خلقنا الله تعالى في الجنة لكنا غير مستحقين
لذلك النعيم فانا نقول لهم اخبرونا عن الاعمال التي استحققتم بها الجنة
عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم ان من عملها فقد استحق الجنة ديناً
واجباً على ربه تعالى ام لم تعلموا ذلك ولا وجب ذلك الا حتى أعلمنا الله
عز وجل انه يفعل وجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال فان قالوا بالعقل
عرفنا استحقاق الجنة على هذه الاعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفروا
لانهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلوة والسلام
ولزمهم ان الله تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال لكن وجب
ذلك عليه حتما لا باختياره ولا بانه لو شاء غير ذلك لكان له وهذا
كفر مجرد وايضاً فان شريعة موسى عليه السلام في السبت وتحريم
الشحوم وغير ذلك قد كان الجنة جزاء على العمل بها ثم صارت الآن
جهنم جزاء على العمل بها فهل ها هنا الا ان الله تعالى اراد ذلك فقط ولو لم
يرد ذلك لم يجب من ذلك شيء فان قالوا بل ما علمنا استحقاق الجنة
بذلك الا بخبر الله تعالى انه حكم بذلك فقط قيل لهم فقد كان الله تعالى
قادراً على ان يخبرنا انه جعل الجنة حقاً لنا يخترعنا فيها كما فعل بالملائكة
وحور العين وايضاً فقد كذبوا في دعواهم استحقاق الجنة باعمالهم فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد ينجيه عمله او يدخله
الجنة عمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمة منه او كلاما هذا معناه وايضاً فبضرورة العقل ندري ان مازاد
على المماثلة في الجزاء فيما بيننا فانه تفضل مجرد في الاحسان وجور في
الاساءة هذا حكم المعهود في العقل فعلى أصول المعتزلة يلزمهم ان بقاء احدنا
في الجنة او في النار اكثر من مثل مدة زمن احسانه او اساءته جزاء على
ما سلف منه فضل مجرد وعقاب زايد على مقدار الجرم وقد فعله الله

البرهان على ان العدد المترتب لذات الموجود بالفعل متناه وان مالا يتناهى بهذا الوجه هو الذي اذا وجد وفرض انه يحتمل زيادة ونقصاناً وجب أن يلزم ذلك محال وأما اذا كانت أجزاء لا تتناهى وليست معاً وكانت في الماضي والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحداً قبل آخر أو بعده لا معاً أو كانت ذات عدد غير مترتب في الوضع ولا في الطبع فلا مانع عن وجوده معاً وذلك ان مالا ترتيب له في الوضع أو الطبع فلن تحتمل الانطباق ومالا وجود له معاً ففيه أبعد و يقول في اثبات القوى الجسمانية ونفي التناهي عن القوى الغير الجسمانية قال الاشياء التي يمتنع فيها وجود الغير المتناهي بالفعل فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فان العدد لا يتناهى أي بالقوة وكذلك الحركات لا تتناهى بالقوة لا القوة التي تخرج الى الفعل بل بمعنى ان الاعداد يتأتى أن تتزايد فلا يقف عند نهاية أخيرة واعلم ان القوى تختلف في الزيادة والنقصان بالاضافة الى شدة ظهور الفعل عنها أو الى عدة مايظهر عنها أو الى مدة بقاء الفعل وبينهما فرقان بعيد فان كل ما يكون زائداً بنوع الشدة يكون ناقصاً بنوع المدة

عز وجل بلا شك وهو عدل منه وحكمة وحق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما قولهم ان دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل اعلى درجة واسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق هذا خطأ محض لاننا قد علمنا ان هذا الحكم انما يقع بين الاكفاء والمتماثلين واما الله تعالى فليس له كفواً احد ومن كان عبداً لآخر فان اقبال السيد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة اسنى له واعلى واشرف لرتبته وارفع لدرجته من ان لا يعطيه شيئاً بمقدار ما يستحقه لخدمته ويستخبره اياه هذا ما لا ينكره الا معاند فكيف وليس لاحد على الله حق وحينئذ كل ما وهبه الله تعالى لاحد بين انبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما اخبر تعالى انه اوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقاً لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عز وجل واختصاص مبتدأ لو لم ينعم به عز وجل لم يجب عليه شئ منه لا يقول غير هذا الا مدخول الدين فاسد العقل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم يقرون ان الملائكة افضل من الانبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا في هذا ثم نقضوا هذا الاصل باصلهم هذا السخيف من قولهم ان من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والتقريب فنحن على قولهم افضل من الملائكة على جميعهم السلام وقد قالوا ان الملائكة افضل من الانبياء فعلى هذا التقرير يجب ان يكون نحن افضل من الملائكة بدرجة وافضل من النبيين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر واما قولهم انا لو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذر فاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق حتى لو كان ما يقولون لما منع من ذلك ان يخلقوا في الجنة ثم يطلعوا منها فيروا النار ويعاينوا وحشتها وهولها وقبحها ونفار النفوس عنها كالذي يعرض لنا عند الاطلاع على الغير ان العميقة المظلمة وان كنا قط لم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع

وكل قوة حركتها أشد فمدة حركتها أقصر وعدة حركتها أقصر ولا يجوز أن يكون قوة غير متناهية بحسب اعتبار الشدة لان مايظهر من الاحوال القابلة لها لايخلو اما أن يقبل الزيادة على ما ظهر فيكون متناهية عليه زيادة فيما أخذه واما أن لا يقبل فهو النهاية في الشدة فتلك قوة جسمانية متجزئة ومتناهية وأما الكلام في الجهات فمن المعلوم انا لوفرضنا خلاء فقط أو ابعاداً أو جسماً غيرمتناه فلا يمكن أن يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة فلا يكون فوق وسفل ويمين ويسار وقدام وخلف فالجهات انما هي تتصور في أجسام متناهية فتكون الجهات أيضاً متناهية ولذلك يتحقق اليها اشارة ولذاتها اختصاص وانفراد عن جهة أخرى واذا كانت الاجسام كرية فيكون تحدد الجهات على سبيل المحيط والمحاط والتضاد فيها على سبيل المركز والمحيط واذا كان الجسم المحدد محيطاً كفى لتحديد الطرفين لان الاحاطة تثبت المركز فتثبت غاية القرب منه وغاية البعد منه من غير حاجة الى جسم آخر واما ان فرض محاطاً لم يتحدد به وحده الجهات لان القرب يتحدد به والبعد منه يتحدد

فيها بل ذلك كان يكون ابلغ في التحذير من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين فيكون ذلك ادعى لهم الى الشكر والحمد والاغتباط بمكانهم واجتناب ما نهو عنه خوف مفارقة ما قد حصلوا عليه ثم نقول لهم ايضاً قولوا هذا فهم بعد دخولهم الجنة امباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم ام محظور عليهم لزمهم تمادي التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون او اخترعنا فيها على الحال التي تكون فيها يوم القيامة ولا فرق وكان يكون اصلح لجميعنا بلا شك فان قالوا قد سبقت الطاعة في الدنيا قيل لهم وكذلك كانت تسبق منهم في الجنة كالملائكة سواء بسواء وهم لا يقولون ان المعاصي والتضارب والتلاطم والتراكض والتشاتم مباح لهم في الجنة ولا يقولون هذا احد فيحتاج الى كسر هذا القول فان لجؤا الى قول ابي الهذيل ان اهل الجنة مضطرون لا مختارون قيل لهم وكنا نكون فيها كذلك ايضا كما نكون يوم القيامة فيها فهذا كان اصلح للجميع بلا شك وهذا مالا انفكاك لهم منه

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما قولهم ان الله علم ان بعضهم يكفر ولا بد فيجب عليه الخروج من الجنة قلنا لهم ايقدر الله على خلاف ما علم ام لا فان قالوا نعم يقدر ولكن لا يفعل اقروا انه فعل من ترك ابتدائنا في الجنة امضاء لما سبق في علمه غير ما كان اصلح لنا بلا شك ورجعوا الى الحق الذي هو قولنا انه تعالى فعل ما سبق في علمه من تكليف ما لا يطاق ومن خلقه تعالى الكفر والظلم وانعامه على من شاء وحده لا شريك له وتركوا قولهم في الاصلح وان قالوا لا يقدر على غير ما علم ان يفعله جعلوه مجبراً مضطراً عاجزاً متناهي القوة ضعيف القدرة محدثاً في اسوأ حالة منهم وهذا كفر وخلاف للقرآن ولاجماع المسلمين نعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسألهم أي مصلحة للحشرات والكلاب والبق

بجسم آخر لا خلاء وذلك لا ينتهي لا محالة الى محيط و يجب أن يكون الاجسام المستقيمة الحركة لا يتأخر عنها وجود الجهات لامكنتها وحركاتها بل الجهات تحصل بحركاتها فيجب أن يكون الجسم الذي يتحدد الجهات اليه جسماً متقدماً عليها ويكون احدى الجهات بالطبع غاية القرب منه وهو الفوق و يقابله غاية البعد منه وهو السفل وهذان بالطبع وسائر الجهات لا تكون واجبة في الاجسام بما هي أجسام بل بما هي حيوانات فيتميز فيها جهة القدام الذي اليه الحركة الاختيارية واليمين الذي منه مبدأ القوة والفوق اما بقياس فوق العالم واما الذي اليه أول حركة النشور مقابلاتها الخلف واليسار والسفل والفوق والسفل محدودان بطرف البعد الذي الاولى أن يسمى طولا واليمين واليسار بما الاولى أن يسمى عرضاً والقدام والخلف بما الاولى أن يسمى عمقاً

٭المقالة الثانية ٭ في الامور الطبيعية للاجسام وغير الطبيعية ومن المعلوم ان الاجسام تنقسم الى بسيطة ومركبة وان لكل جسم حيزا اما ضرورة فلا يخلو اما أن يكون كل حيز له طبيعياً أو منافياً لطبيعته أو لا طبيعياً ولا منافياً او بعضه طبيعياً وبعضه منافياً ويبطل أن يكون كل

والدود في خلقها حشرات ولم يخلقها ناساً مكلفين معرضين لدخول الجنة فان قالوا لو جعلها ناساً لـكفروا قيل لهم فقد جعل الـكفار ناساً فكفروا فهلا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا فكان اصلح لهم على قولكم وهذا ما لا مخلص منه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسألهم فنقول لهم اذا قلتم ان الله تعالى لا يقدر على لطف لو اتى به الـكفار لآمنوا ايماناً يستحقون معه الجنة لـكنه قادر على ان لا يضطرهم الى الايمان أخبرونا عن ايمانكم الذي تستحقون به الثواب هل يشوبه عندكم شك أم يمكن بوجه من الوجوه ان يكون عندكم باطلا فان قالوا نعم يشوبه شك ويمكن ان يكون باطلا أقروا على انفسهم بالـكفر وكفونا مؤنتهم وان قالوا لا يشوبه شك ولا يمكن ألبتة ان يكون باطلا قلنا لهم هذا هو الاضطرار بعينه ليست الضرورة في العلم شيئاً غير هذا انما هو معرفة لا يشوبها شك لا يمكن اختلاف ما عرف بها فهذا هو علم الضرورة نفسه وما عدا هذا فهو ظن وشك فان قالوا ان الاضطرار ما علم بالحواس أو باول العقل وما عداه فهو ما عرف بالاستدلال قلنا هذه دعوى فاسدة لانها بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمناه والحق الذي يعرف ضرورة وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسألهم ايما كان اصلح للعالم ان يكون برياً من السباع والافاعي والدواب العادية أو ان يكون فيه كما هي مسلطة على الناس وعلى سائر الحيوان وعلى الاطفال فان قالوا خلق الله الافاعي والسباع لخلق الحفر والحرث ومزجرة للكفار

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا من ظريف الجنون ولقد ضل بخلقتها جموع من المخذولين ممن جرى مجرى المعتزلة في ان يتعقبوا على الله عز وجل فعله كالمنانية والمجوس اللذين جعلوا الها خالقاً غير الحكيم العدل ثم نقول للمعتزلة ان كانت كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من

المصلحة

حيز له طبيعياً لانه يلزم منه أن يكون مفارقة كل مكان له خارجاً عن طبعه أوالتوجه الى كل مكان له ملائماً لطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف و بطل أن يكون كل حيز منافياً لطبعه لانه يلزم منه أن لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرك أيضاً وكيف يسكن أو يتحرك بالطبع. وكل مكان منافي لطبعه وبطل أن يكون كل مكان لاطبيعياً ولامنافياً لانا اذا اعتبرنا الجسم على حاله وقد ارتفع عنه العوارض فحينئذ لا بد له من حيز يختص به ويتميز اليه وذلك هوحيزه الطبيعي فلا يزول عنه الا بقسر قاسر ويتعين القسم الرابع ان بعض الاحياز له طبيعي و بعضه غير طبيعي وكذلك يقول في الشكل ان لكل جسم شكلا ما بالضرورة لتناهي حدوده وكل شكل فاما طبيعي له أو بقسر قاسر واذا رفعت القواسر في التوهم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان في نفسه متشابه الاجزاء فلا بد أن يكون شكله كرويا لان فعل الطبيعة في المادة واحد متشابه فلا يمكن أن يفعل في جزء زاوية وفي جزء خطاً مستقيما أو منحنياً فينبغي أن يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كرويا وأما المركبات فقد يكون

المصلحة اصلح وابلغ في الزجر والتحريف وكل هـذه الدعاوي منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ليست اجوبتهم فيها باصح من اجوبة المنانية والمجوس واصحاب التناسخ بل كلها جارية في ميدان واحد من انها كلها دعوى فاسدة بلا برهان بل البرهان ينقضها وكلها راجعة الى اصل واحد وهو تعليل افعال الله عز وجل الذي لا علة لها اصلا والحكم عليه بمثل الحكم على خلقه فيم يحسن منه ويقبح تعالى الله عن ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال لاصحاب الاصلح خاصة ما معنى دعائكم في العصمة وانتم تقولون ان الله تعالى قد عصم الكفار كما عصم المؤمنين فلم يعتصموا وما معنى دعائكم في الاعادة من الخذلان وفي الرغبة في التوفيق وانتم تقولون انه ليس عنده افضل مما قد اعطاكموه ولا في قدرته زيادة على ما قد فعله بكم واي معنى لدعائكم في التوبة وانتم تقطعون على انه لا يقدر على ان يعينكم في ذلك بمقدار شعرة زائدة على ما قد اعطاكموه فهل دعاؤكم في ذلك الاضلال وهزل وهزء كمن دعا الى الله ان يجعله من بني آدم او ان يجعل النبي نبياً والحجر حجراً وهل بين الامرين فرق فان قالوا ان الدعا عمل امرنا الله تعالى به فقيل لهم ان اوامره تعالى من جملة افعاله بلا شك وافعاله عندكم تجري على ما يحسن في العقل ويقبح فيه في المعهود وفيما بيننا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا انه لا يحسن في الشاهد بوجه من الوجوه أن يأمر احداً يرغب اليه فيما ليس بيده ولا فيما قد اعطاه اياه وكلا هذين الوجهين عبث وسفه وهم مقرون باجمعهم ان الله تعالى حكم بهذا وفعله وهو امره لهم بالدعاء اليه امافيما لا يوصف عندهم بالقدرة عليه واما فيما قد اعطاهم اياه وهو عندهم عدل وحكمة فنقضوا اصلهم الفاسد بلا شك واما نحن فاننا نقول ان الدعاء عمل امرنا الله عز وجل به فيما يقدر عليه ثم ان شاء اعطانا ما سألناه وان شاء منعنا اياه لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل

اشكالها غير كروية لاختلاف أجزائها فالاجسام السموية كلها كروية واذا تشابهت أجزاؤها وقواها كان حيزها الطبيعي وجهاتها واحدة فلا يتصور أرضان في وسطين في عالمين ولا ناران في أفقين بل لا يتصور عالمان لانه قد ثبت ان العالم بأسره كروى الشكل فلو قدرنا كرويان أحدهما بجنب الآخر كان بينهما خلاء ولا يتصلان الا بجزء واحد لا ينقسم وقد تقدم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم اعتبر ذاته من غير عارض بل من حيث هو جسم في حيز فهو اما أن يكون متحركا واما ان يكون ساكنا وذلك ما نعنيه بالحركة الطبيعية والسكون الطبيعي فيقول ان كان الجسم بسيطا كانت اجزاؤه متشابهة واجزاء ما يلاقيه واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولى بأن يختص ببعض اجزاء المكان من بعض فلم يجب ان يكون شيء منها له طبيعيا فلا يمتنع ان يكون على غير ذلك الطبع بل في طباعه ان يزول عن ذلك الوضع او الاين بالقوة وكل جسم لا ميل له في طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فبالضرورة في طباعه حركة ما اما لكله واما

﴿ قال ابو محمد ﴾ وان في ابتداء الله عز وجل كتابه المنزل الينا بقوله تعالى آمراً لنا ان نقوله راضياً منا ان نقوله * إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * ثم ختمه تعالى كتابه آمراً لنا ان نقوله راضياً بقوله * قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس * لا بين بيان في تكذيب القائلين بانه ليس عند الله تعالى اصلح مما فعل وانه غير قادر على كف وسوسة الشيطان ولا على هدى الكفار هدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين لأنه عز وجل نص على انه هو المطلوب منه العون لنا والهدى الى صراط من خصه بالنعمة عليه لا الى صراط من غضب عليه تعالى وضل فلولا انه تعالى قادراً على الهدى المذكور وان عنده عوناً على ذلك لا يؤتيه الا من شاء دون من لم يشأ وانه تعالى انعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخرين لما امرنا ان نسأله من ذلك ما ليس يقدر عليه او ما قد اعطاه اياه ونص تعالى على انه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا انه تعالى يصرفها عمن يشاء لما امرنا عز وجل ان نستعيذ مما لا يقدر على الاعاذة منه او مما قد اعاذنا بعد منه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا مخلص لهم من هذا اصلا ثم نسألهم اي مصلحة للعصاة في ان جعل بعض حركاتهم وسكونهم كبائر يستحقون عليها النار وجعل بعض حركاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ولقد كان اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة فان قالوا هذا أزجر عن المعاصي واصلح قيل لهم فهلا اذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجرة فهو ابلغ في الزجر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد نص الله تعالى في القرآن آيات كثيرة لا يحتمل تأويلاً بتكذيب المعجزين لربهم تعالى وليس يمكنهم وجود آية ولا سنة يتعلقون بها أصلاً فمنها قوله تعالى * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء

وتهدي

لاجزائه حتى يكون متحركاً في الوضع بحركة الاجزاء واذا صح ان كل قابل تحريك ففيه مبدأ ميل ثم لايخلو اما أن يكون على الاستقامة أو على الاستدارة والاجسام السموية لا تقبل الحركة المستقيمة كما سبق فهي متحركة على الاستدارة وقد بينا استناد حركاتها الى مباديها وأما الكيف فيقول أولا ان الاجسام السموية ليست موادها مشتركة بل هي مختلفة بالطبع كما ان صورها مختلفة ومادة الواحدة منها لا يصلح أن يتطور بصورة الاخرى ولو أمكن ذلك كذلك لقبلت الحركة المستقيمة وهو محال فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر فان مادتها مشتركة وصورها مختلفة وهي تنقسم الى حار يابس كالنار والى حار رطب كالهواء والى باردرطب كالماء والى بارد يابس كالارض وهذه أراض فيها لاصور و يقبل الاستحالة بمضها الى بعض ويقبل النمو والذبول ويقبل الآثار من الاجسام السموية اما الكيفيات فالحرارة والبرودة فاعلتان فالحار هو الذي يغير جسما آخر بالتحليل والخلخلة بحيث يؤلم الحاس منه والبارد هو الذي يغيرجسما بالتعقيد والتكثير بحيث يؤلم الحاس منه

وتهدي من تشآء * أفلم يكن عنده أصلح من فتنة يضل بها بعض خلقه حاشى لله من هذا الكفر والتعجيز وقال تعالى حاكياً عن الذين اثنى عليهم من مؤمني الجن انهم قالوا *وأنا لا ندري اشرار يد بمن في الارض أم اراد بهم ربهم رشدا *

﴿قال أبو محمد﴾ وصدقهم الله عز وجل في ذلك اذ لو انكره لما أورده مثنياً عليهم بذلك وهذا في غاية البيان الذي قد هلك من خالفه وبطل به قول الضلال الملحدين القائلين ان الله تعالى أراد رشد فرعون وابليس وانه ليس عنده أصلح ولا يقدر لهما على هدى أصلاً * وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس * فليت شعري اي مصلحة لهم في ان يذرأهم لجهنم نعوذ بالله من هذه المصلحة * وقال تعالى *وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فصح انه تعالى هو الذي يقي السيئات وان الذي رحمه هو الذي وقاه السيئات لان من لم يقه السيئات فلم يرحمه وبلا شك ان من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح مما فعل بمن لم يقه إياها هذا مع *قوله تعالى *ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولو شآء ربك لأمن من في الارض كلهم جميعاً *ولا يشك من لدماغه أقل سلامة او في وجهه من برد الحياء شيء في ان هذا كان أصلح بالكفار من إدخالهم النار بان لا يؤتيهم ذلك الهدى وان كانوا كما يقولون من دخولهم الجنة بغير استحقاق * وقال تعالى * وحبب اليكم الأيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم *فليت شعري أين فعله تعالى بهؤلآء . نسأل الله ان يجعلنا منهم . من فعله بالذين قال فيهم انه ختم على قلوبهم وزين لهم سوء أعمالهم وجعل صدورهم ضيقة حرجة ان من ساوى بين الامرين وقال ان الله تعالى لم يعط هؤلآء الا ما أعطى هؤلآء . ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمد وابراهيم وموسى

وأما الرطوبة واليبوسة منفعلتان فالرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع واليابس هو عسر القبول لذلك فبسائط الاجسام المركبة تختلف وتتمايز بهذه القوى الاربع ولا يوجد شيء منها عديماً الواحدة من هذه وليست هذه صوراً مقومة للاجسام لكنها اذا تركت وطباعها ولم يمنعها مانع من خارج ظهر منها اما سكون أو ميل أو حركة فلذلك قيل قوة طبيعية وقيل النار حارة بالطبع والسماء متحركة بالطبع فعرفت الاحياز الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان اطلاق الطبيعية عليها بأي وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير وبينها مادة مشتركة والاعتبار في ذلك بالمشاهدة فانا نرى الماء العذب انعقد حجرًا جلمدًا والحجر يكلس فيعود رمادًا وتدام الحيلة حتى تصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد هواء صحوًا يغلظ دفعة فيستحيل اكثره أو كله ماء وبردًا وثلجًا وتضع الجمد في كوز صفر وتجد من الماء المجتمع على سطحه كالقطر ولا يمكن أن يكون ذاك بالرشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسه الجمد وكان

وعيسى ويحيى والملائكة عليهم السلام الا ماأعطى إبليس وفرعون وأبا جهل وأبا لهب والذي حاجّ ابراهيم في ربه واليهود والنصارى والمجوس والمتقبلين والشرط والبغائيين والعواهر وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد بل سوى في التوفيق بين جميعهم ولم يقدر لهم على مزيد من الصلاح لقليل الحياء عديم الدين وما جوابه الا قوله تعالى * ان ربك لبالمرصاد * وقال عز وجل * كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين *

﴿ قال أبو محمد ﴾ فأيما كان أصلح للكفار المخلدين في النار ان يكونوا مع المؤمنين امة واحدة لا عذاب عليهم أم بعثة الرسل اليهم وهو عز وجل يدري انهم لا يؤمنون فيكون ذلك سبباً الى تخليدهم في جهنم وقال تعالى * وأملي لهم ان كيدي متين * وقال تعالى * ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين * وقال تعالى * أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون * وقال تعالى * سنستدرجهم من حيث لا يعلمون *

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا غاية البيان في ان الله عز وجل ارادبهم وفعل بهم ما فيه فساد اديانهم وهلا كهم الذي هو ضد الصلاح والا فاي مصلحة لهم في ان يستدرجوا الى البلاد من حيث لا يعلمون وفي الاملاء لهم ليزدادوا إثماً ونص تعالى ان كل ذلك الذي فعله ليس مسارعة لهم في الخير فبطل قول هؤلاء الهلكي جملة والحمد لله رب العالمين وقال تعالى * واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً * فهل بعد هذا بيان في ان الله عز وجل اراد هلا كهم ودمارهم ولم يرد صلاحهم فامر مترفيها باوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميراً فايما كان اصلح لهم ان لا يؤمروا فيسلموا اوان يؤمروا وهو تعالى يدري انهم لا يأتمرون فيدخلون النار فان قالوا فاحملوا قوله

تعالى

فوق مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارًا والكوز مملوءًا ويجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسه الجمد وقد يدفن القدح في جمد محفور حفرًا مهندمًا ويسد رأسه عليه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع في الماء الحار الذي يغلي مدة واستد رأسه لم يجتمع شيء وليس ذلك الالان الهواء الخارج أو الداخل قد استحال ماء فبين الماء والهواء مادة مشتركة وقد يستحيل الهواء نارًا وهو ما نشاهد من آلات حاقنة مع تحريك شديد على ضورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل في الخشب وغيره وليس ذلك على طريق الانجذاب لان النار لا تتحرك الا على الاستقامة الى العلو ولا على طريق الكمون اذ من المستحيل أن يكون في ذلك الخشب من النار الكامنة ماله ذلك القدر الذي في الجمرة ولا يحرق والكون أجمع لها والمنتشر أضعف تأثيرًا من المشتعل فتعين انه هواء اشتعل نارًا فبين النار والهواء مادة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للكبر والصغر فلها مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض في الهيولي والكبر والصغر اعراض في الكميات وقد نشاهد ذلك اذا أغلى الماء انتفخ وتخلخل والخمر ينتفخ

تعالى امرنا مترفيها على ظاهره قلنا نعم هكذا نقول ولم يقل تعالى انه امرهم بالفسق وانما قال تعالى امرناهم فقط وقد نص تعالى على انه لا يأمر بالفحشاء فصح قولنا ايضاً وقال عز وجل * وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم *فنص تعالى على ان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو تولوا لا بدل قوما غيرهم لا يكونون امثالهم وبالضرورة نعلم انه عز وجل انما اراد خيرا منهم فقد صح انه عزوجل قادر على ان يخلق اصلح منهم وقال تعالى * انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم *وفي هذا كفاية وقال تعالى *عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن *فهل في البيان في ان الله تعالي قادر على ان يفعل اصلح مما فعل وان عنده تعالى اصلح مما اعطى خلقه ابين او اوضح او اصح من اخباره تعالى انه قادر على ان يبدل نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو احب الناس اليه خيرا من الازواج اللواتي اعطاه واللواتي هن خير الناس بعد الانبياء عليهم السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الاصلح في انه تعالى لا يقدر على اصلح مما فعل بعباده

﴿ قال ابو محمد ﴾ نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ونسأله الهدى الذي حرمهم اياه وكان قادراً على ان يتفضل عليهم به فلم يرد وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ كل من منع قدرة الله عز وجل عن شي مما ذكرنا فلا شك في كفره لانه عجز ربه تعالى وخالف جميع اهل الاسلام

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقالوا اذا كان عنده اصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا اياه وليس بخيلا وخلق افعال عباده وعذبهم عليها ولم يكن ظالماً فلا تنكروا على من قال انه جسم ولا يشبه خلقه وانه يقول غير الحق ولا يكون كاذباً

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه تعالى لم يقل انه جسم

في الدن حتى يتصعد عند الغليان وكذلك القمقمة الصياحة وهي اذا كانت مسدودة الرأس مملوءة بالماء فاوقدت النار تحتها انكسرت وتصعدت ولا سبب له الا ان الماء صار اكبر مما كان ولا جائز ان يقال ان النار طلبت جهة الفوق بطبعها فانه كان ينبغي ان ترفع الاناء وتطيره لا ان تكسره واذا كان الاناء صلباً خفيفاً كان رفعه أسهل من كسره فتعين ان السبب انبساط الماء في جميع الجوانب ودفعه سطح الاناء الى الجوانب فينفس الموضع الذي كان أضعف وله أمثلة أخرى تدل على ان المقدار يزيد و ينقص و يقول ان العناصر قابلة للتأثيرات السموية اما آثاراً محسوسة مثل نضج الفواكه ومد البحار وأظهرها الضوء والحرارة بواسطة الضوء والتحريك الى فوق بتوسط الحرارة والشمس ليست بحارة ولا متحركة الى فوق وانما تأثيراتها معدات للمادة في قبول الصورة من واهب الصور وقد يكون للقوي الفلكية تأثيرات خارجة من العنصريات والا فكيف يبرد الافيون أقوى مما يبرد الماء والجزؤ البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس في عيون العشى والنباتات بأدنى

ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيهاً له بخلقه ولم يقل تعالى ان يقول غير الحق بل قد ابطل ذلك وقطع بان قوله الحق فمن قال على الله ما لم يقله فهو ملحد كاذب على الله عز وجل وقد قال تعالى انه خلق كل شيء وخلقنا وما نعمل وانه لو شآء لهدى كل كافر وانه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك فقلنا ما قال من كل ذلك ولم نقل ما لم يقل وقلنا ما قام به البرهان العقلي من انه تعالى خالق كل موجود دونه وانه تعالى قادر على كل ما يسأل عنه وانه لا يوصف بشيء من صفات العباد لا ظلم ولا بخل ولا غير ذلك ولم نقل ما قد قام البرهان العقلي على انه باطل من انه جسم او انه يقول غير الحق وقال بعض اصحاب الاصلح وهو ابن بدد الغزال تلميذ محمد بن شبيب تلميذ النظام بلى ان عندالله الطافاً لو اتى بها الكفار لآمنوا ايماناً يستحقون معه الثواب الا ان الثواب الذي يستحقونه على ما فعل بهم اعظم واجل فلهذا منعهم تلك الالطاف ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تمويه ضعيف لأننا انما سألناهم هل يقدر الله تعالى على الطاف اذا اتى بها اهل الكفر آمنوا ايماناً يستحقون به مثل هذا الثواب الذي يؤتيهم على الايمان اليوم او اكثر من ذلك الثواب فلا بد له من ترك قوله او يعجز ربه تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونسأل جميع اصحاب الاصلح فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن كل من شاهد براهين الانبيآء عليهم السلام ممن لم يؤمن به وصحت عنده بنقل التواتر هل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها انها شواهد موجبة صدق نبوتهم ام لم يصح ذلك عندهم الا بغالب الظن وبصفة انها مما يمكن ان يكون تخييلاً او سحراً او نقلاً مدخولاً ولا بد من احد الوجهين فان قالوا بل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها وثبت ذلك في عقولهم بلا شك قلنا لهم هذا هو الاضطرار نفسه الذي لا اضطرار في العالم غيره وهذه صفة كل من

ثبت

تسخين ما لا تفعله النار بالتسخين يكون فوقه فتبين ان العناصر كيف قبلت الاستحالة والتغير والتأثير وتبين ما لها بالعنصر والجوهر * المقالة الثالثة في المركبات والآثار العلوية * قال ابن سينا ان العناصر الاربعة عساها لا توجد كلياتها صرفة بل يكون فيها اختلاط و يشبه ان يكون النار أبسطها في موضعها ثم الارض اما النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها لقوتها وأما الارض فلان نفوذ قوي ما يحيط بها في كليتها بأسرها كالقليل وعسى ان يكون باطنها القريب من المركز يقرب من البساطة ثم الارض على طبقات الطبقة القريبة من المركز والثانية الطين والثالثة بعضه ماء و بعضه طين جففه الشمس وهو البر والسبب في ان الماء غير محيط بالأرض ان الارض ينقلب ماء فتحصل وهدة والماء يستحيل أرضاً فتحصل ربوة والارض صلب وليس بسيال كالماء والهواء حتى ينصب بعض أجزائه الى بعض و يتشكل بالاستدارة وأما الهواء فهو أربع طبقات طبقة يلي الارض فيها مائية من البخارات وحرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيتحمى فيتعدى للحرارة الى ما يجاورها وطبقة لا يخلو عن رطوبة بخارية ولكن أقل حرارة

ثبت عنده شيء ثباتاً متيقناً كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم موت فلان وكون صفين والجمل وكسائر ما لم يشاهدا المرء بحواسه فالكل على هذا مضطرون الى الايمان لا مختارون له وان قالوا لم يصح عندهم شيء من ذلك هذه الصحة قلنا لهم فما قامت عليهم حجة النبوة قط ولا صحت لله تعالى عليهم حجة ومن كان هكذا فاختياره للايمان انما هو استحباب وتقليد واتباع لما مالت اليه نفسه وغلب في ظنه فقط وفي هذا بطلان جميع الشرائع وسقوط حجة الله تعالى وهذا كفر مجرد

﴿ الكلام في هل لله تعالى نعمة على الكفار أم لا ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف المتكلمون في هذه المسئلة فقالت المعتزلة ان نعم الله تعالى على الكفار في الدين والدنيا كنعمه على المؤمنين ولا فرق وهذا قول فاسد قد نقضناه آنفاً ولله الحمد وقالت طائفة أخرى ان الله تعالى لا نعمة له على كافر اصلا لا في دين ولا دنيا وقالت طائفة له تعالى عليهم نعم في الدنيا فاما في الدين فلا نعمة له عليهم فيه أصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ قال الله عز وجل * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فوجدنا الله عز وجل يقول * الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون * وقال تعالى * الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا عموم بالخطاب بانعام الله تعالى على كل من خلق الله تعالى وعموم لمن يشكر من الناس والكفار من جملة ماخلق الله تعالى بلا شك واما اهل الاسلام فكلهم شاكر لله تعالى بالاقرار به ثم يتفاضلون في الشكر وليس احد من الخلق يبلغ كل ما عليه من شكر الله تعالى فصح ان نعم الله تعالى في الدنيا على الكفار كهي على المؤمنين وربما

وطبقة هي هواء صرف صافي وطبقة دخانيــة لان الادخنة ترتفع الى الهواء وتقصد مركز النار فيكون كالمنتشر في السطح الاعلى من الهواء الى ان يتصعد فيحترق وأما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هي كالهواء المشف الذي لا لون له وان رأى لون النار فهي بما يخالطها من الدخان صارت ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية والعناصر بطبقاتها طوعها والكائنات الفاسدات تتولد من تأثيراتها والفلك وان لم يكن حاراً ولا بارداً فانه ينبعث منه في الاجرام السفلية حرارة و برودة بقوى تفيض منه اليها ونشاهد هذا من احراق شعاعه المنعكس عن المراي ولوكان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعه لكان كل ما هو أقرب الى العلو أسخن بل سبب الاحراق التفات شعاع الشمس المسخن لما يلتفت به فيسخن الهواء فالفلك اذا هيج باسخانه للحرارة يبخر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية واثار شيئاً بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار أقل مسافة صعود من الدخان لان الماء اذا سخن صار حاراً رطباً والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كانت

اكثر في بعضهم في بعض الاوقات قال تعالى * بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار * وهذا نص جلي على نعم الله تعالى على الكفار وانهم بدلوها كفراً فلا يحل لأحد ان يعارض كلام ربه تعالى برأيه الفاسد واما نعمة الله في الدين فان الله تعالى ارسل اليهم الرسل هادين لهم الى ما يرضى الله تعالى وهذه نعمة عامة بلا شك فلما كفروا وجحدوا نعم الله تعالى في ذلك اعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال عز وجل * ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم * وبالله تعالى نتأيد وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتاب الايمان

﴿ والكفر والطاعات والمعاصي والوعد والوعيد ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في ماهية الايمان فذهب قوم الى ان الايمان انما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وان اظهر اليهودية والنصرانية وسائر انواع الكفر بلسانه وعبادته فاذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز الجهم بن صفوان وابي الحسن الاشعري البصري واصحابهما وذهب قوم الى ان الايمان هو اقرار باللسان بالله تعالى وان اعتقد الكفر بقلبه فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام السجستاني واصحابه وذهب قوم الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان معاً فاذا عرف المرء الدين بقلبه واقر بلسانه فهو مسلم كامل الايمان والاسلام وان الاعمال لا تسمى ايماناً ولكنها شرائع الايمان وهذا قول ابي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء وذهب سائر الفقهاء واصحاب الحديث والمعتزله والشيعة وجميع الخوارج الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار به باللسان والعمل بالجوارح وان كل طاعة وعمل خير فرضاً كان او نافلة

حارة يابسة والحار الرطب أقرب الى طبيعة الهواء والحار اليابس أقرب الى طبيعة النار والبخار لا يجاوز مركز الهواء بل اذا وافى منقطع تأثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه يتعدى حيز الهواء حتى يوافي تخوم النار واذا احتبسا فيهما حدثت كائنات أخر فالدخان اذا وافى حيز النار اشتعل واذا اشتعل فربما سعى فيه الاشتعال فرأى كأنه كوكب يقذف به وربما احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود وربما كان غليظاً ممتداً وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار بدوران الفلك وكان ذنباً له وربما كان عريضاً فرأى كأنه لحية كوكب وربما حميت الادخنة في برد الهواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شيء من الدخان في تضاعيف الغيم وبرد صار ريحاً وسط الغيم فتحرك عنه بشدة يحصل منه صوت يسمى الرعد وان قويت حركته وتحريكه اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار ناراً مضيئة يسمى البرق وان كان المشتعل كثيفاً ثقيلاً محرقاً اندفع بمصادمات الغيم الى جهة الارض فيسمى صاعقة ولكنها نار لطيفة تنفذ في الثياب والاشياء

فهي ايمان وكل ما ازداد الانسان خيراً ازداد ايمانه وكلما عصى نقص ايمانه وقال محمد بن زياد الحريري الكوفي من آمن بالله عز وجل وكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمناً على الاطلاق ولا كافراً على الاطلاق ولكنه مؤمن كافراً معاً لانه آمن بالله تعالى فهو مؤمن وكافر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر

﴿ قال ابو محمد ﴾ فحجة الجهمية والكرامية والاشعرية ومن ذهب مذهب ابي حنيفة حجة واحدة وهي انهم قالوا انما انزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغة العرب خاطبنا الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان في اللغة هو التصديق فقط والعمل بالجوارح لا يسمى في اللغة تصديقاً فليس ايماناً قالوا والايمان هو التوحيد والاعمال لا تسمى توحيداً فليست ايماناً قالوا ولو كانت الاعمال توحيداً وايماناً لكان من ضيع شيئاً منها قد ضيع الايمان وفارق الايمان فوجب ان لا يكون مؤمناً قالوا وهذه الحجة انما تلزم اصحاب الحديث خاصة لا تلزم الخوارج ولا المعتزلة لانهم يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال

﴿ قال أبو محمد ﴾ مالهم حجة غير ما ذكرنا وكل ما ذكروا فلا حجة لهم فيه أصلاً لما نذكره ان شآء الله عز وجل

﴿ قال أبو محمد ﴾ ان الأيمان هو التصديق في اللغة فهذا حجة على الاشعرية والجهمية والكرامية مبطلة لاقوالهم ابطالاً تاماً كافياً لا يحتاج معه الى غيره وذلك قولهم ان الايمان في اللغة التي بها نزل القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الاطلاق وما سمي قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان ايماناً في لغة العرب وما قال قط عربي ان من صدق شيئاً بقلبه فأعلن التكذيب به بقلبه وبلسانه فأنه يسمى مصدقاً به اصلاً ولا مؤمناً به البتة وكذلك ما سمي قط التصديق باللسان دون التصديق بالقلب ايماناً في لغة العرب اصلاً على الاطلاق ولا يسمى

الرخوة ويتصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتى يذيب الذهب في الكيس ولا يحرق الكيس ويذيب ذهب المراكب ولا يحرق السير ولا يخلوا برق عن رعد لانهما جميعاً عن الحركة ولكن البصر أحد فقد يرى البرق ولا ينتهي الصوت الى السمع وقد يرى متقدماً ويسمع متأخراً واما البخار الصاعد فمنه مايلطف ويرتفع جداً ويتراكم ويكثر مادته في أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحاباً والقاطر مطراً ومنه مايقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعاً وينزل كما يوافيه برد الليلة سريعاً قبل ان يتراكم سحاباً وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي أعني السحاب فنزل وكان ثلجاً وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي أعني مادة الطل فنزل وكان صقيعاً وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء وكان برداً وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال مطراً ثم ربما

تصديقاً في لغة العرب ولا ايماناً مطلقاً الا من صدق بالشيء بقلبه ولسانه معاً فبطل تعلق الجهمية والأشعرية باللغة جملة ثم نقول لمن ذهب مذهب أبي حنيفة في أن الايمان انما هو التصديق باللسان والقلب معاً وتعلق في ذلك باللغة ان تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه أصلاً لان اللغة يجب فيها ضرورة ان كل من صدق بشيء فأنه مؤمن به وأنتم والاشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الايمان ولا تطلقونه على كل من صدق بشيء ما ولا تطلقونه الا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهي من صدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الامة على أنه لا يكون مؤمناً من لم يصدق به وهذا خلاف اللغة مجرد فان قالوا أن الشريعة اوجبت علينا هذا قلنا صدقتم فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه في اللغة كما فعلتم آنفاً سواً بسواء ولا فرق

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولو كان ما قالوه صحيحاً لوجب ان يطلق اسم الايمان لكل من صدق بشيء ما ولكان من صدق بالاهية الحلاج وبالاهية المسيح وبالاهية الاوثان مؤمنين لانهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لا يقوله أحد ممن ينتمي الى الاسلام بل قائله كافر عند جميعهم ونص القرآن بكفر من قال بهذا قال الله تعالى ﴿ ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ فهذا الله عز وجل شهد بان قوماً يؤمنون ببعض الرسل وبالله تعالى ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك ان يطلق عليهم اسم الايمان اصلا بل اوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقول محمد بن زياد الحريري لازم لهذه الطوائف

وقع على صقيل السحاب صور النيرات واضواؤها كما يقع في المرائي والجدران الصقيلة فيرى ذلك على أحوال مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وبعدها من الرائي وصفائها وكدورتها واستوائها وارتعاشها وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب فالهالة تحدث عن انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنير الى النير حيث يكون الغمام المتوسط لايخفى النير فيرى دائرة كأنه منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين النير ومافي داخلها ينفذ منه البصر الى النير ويريه غالباً على أجزاء الرش يجعلها كأنها غير موجودة وكان الغالب هناك هواء شفاف وأما القوس فان الغمام يكون في خلاف جهة النير فينعكس الزوايا عن الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المرآة فتقع الدائرة التي هي كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار بالناظر على بسيط الافق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فترى القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة

كلها لا ينفكون عنه على مقتضى اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان في انه كفر مجرد وانه خلاف للقرآن كما ذكرنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة واما قولهم انه لو كان العمل يسمى ايماناً لكان من ضيع منه شيئاً فقد اضاع الايمان ووجب ان لا يكون مؤمناً فاني قلت لبعضهم وقد ألزمني هذا الالزام كلاماً تفسيره وبسطه اننا لا نسمي في الشريعة اسماً الا بأن يأمرنا الله تعالى ان نسميه او يبيح لنا الله بالنص ان نسميه لاننا لا ندري مراد الله عز وجل منا الا بوحي وارد من عنده علينا ومع هذا فان الله عز وجل يقول منكراً لمن سمي في الشريعة شيئاً بغير إذنه عز وجل * ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى * وقال تعالى * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا * فصح انه لا تسمية مباحة لملك ولا لأنسي دون الله تعالى ومن خالف هذا فقد افترى على الله عز وجل الكذب وخالف القرآن فنحن لا نسمي مؤمناً الا من سماه الله عز وجل مؤمناً ولا نسقط الايمان بعد وجوبه الا عمن أسقطه الله عز وجل عنه ووجدنا بعض الاعمال التي سماها الله عز وجل ايماناً لم يسقط الله عز وجل اسم الايمان عن تاركها فلم يجز لنا ان نسقطه عنه لذلك لكن نقول انه ضيع بعض الايمان ولم يضيع كله كما جاء النص على ما نبين ان شاء الله تعالى

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا سقط كل ما موهت به هذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلا فلنقل بعون الله عز وجل وتأييده في بسط حجة القول الصحيح الذي هو قول جمهور اهل الاسلام ومذهب الجماعة واهل السنة واصحاب الآثار من ان الايمان عقد وقول وعمل وفي بسط

الموهومة أقل من نصف دائرة واما تحصيل الالوان على الجهة الشافية فان لم يستبن لي بعد والسحب ربما تفوقت وذابت وصارت ضباباً وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحاً وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج الانبساط الهواء بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى واكثر مايهيج لبرد الدخان المتصاعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التي تتبع الهواء العالي فانعطفت رياحاً والسموم ما كان منها محترقاً وأما الابخرة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيونا وان لم يدعها السخونة تبرد وكثرت وغلظت فلم ينفذ في مجاري مستحصفة فاجتمعت واندفعت بمرة فزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط أعالي وهدة في باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة في باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتأثير الكواكب حظ وذلك بحسب اختلاف المواضع والازمان والمواد فمن الجواهر ماهو قابل للاذابة

ما اجملناه مما نقدنا به قول المرجئة وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ اصل الايمان كما قلنا في اللغة التصديق بالقلب وباللسان معاً باي شيء صدق المصدق لا شيء دون شيء البتة الا ان الله عزوجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقع لفظة الايمان على العقد بالقلب لاشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء واوقعها ايضاً تعالى على الاقرار باللسان بتلك الاشياء خاصة لا بما سواها واوقعها ايضاً على اعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له تعالى فقط فلا يحل لاحد خلاف الله تعالى فيما انزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة واهلها فهو أملك بتصريفها وايقاع اسمائها على ما يشاء ولا عجب اعجب ممن ان وجد لامرئ القيس أولزهير أولجرير اوالحطيئة اوالطرماح اولاعرابي اسدى او سلمى او تميمي او من سائر ابناء العرب بوال على عقبيه لفظاً في شعر او نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات واهلها كلاماً لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل فى احالته عما اوقعه الله عليه واذا وجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فعل به مثل ذلك وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل ان يكرمه الله تعالى بالنبوة وايام كونه فتى بمكة بلا شك عند كل ذي مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وافصح فيها واولى بان يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفى وقيسى وربيعى وأيادي وتيمي وقضاعي وحميري فكيف بعد ان اختصه الله تعالى للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه واجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتى به فاي ضلال اضل ممن يسمع لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب يقول

فعلت فروع الايهقان واطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

فجعله حجة وابو زياد الكلابي يقول ما عرفت العرب قط الايهقان وانما

والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل أن يصلب زئبقاً ونفطاً وانطراقها لحياة رطوبتها وانعصيانها الجمود التام ومنها مالا يقبل ذلك وقد يتكوّن من العناصر أكوان أيضاً بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجاً اكثر اعتدالا من المعادن فيحصل في المركب قوة غاذية وقوة نامية وقوة مولدة وهذه القوى متمايزة بخصائصها

* المقالة الرابعة في النفوس وقواها *

اعلم ان النفس لجنس واحد ينقسم ثلاثة أقسام أحدها النباتية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي الى من جهة مايتولد ويربو ويتغذى والغذاء جسم من شأنه ان يشتبه بطبيعة الجسم الذي قيل انه غذاؤه ويزيد فيه مقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل والثاني النفس الحيوانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي الى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالادارة والثالث النفس الانسانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي الى من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي من جهة ما يدرك الامور الكلية وللنفس النباتية قوى ثلاث وهي الغاذية القوة التي تحيل جسماً آخر الى مشاكلة الجسم الذي فيه فيلصقه به ما يدل ما يتحلل عنه

هو اللهق بيت معروف ويسمع قول بن احمر كناه نقلق عن ماموسة الحجر وعلماء اللغة يقولون انه لم يعرف قط لاحد من العرب انه سمي الثار مأموسة الا ابن احمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال من الاعراب هذا حجر من خرب وسائر الشواذ عن معهود اللغة مما يكثر لو تكلفنا ذكره ونحتج بكل ذلك ثم يمتنع من ايقاع اسم الايمان على ما اوقعه عليه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله القرشي المسترضع في بني سعد بن بكر ويكابر في ذلك بكل باطل وبكل حماقة وبكل دفع للمشاهدة ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ فمن الآيات التي اوقع الله تعالى فيها اسم الايمان على اعمال الديانة قوله عز وجل * هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ والتصديق بالشيء أي شيء كان لا يمكن البتة ان يقع فيه زيادة ولا نقص وكذلك التصديق بالتوحيد والنبوة لا يمكن البتة ان يكون فيه زيادة ولا نقص لانه لا يخلو كل معتقد بقلبه او مقر بلسانه باي شيء اقر أو أي شيء اعتقد من احد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما أن يصدق بما اعتقد واقر واما ان يكذب بما اعتقد واما منزلة بينهما وهي الشك فمن المحال ان يكون انسان مكذباً بما يصدق به ومن المحال ان يشك احد فيما يصدق به فلم يبق الا انه مصدق بما اعتقد بلا شك ولا يجوز ان يكون تصديق واحد اكثر من تصديق آخر لان أحد التصديقين اذا دخلته داخلة فبالضرورة يدرى كل ذي حس سليم انه قد خرج عن التصديق ولا بد وحصل في الشك لان معنى التصديق انما هو ان يقطع ويوقن بصحة وجود ما صدق به ولا سبيل الى التفاضل في هذه الصفة فان لم يقطع ولا ايقن بصحته فقد شك فيه فليس مصدقاً به واذا لم يكن مصدقاً به فليس مؤمناً به فصح ان الزيادة التي ذكر الله عز وجل في الايمان

والقوة المنمية وهي قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم المشبه زيادة في أقطاره طولاً وعرضاً وعمقاً بقدر ليبلغ به كماله في النشوة والقوة المولدة وهي التي تأخذ من الجسم الذي هي فيه جزؤ وهو شبيه الواجب له بالقوة فيفعل فيه باستمداد أجسام اخر تشبه به من التخليق والتمزيق ما يصير شبيهاً به بالفعل فللنفس النباتية ثلاث قوي وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة والمحركة على قسمين اما محركة بانها باعثة وأما محركة بانها فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية الشوقية وهي القوة التي اذا ارتسمت في التخيل بعد صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التي تدركها على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهي قوة تبعث على تحريك يقرب به من الاشياء المتخيلة ضرورية أو نافعة طلباً للذة وشعبة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضاراً او مفسداً طلباً للغلبة وأما القوة على أنها فاعلة فهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شأنها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتاد والرباطات الى جهة المبدأ او ترخيها او تمددها طولاً فتصير الاوتاد والرباطات

ليست فى التصديق أصلاً ولا فى الاعتقاد البتة فهي ضرورة فى غير التصديق وليس هاهنا الا الاعمال فقط فصح يقيناً ان اعمال البر ايمان بنص القرآن وكذلك قول الله عز وجل * فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا * وقوله تعالى * الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا * فان قال قائل معنى زيادة الايمان هاهنا انما هو لما نزلت تلك الآية صدقوا بها فزادهم بنزولها ايماناً تصديقاً بشيء وارد لم يكن عندهم قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال لانه قد اعتقد المسلمون فى أول اسلامهم انهم مصدقون بكل ما يأتيهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام فى المستأنف فلم يزدهم نزول الآية تصديقاً لم يكونوا اعتقدوه فصح ان الايمان الذي زادتهم الآيات انما هو العمل بها الذي لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدقوا به قط ولا كان جائزاً لهم ان يعتقدوه ويعملوا به بل كان فرضاً عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لا تكون الا فى كمية عدد لا فيما سواه ولا عدد للاعتقاد ولا كمية وانما الكمية والعدد في الاعمال والاقوال فقط فان قالوا ان تلاوتهم لها زيادة ايمان قلنا صدقتم وهذا هو قولنا والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس اقراراً بالمعتقد ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل وقال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * ولم يزل اهل الاسلام قبل الجهمية والاشعرية والكرامية وسائر المرجئة مجمعين على انه تعالى انما عنى بذلك صلاتهم الى بيت المقدس قبل ان ينسخ بالصلاة الى الكعبة وقال عز وجل * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً * وقال عز وجل * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * فنص تعالى على ان عبادة الله تعالى في حال اخلاص الدين له تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة الواردتين في الشريعة كله دين القيمة وقال تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وقال تعالى * ومن يبتغ غير

الاسلام

الى خلاف المبدأ وأما القوة المدركة فتنقسم قسمين احدهما قوة تدرك من خارج وهي الحواس الخمس أو الثمانية فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجلدية من أشباح الاجسام ذوات اللون المتأدية في الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقيلة ومنها السمع وهي قوة مترتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطاً بعنف يحصل منه تموج فاعل للصوت يتأدى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس امواج تلك الحركة العصبة فيسمع ومنها الشم وهي قوة مترتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يؤدي اليه من الهواء المنتشق من الرائحة المخالطة لبخار الريح والمنطبع فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ومنها الذوق وهي قوة مترتبة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الاجسام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي فيه فتخيله ومنها اللمس وهي قوة منبثة في جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه

الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * فنص تعالى ان الدين هو الاسلام ونص قبل على ان العبادات كلها والصلاة والزكاة هي الدين فانتج ذلك يقيناً ان العبادات هي الدين والدين هو الاسلام فالعبادات هن الاسلام وقال عز وجل * يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين * وقال تعالى * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * فهذا نص جلي على ان الاسلام هو الايمان وقد وجب قبل بما ذكرنا ان أعمال البر كلها هي الاسلام والاسلام هو الايمان فاعمال البر كلها ايمان وهذا برهان ضروري لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما * فنص تعالى وأقسم بنفسه ان لا يكون مؤمناً الا بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما عن ثم يسلم بقلبه ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى فصح ان التحكيم شيء غير التسليم بالقلب وانه هو الايمان الذي لا ايمان لمن لم يأت به فصح يقيناً ان الايمان اسم واقع على الاعمال في كل ما في الشريعة وقال تعالى * ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً * فصح ان لا يكون التصديق مطلقاً ايماناً الا حتى يستضيف اليه ما نص الله تعالى عليه ومما يتبين ان الكفر يكون بالكلام قول الله عز وجل * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيراً منها منقلباً قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * الى قوله * يا ليتني لم أشرك بربي احدا * فأثبت الله الشرك والكفر مع اقراره بربه تعالى اذ شك في البعث وقال تعالى * أفتؤمنون ببعض الكتاب

والاعصاب تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة ويغيره في المزاج أو الهيئة ويشبه ان تكون هذه القوة لا نوعاً بل جنساً لاربع قوى منبثة معاً في الجلد كله الواحدة حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد والثانية حاكمة في التضاد الذي بين الصلب واللين والثالثة حاكمة في التضاد الذي بين الرطب واليابس والرابعة حاكمة في التضاد الذي بين الخشن والاملس الا ان اجتماعها معاً في آلة واحدة توهم اتحادها في الذات والمحسوسات كلها تتأدى الى آلات الحس فتنطبع فيها فتدركها القوة الحاسة والقسم الثاني قوى تدرك من باطن فمنها ما يدرك صور المحسوسات ومنها ما يدرك معاني المحسوسات والفرق بين القسمين هو ان الصورة هو الشيء الذي تدركه النفس الناطقة والحس الظاهر معاً ولكن الحس يدركه أولا ويؤديه الى النفس مثل ادراك الشاة صورة الذئب وأما المعنى فهو الذي تدركه من المحسوس من غير أن يدركه الحس أولا مثل ادراك الشاة المعنى المضاد في الذئب الموجب لخوفها اياه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة ما يدرك ويفعل ومنها مالا يدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين أن الفعل فيها

وتكفرون ببعض * فصح ان من آمن ببعض الدين وكفر بشيء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدق من ذلك

﴿ قال أبو محمد ﴾ وا كثر الاسماء الشرعية فانها موضوعة من عند الله تعالى على مسميات لم يعرفها العرب قط هذا امر لا يجهله احد من اهل الارض ممن يدري اللغة العربية ويدري الاسماء الشرعية كالصلاة فان موضوع هـذه اللفظة في لغة العرب الدعاء فقط فاوقعها الله عز وجل على حركات محدودة معدودة من قيام موصوف الى جهة موصوفة لا تتعدى وركوع كذلك وسجود كذلك وقعود كذلك وقراءة كذلك وذكر كذلك في اوقات محدودة وبطهارة محدودة وبلباس محدود متى لم تكن على ذلك بطلت ولم تكن صلاة وما عرفت العرب قط شيئاً من هذا كله فضلا عن ان تسميه حتى اتانا بهذا كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال بعضهم ان في الصلاة دعاء فلم يخرج الاسم بذلك عن موضوعه في اللغة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل لانه لا خلاف بين أحد من الامة في ان من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القرآن وقرآناً معها في كل ركعة وأتى بعد الركوع والسجود والجلوس والقيام والتشهد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وسلم بتسليمتين فقد صلى كما أمر وان لم يدع بشيء أصلاً وفي الفقهاء من يقول ان من صلى خلف الامام فلم يقرأ اصلا ولا تشهد ولا دعا اصلا فقد صلى كما أمر وأيضاً فان ذلك الدعاء في الصلاة لا يختلف احد من الامة في انه ليس شيئاً ولا يسمى صلاة اصلا عند احد من اهل الاسلام فعلى كل قد اوقع الله عز وجل اسم الصلاة على اعمال غير الدعاء ولا بد وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ولا عرفت ايقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء ومنها الزكاة وهي موضوع في اللغة للنماء والزيادة فأوقعها الله تعالى على اعطاء مال محدود معدود من جملة اموال ما موصوفة محدودة معدودة معينة دون سائر

هو ان تركب الصور والمعاني المدركة بعضها مع بعض ويفصل بعضها عن بعض فيكون ادراك وفعل أيضاً فيما ادرك والادراك لا مع الفعل هو أن تكون الصورة أو المعنى ترتسم في القوة فقط من غير أن يكون لها فعل وتصرف فيه ومن المدركات الباطنة ما يدرك أولا ومنها ما يدرك ثانياً والفرق بين القسمين أن الادراك الاول هو أن يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول قد وقع للشيء من نفسه والادراك الثاني هو أن يكون حصولها من جهة شيء آخر أدى اليها ثم من القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيا وهو الحس المشترك وهي قوة مترتبة في التجويف الاول من مقدم الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبقة في الحواس الخمس متأدية اليه ثم الخيال والمصورة وهي قوة مترتبة في التجويف المقدم من الدماغ يحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس ويبقى فيها بعد غيبة المحسوسات والقوة التي تبقى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية وتسمى مفكرة بالقياس الى النفس الانسانية فهو قوة مرتبة في التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة من شأنها أن تركب بعض ما في الخيال مع

الاموال لقوم محدودين في اوقات محدودة فان هو تعدى شيئاً من ذلك لم يقع على فعله ذلك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات والصيام في لغة العرب الوقوف تقول صام النهار اذا طال حتى صار كأنه واقف لطوله قال امرؤ القيس . اذا صام النهار وهجرا . وقال آخر وهو النابغة الذبياني

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

فاوقع الله تعالى اسم الصيام على الامتناع من الاكل والشرب والجماع وتعمد القيء من وقت محدود تبين الفجر الثاني الى غروب الشمس في أوقات من السنة محدودة فان تعدى ذلك لم يسم صياماً وهذا أمر لم تعرفه العرب قط فظهر فساد قول من قال ان الاسماء لا تنقل في الشريعة عن موضوعها في اللغة وصح ان قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاذ قد وضح وجود الزيادة في الايمان بخلاف قول من قال انه التصديق فبالضرورة ندري ان الزيادة تقتضي النقص ضرورة ولا بد لأن معنى الزيادة انما هي عدد مضاف الى عدد واذا كان ذلك فذلك العدد المضاف اليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور المنقول نقل الكواف انه قال للنساء مارأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم منكن قلن يارسول الله وما نقصان ديننا قال عليه السلام أليس تقيم المرأة العدد من الايام والليالي لاتصوم ولا تصلي فهذا نقصان دينها

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولو نقص من التصديق شيء لبطل عن ان يكون تصديقاً لأن التصديق لا يتبعض اصلا ولصار شكا وبالله تعالى التوفيق وهم مقرون بان امرأ لو لم يصدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطل ايمانه فصح ان التصديق لا يتبعض اصلا

بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب عنه وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مترتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة في المحسوسات ونسبة الحافظة الى الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك الا ان ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوى الحيوانية وأما النفس الناطقة للانسان فتنقسم قواها أيضاً الى قوة عالمة وقوة عاملة وكل واحد من القوتين يسمى عقلا باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئية الخاصة بالرؤية على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس الى القوة المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس الى نفسها وقياسها الى النزوعية ان يحدث عنها فيها هيئات تخص الانسان يتهيء بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وقياسها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد نص الله عز وجل على ان اليهود يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم وانهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل وقال تعالى * فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * واخبر تعالى عن الكفار فقال * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فأخبر تعالى انهم يعرفون صدقه ولا يكذبونه وهم اليهود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الامة ومن انكر كفرهم فلا خلاف من احد من الامة في كفره وخروجه عن الاسلام ونص تعالى عن ابليس انه عارف بالله تعالى وبملائكته وبرسله وبالبعث وانه قال * رب فانظرني الى يوم يبعثون * وقال * لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون * وقال * خلقتني من نار وخلقته من طين * وكيف لا يكون مصدقاً بكل ذلك وهو قد شاهد ابتداء خلق الله تعالى لآدم وخاطبه الله تعالى خطاباً كثيراً وسأله ما منعك ان تسجد وامره بالخروج من الجنة واخبره انه منظر الى يوم الدين وانه ممنوع من اغواء من سبقت له الهداية وهو مع ذلك كله كافر بلا خلاف اما بقوله عن آدم انا خير منه واما بامتناعه للسجود لا يشك احد في ذلك ولو كان الايمان هو بالتصديق والاقرار فقط لكان جميع المخلدين في النار من اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين لانهم كلهم مصدقون بكل ما كذبوا به في الدنيا مقرون بكل ذلك ولكان ابليس واليهود والنصارى في الدنيا مؤمنين ضرورة وهذا كفر مجرد ممن اجازه وانما كفر اهل النار بمنعهم من الاعمال قال تعالى * يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلجأ هؤلاء المخاذيل الى ان قالوا ان اليهود والنصارى لم يعرفوا قط ان محمداً رسول الله ومعنى قول الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أي انهم يميزون صورته ويعرفون ان هذا الرجل هو

الى المتخيلة والمتوهمة هو ان يستعملها في استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظري يتولد الآراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق حسن وهي هذه القوى هي التي يجب ان تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه احكام القوة العاقلة حتى لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الامور الطبيعية وهي التي تسمى أخلاقاً رذيلة بل تحدث في القوى البدنية هيئات انقيادية لها وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهي قوة من شأنها ان تنطبع بالصور الكلية المجردة من المادة فان كانت مجردة بذاتها فذاك وان لم تكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء ثم لها الى هذه الصور نسب وذلك ان الشيء الذي من شأنه ان يقبل شيئاً قد يكون بالقوة قابلاً له وقد يكون بالفعل والقوة على ثلاثة أوجه قوة مطلقة هيولانية وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل على الكتابة وقوة ممكنة وهو استعداد مع فعل ما كقوة الطفل

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي فقط وان معنى قوله تعالى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل انما هو انهم يجدون سواداً في بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمون معناه وان ابليس لم يقل شيئاً مما ذكر الله عز وجل عنه انه قال مجداً بل قاله هازلا وقال هؤلاء أيضاً انه ليس على ظهر الارض ولا كان قط كافر يدري ان الله حق وان فرعون قط لم يتبين له ان موسى نبي بالآيات التي عمل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقالوا اذا كان الكافر يصدق ان الله حق والتصديق ايمان في اللغة فهو مؤمن اذا اوفيه ايمان ليس به مؤمناً وكلا القولين محال

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه نصوص اقوالهم التي رأيناها في كتبهم وسمعناها منهم وكان مما احتجوا به لهذا الكفر المجرد ان قالوا ان الله عز وجل سمى كل من ذكرنا كفاراً ومشركين فدل ذلك على انه علم ان في قلوبهم كفراً وشركاً وجحداً وقال هؤلاء ان شتم الله عز وجل وشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كفراً لكنه دليل على ان في قلبه كفراً

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما قولهم في أخبار الله تعالى عن اليهود انهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وعن اليهود والنصارى انهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل فباطل بحت ومجاهرة لا حياء معها لانه لو كان كما ذكروا لما كان في ذلك حجة لله تعالى عليهم وأي معنى أو أي فائدة في ان يجيزوا صورته ويعرفوا انه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقط أو في ان يجدوا كتاباً لا يفقهون معناه فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم لانه تعالى يقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون فنص تعالى انهم يعلمون الحق في نبوته وقال في الآية الاخرى ﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت

بعد ما تعلم بسائط الحروف وقوة تسمى ملكة وهي قوة لهذا الاستعداد اذا تم بالآلة ويكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب فالقوة النظرية قد تكون نسبتها الى الصور نسبة الاستعداد المطلق وتسمى عقلاً هيولانياً واذا حصل فيها من المقولات الاولى التي يتوصل بها الى المقولات الثانية التي تسمى عقلا بالفعل واذا حصلت فيها المقولات الثانية المكتسبة وصارت مخزونة له بالفعل متى شاء طالعها فان كانت حاضرة عنده بالفعل تسمى عقلاً مستفاداً وان كانت مخزونة تسمى عقلاً بالملكة وهاهنا ينتهي النوع الانسانية ويتشبه بالمبادىء الاولى بالوجود كله وللناس مراتب في هذا الاستعداد فقد يكون عقلاً شديد الاستعداد حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال الى كثير شيء من تجريح وتعليم حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه لا تقليداً بل بترتيب يشتمل على حدود وسطى فيه اما دفعة في زمان واحد واما دفعات في أزمنة شتى وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس فيفيض عليها من جميع المعقولات او ما يحتاج اليه في تكميل القوة العملية فالدرجة العليا منها النبوة وربما يفيض عليها وعلى المتخيلة من

عليهم * وانما اورد تعالى معرفتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم محتجاً عليهم
بذلك لا انه اتى من ذلك بكلام لا فائدة فيه واما قولهم في ابليس فكلام
داخل في الاستخفاف بالله عز وجل وبالقرآن لا وجه له غير هذا اذ من
المحال الممتنع في العقل وفي الامكان غاية الامتناع ان يكون ابليس يوافق في
هزله عين الحقيقة في أن الله تعالى كرم آدم عليه السلام عليه وانه تعالى أمره
بالسجود فامتنع وفي ان الله تعالى خالق آدم من طين وخلقه من نار وفي أخباره
آدم ان الله تعالى نهاه عن الشجرة وفي دخوله الجنة وخروجه عنها اذ
اخرجه الله تعالى وفي سؤاله الله تعالى النظرة وفي ذكره يوم يبعث العباد
وفي اخباره ان الله تعالى اغواه وفي تهديده ذرية آدم قبل ان يكونوا وقد
شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ولا سبيل الى موافقة هازل
معنيين صحيحين لا يعلمها فكيف بهذه الامور العظيمة وأخرى ان الله
تعالى حاشى له من أن يجب هازلا بما يقتضيه معنى هزله فانه تعالى امره
بالسجود ثم سأله عما منعه من السجود ثم أجابه الى النظرة التي سأل ثم
اخرجه عن الجنة واخبره انه يعصم منه من شاء من ذرية آدم وهذه
كلها معان من دافعها خرج عن الاسلام لتكذيبه القرآن وفارق المعقول
لتجويزه هذه المحالات ولحق بالمجانين الوقحاء واما قولهم ان اخبار
الله تعالى بان هؤلاء كلهم كفار دليلاً على ان في قلوبهم كفراً وان شتم
الله تعالى ليس كفر ولكنه دليل على ان في القلب كفراً وان كان
كافراً لم يعرف الله تعالى قط فهذه منهم دعاوي كاذبة مفتراة لا دليل
لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من
حجة عقل أصلا ولا من اجماع ولا من قياس ولا من قول احد من
السلف قبل اللعين جهم ابن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وافك
وزور فسقط قولهم هذا من قرب ولله الحمد رب العالمين فكيف والبرهان
قائم بابطال هذه الدعوى من القرآن والسنن والاجماع والمعقول والحس

روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة
بأمثلة محسوسة او كلمات مسموعة
فيعبر عن هذه الصورة بملك في
صورة رجل وعن الكلام بوحي
في صورة عبارة * المقالة الخامسة
في ان النفس الانسانية جوهر ليس
بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها
قد يكون بآلات وقد يكون بذاتها
لا بآلات وانها واحدة وقواها
كثيرة وانها حادثة مع حدوث
البدن وباقية بعد فناء البدن اما
البرهان على ان النفس ليست بجسم
هو انا نحس من ذواتنا ادراكاً
معقولاً مجرداً عن المواد وعوارضها
اعني الكم والاين والموضع امالان
المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة
والعلم بالوجود مطلقاً واما لان
العقل جرد عن العوارض كالانسان
مطلقاً فيجب ان ينظر في ذات
هذه الصور المجردة كيف هي في
تجردها اما بالقياس الى الشيء
المأخوذ عنه وأما بالقياس الى مجرد
الاخذ ولا يشك انها بالقياس الى
المأخوذ عنه ليست مجردة فبقي انها
مجردة عن الوضع والاين عند
وجودها في العقل والجسم ذو
وضع واين وما لا وضع له لا يحل
ما له وضع واين وهذه الطريقة
اقوى الطرق فان الشيء المعقول
الواحد الذات المتجرد عن المادة

والمشاهدة الضرورية فاما القرآن فان الله عز وجل يقول * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله * وقال تعالى * وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون * فاخبر تعالى بانهم يصدقون بالله تعالى وهم مع ذلك مشركون وقال تعالى * وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه شهادة من الله مكذبة لقول هؤلاء الضلال لا يردها مسلم أصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبلغنا عن بعضهم انه قال في قول الله تعالى * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * ان هذا انكار من الله تعالى لصحة معرفتهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وذلك لان الرجال لا يعرفون صحة ابنائهم على الحقيقة وانما هو ظن منهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كفر وتحريف للكلم عن مواضعه ويرد ماشئت منه

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاول ذلك ان هذا الخطاب من الله تعالى عموم للرجال والنساء من الذين أوتوا الكتاب لا يجوز ان يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل ذلك مفترياً على الله تعالى وبيقين يدري كل مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء كما بعث الى الرجال والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من اهل اللغة النساء والرجال وقد علمنا أن النساء يعرفن ابناءهن على الحقيقة بيقين والوجه الثاني هو أن الله تعالى لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الجاهل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه ايضاً وانما قال تعالى كما يعرفون ابناءهم فاضاف تعالى البنوة اليهم فمن لم يقل انهم ابناؤهم بعد ان جعلهم الله ابناءهم فقد كذب الله تعالى وقد علمنا انه ليس كل من خلق من نطفة الرجل يكون ابنه فولد الزنا مخلوق من نطفة انسان ليس هو أباه في حكم الديانة اصلا وانما

لا يخلو اما ان يكون له نسبة الى بعض الاجزاء دون بعض فيحل في جهة دون جهة حتى يكون متيامناً أو متياسرا بالنسبة الى المحل أو تكون نسبته الى الكل نسبة واحدة أو لا يكون لها نسبة اليه ولا له الى جميع الاجزاء فان ارتفعت النسبة من كل وجه ارتفع الحلول في جملة الجسم أو في جزء من أجزائه وان تحققت النسبة صار الشي المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذي وضع هذا خلف و به تبين ان الصور المنطبعة في المادة لا تكون الأشباحاً لامور جزوئية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة الى جزؤ منها وأيضاً فان الشيء المتكثر في أجزاء الحد له من جهة التمام وحدة هو بها لا ينقسم فتلك الوحدة بماهي وحدة كيف ترتسم في منقسم وأيضاً من شأن القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحدا واحدا من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد أولى من الاخر وقد صح لنا ان الشيء الذي يقوى على أمور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محله جسما ولا قوة في جسم ومن الدليل القاطع على ان محل المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة وما لا ينقسم لا يحل المنقسم

ابناؤنا من جعلهم الله ابناءنا فقط كما ان الله تعالى جعل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين منهن امهاتنا وان لم يلدننا ونحن ابناءهن وان لم نخرج من بطونهن فمن انكر هذا فنحن نصدقه لانه حينئذ ليس مؤمناً فلسن امهاته ولا هو ابن لهن والوجه الثالث هو ان الله تعالى انما اورد الآية مبكتاً للذين أوتوا الكتاب لا معتذراً عنهم لكن مخبراً بانهم يعرفون صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بآياته وبما وجدوا في التوراة والانجيل معرفة قاطعة لا شك فيها كما يعرفون ابناءهم ثم اتبع ذلك تعالى بانهم يكتمون الحق وهم عالمون به فبطل هذر هذا الجاهل المخذول والحمد لله رب العالمين وقال عز وجل * لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * فنص تعالى على ان الرشد قد تبين من الغي عموما وقال تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى * وقال تعالى * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً * وهذا نص جلي من خالفه كفر في أن الكفار قد تبين لهم الحق والهدى في التوحيد والنبوة وقد تبين له الحق فبيقين يدري كل ذي حس سليم انه مصدق بلا شك بقلبه وقال تعالى * فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ايضاً نص جلي لا يحتمل تأويلا على ان الكفار جحدوا بالسنتهم الآيات التي اتى بها الانبياء عليهم الصلوة والسلام واستيقنوا بقلوبهم انها حق ولم يجحدوا قط انها كانت وانما جحدوا انها من عند الله فصح ان الذي استيقنوا منها هو الذي جحدوا وهذا يبطل قول من قال من هذه الطائفة انهم انما استيقنوا كونها وهي عندهم حيل لا حقائق اذ لو كان ذلك لكان هذا القول من الله تعالى كذباً تعالى الله عن ذلك لانهم لم يجحدوا كونها وانما جحدوا انها من عند الله وهذا

والمعقول غير منقسم فلا يحل المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان المعقول المجرد لا منقسم فقد فرغنا عنه واما ان ما لا ينقسم لا يحل منقسما فانا لو قسمنا المحل فلا يخلو اما ان يبطل الحال فيه وهذا كذب أو لا يبطل ولا يخلو اما ان يبقى حالا في بعضه كما كان حالا في كله وهذا محال فانه يجب ان يكون حكم البعض حكم الكل واما ان ينقسم بانقسام محله وقد فرض غير منقسم ثم لو فرض انقسام الحال فيه فلا يخلو اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول أو العدد وليس كل صورة معقولة بشكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة وأظهر من ذلك انه ليس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزئين هو بعينه الكل في المعنى وان كانا غير متشابهين مثل أجزاء الحد من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزء من الجسم يقبل القسمة أيضاً فيجب ان يكون الاجناس والفصول غير متناهية وهذا باطل وأيضاً فانه ان وقع الجنس في جانب والفصل في جانب ثم لو قسمنا الجسم لكان يجب ان يقع نصف الجنس في جانب ونصف الفصل في جانب وهو محال ثم ليس

الذي

الذي جحدوا هو الذي استيقنوا بنص الآية وقال تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون * لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر * فمن قال ان فرعون لم يعلم ان الله تعالى حق ولا علم ان معجزات موسى حق من عند الله تعالى فقد كذب ربه تعالى وهذا كفر مجرد وقد شغب بعضهم بأن هذه الآية قرئت لقد علمت بضم التاء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا القراءتين حق من عند الله تعالى لا يجوز ان يرد منها شيء فنعم موسى عليه السلام علم ذلك وفرعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن واما من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فانا نقول لهم هل قامت حجة الله تعالى على الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه عز وجل لهم ام لم تقم حجة لله تعالى عليهم قط اذ لم يتبين الحق قط لكافر فان قالوا ان حجة الله تعالى لم تقم قط على كافر اذ لم يتبين الحق للكفار كفروا بلا خلاف من أحد وعذروا الكفار وخالفوا الاجماع وان اقروا ان حجة الله تعالى قد قامت على الكفار بان الحق تبين لهم صدقوا ورجعوا الى الحق والى قول اهل الاسلام وبرهان آخر ان كل أحد منا مذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما سمعهم أحد الا مقرين بالله تعالى وبنبوة موسى عليه السلام وان الله تعالى حرم على اليهود العمل في السبت والتحوم فمن الباطل ان يتواطؤا كلهم في شرق الارض وغربها على اعلان ما يعتقدون خلافه بلا سبب داع الى ذلك وبرهان آخر وهو اننا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصى عددهم اسلموا وحسن اسلامهم وكلهم اولهم عن آخرهم يخبر من استخبره متى بتوا انهم في اسلامهم يعرفون ان الله تعالى حق وان نبوة موسى وهارون حق كما كانوا يعرفون ذلك في ايام كفرهم ولا فرق ومن انكر هذا فقد كابر عقله وحسه ولحق بمن لا يستحق ان يكلم وبرهان آخر

أحد الجزوين أولى لقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضاً ليس كل معقول يمكن أن يقسم الى معقولات أبسط فان ههنا معقولات هي أبسط المعقولات ومبادئ التركيبات فى سائر المعقولات ليس لها أجناس ولا فصول ولا انقسام في الكم ولا في المعنى فلا يتوهم فيها أجزاء متشابهة فتبين بهذه الجملة ان محل المعقولات ليس بجسم ولا قوة في جسم فهو اذاً جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرف وعلاقته من جهة العلم الحواس الباطنة المذكورة وعلاقته من جهة العمل القوى الحيوانية المذكورة فيتصرف في البدن وله فعل خاص يستغنى به عن البدن وقوة فان من شأن هذا الجوهر أن يعقل ذاته و يعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشيء لا يكون الا بحصول صورته فيه وما يقدر آلة من قلب أو دماغ لا يخلو اما أن تكون صورته بعينها حاصلة للعقل حاضرة واما ان صورة غيرها بالعدد حاصلة وباطل أن يكون صورة الآلة حاضرة بعينها فانها في نفسها حاصلة أبداً فيجب أن يكون ادراك العقل لها

وهو انهم لا يختلفون في ان نقل التواتر يوجب العلم الضروري فوجب من هذين الحكمين ان اليهود والنصارى الذين نقل اليهم ما اتى به عليه السلام من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضروري بصحة نبوته من اجلها وهذا لا محيد لهم عنه وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان شتم الله تعالى ليس كفراً وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دعوى لان الله تعالى قال * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم * فنص تعالى على أن من الكلام ما هو كفر وقال تعالى * واذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذاً مثلهم * فنص تعالى ان من الكلام في آيات الله تعالى ما هو كفر بعينه مسموع وقال تعالى * قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة * فنص تعالى على ان الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته او برسول من رسله كفر يخرج عن الايمان ولم يفعل تعالى في ذلك اني علمت ان في قلوبكم كفراً بل جعلهم كفاراً بنفس الاستهزاء ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى ما لم يقل وكذب على الله تعالى وقال عز وجل * انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطؤا عدة ما حرم الله *

﴿ قال أبو محمد ﴾ وبحكم اللغة التي بها نزل القرآن ان الزيادة في الشيء لا تكون البتة الا منه لا من غيره فصح ان النسيء كفر وهو عمل من الاعمال وهو تحليل ما حرم الله تعالى فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بان الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه وكل من حرم ما أحل الله تعالى فقد أحل ما حرم الله عز وجل لان الله تعالى حرم على الناس ان يحرموا ما أحل الله وأما خلاف الاجماع فان جميع أهل الاسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد الله تعالى أو جحد رسوله صلى الله

حاصل أبداً وليس الامر كذلك فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال ويجب أن يكون الصورة غير الآلة بالعدد فانها اما أن تحل في نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدل ذلك على انها قائمة بنفسها وليست في الجسم واما بمشاركة الجسم حتى لا تكون هذه الصورة المغايرة في نفس القوة العقلية وفي الجسم الذي هو الآلة فيؤدي الى اجتماع صورتين متماثلين في جسم واحد وهو محال والمغايرة بين أشياء تدخل في حد واحد اما لاختلاف المواد او لاختلاف ما بين الكلي والجزئي وليس هذان الوجهان فثبت انه لا يجوز أن يدرك المدرك آلة هي آلته في الادراك ولا يختص ذلك بالعقل فان الحس انما يحس شيئاً خارجاً ولا يحس ذاته ولا آلته ولا احساسه وكذلك الخيال ولا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته ولهذا أن القوى الداركة بانطباع الصور في الآلات يعرض لها الكلال من ادامة العمل والامور القوية المشاقة الادراك توهنها وربما تفسدها كالضوء الشديد للبصر والرعد القوي للسمع وكذلك عند ادراك القوي لا يقوى على ادراك الضعيف والامر بالقوة العقلية

عليه وسلم فانه محكوم له بحكم الكفر قطعاً اما القتل وإما أخذ الجزية وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد فى هل هم في باطن امرهم مؤمنون أم لا ولا فكروا في هذا لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من اصحابه ولا احد ممن بعدهم وأما قولهم ان الكفار اذا كانوا مصدقين بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم بقلوبهم والتصديق في اللغة التي بها نزل القرآن هو الايمان ففيهم بلاشك ايمان فالواجب ان يكونوا بايمانهم ذلك مؤمنين أو ان يكون فيهم ايمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولا بد من أحد الامرين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه فاسد لان التسمية كما قدمنا لله تعالى لا لاحد دونه وقد أوضحنا البراهين على ان الله تعالى نقل اسم الايمان في الشريعة عن موضوعه في اللغة الى معنى آخر وحرم في الديانة ايقاع اسم الايمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله تعالى للفظة الايمان كما ذكرنا لوجب ان يسمى كل كافر على وجه الارض مؤمناً وان يخبر عنهم بان فيهم ايماناً لانهم مؤمنون ولا بد باشياء كثيرة مما في العالم يصدقون بها هذا لا ينكره ذومسكة من عقل فلما صح اجماعنا واجماعهم واجماع كل من ينتمي الى الاسلام على انهم وان صدقوا باشياء كثيرة فانه لا يحل لاحد ان يسميهم مؤمنين على الاطلاق ولا ان يقول ان لهم ايماناً مطلقاً اصلا لم يجز لاحد ان يقول في الكافر المصدق بقلبه ولسانه بان الله تعالى حق والمصدق بقلبه ان محمداً رسول الله انه مؤمن ولا ان فيه ايماناً أصلا الا حتى يأتي بما نقل الله تعالى اليه اسم الايمان من التصديق بقلبه ولسانه بان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان كل ما جاء به حق وانه بريء من كل دين غير دينه ثم يتمادى باقراره على ه الا يتم ايمان الا بالاقرار به حتى يموت لكنا نقول ان في الكافر تصديقاً بالله تعالى هو به مصدق بالله تعالى وليس بذلك مؤمناً ولا فيه

بالعكس فان ادامتها للفعل وتصورها الامور الاقوى يكسبها قوة وسهولة قبول وان عرض لها كلال وملال فلاستعانة العقل بالخيال على ان القوى الحيوانية ربما تعين النفس الناطقة في أشياء منها أن يورد عليها الحس جزئيات الامور فيحدث لها أمور أربعة أحدها انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائقها ولواحقها ومراعاة المشترك فيها والمتباين به والذاتي وجوده والعرضي فيحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور وذلك بمعونة استعمال الخيال والوهم الثاني ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب وايجاب فما كان التأليف منها بسلب وايجاب ذاتياً بينا بنفسه أخذه وما كان ليس كذلك تركه الى أن يصادف الواسطة والثالث تحصيل المقدمات التجربية بأن يوجد بالحس محمول لازم الحكم لموضوع أو تالي لازم تقدم فيحصل له اعتقاد مستفاد من حس وقياس ما والرابع الاخبار التي يقع بها التصديق لشدة التواتر فالنفس الانسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادئ للتصور والتصديق وأما اذا استكملت النفس وقويت فانها تنفرد بفاعليها

ايمان كما امرنا الله تعالى لا كما امرجهم (1) والاشعري

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل هذا القول المتفق على تكفير قائله وقد نص على تكفيرهم ابو عبيد القاسم في كتابه المعروف برسالة الايمان وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيه شبه اهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل منهم يسمى عطاف بن دوناس من اهل قيروان افريقية وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما من قال ان الايمان انما هو الاقرار باللسان فانهم احتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم وجميع اصحابه رضي الله عنهم وكل من بعدهم قد صح اجماعهم على ان من اعلن بلسانه بشهادة الاسلام فانه عندهم مسلم محكوم له بحكم الاسلام وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوداء اعتقها فانها مؤمنة وبقوله صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب قل كلمة احاج لك بها عند الله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا لا حجة لهم فيه اما الاجماع المذكور فصحيح وانما حكمنا لهم بحكم الايمان في الظاهر ولم نقطع على انه عند الله تعالى مؤمن وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله الا الله ويؤمنوا بما ارسلت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال عليه السلام من قال لا إله الا الله مخلصاً من قلبه واما قوله عليه السلام في السوداء انها مؤمنة فظاهر الامر كما قال عليه السلام اذ قال له خالد بن الوليد رب مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال عليه السلام انى لم ابعث

---

(1) قوله والاشعري الخ لم يقل الاشعري ان من في قلبه تصديق بشيء من العقائد يسمى مؤمناً لانه وان قال ان الايمان هو التصديق لكنه اشترط في تحققه الاسلام فلا يتحقق ايمان بدون اسلام ولا اسلام بدون ايمان هذا هو مذهب الاشعري فالخلاف بينه و بين ما قال ابن حزم لفظي لا معنوي حتى يلزم تكفيره تأمل اه مصححه

على الاطلاق وتكون القوى الحسية والخيالية وغيرها صارفة لها عن فعلها وربما يصير الوسائط والاسباب عوائق قال والدليل على أن النفس الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتاً واحدة ومحال أن يكون متكثرة الذوات فان تكثرها اما أن يكون من جهة الماهية والصورة واما أن يكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة و بطل الاول لان صورتها واحدة وهي متفقة في النوع والماهية لا تقبل اختلافاً ذاتياً و بطل الثاني لان البدن والعنصر فرض غير موجود قال ومحال أن تكون واحدة الذات لانه اذا حصل بدنان حصلت فيهما نفسان فاما أن يكونا قسمي تلك النفس الواحدة وهو محال لان ماليس له عظم وحجم لايكون منقسما واما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لا يحتاج الى كثير تكلف في ابطاله فقد صح ان النفس تحدث كما حدث البدن الصالح لاستعماله اياه ويكون البدن الحادث مملكته وآلته ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحقه نزاع طبيعي

لاشق عن قلوب الناس وأما قوله لعمه احاج لك بها عند الله فنعم يحاج بها على ظاهر الامر وحسابه على الله تعالى فبطل كل ما موهوا به ثم نبين بطلان قولهم ان شاء الله تعالى فنقول وبالله تعالى نتأيد انه يبين بطلان قول هؤلاء قول الله عز وجل * ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وقوله عز وجل * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم * وقوله * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم * وقال تعالى * انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قالوا انما هذه الآية بمعنى ان هذه الافعال تدل على ان في القلب ايماناً قلنا لهم لو كان ما قلتم لوجب ولا بد ان يكون ترك من ترك شيئاً من هذه الافعال دليلا على انه ليس في قلبه ايمان وانتم لا تقولون هذا اصلا مع ان هذا صرف للآية عن وجهها وهذا لا يجوز الا ببرهان وقولهم هذا دعوى بلا برهان وقال تعالى * انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون * وقال تعالى * والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا * فاثبت عز وجل لهم الايمان الذي هو التصديق ثم اسقط عنا ولايتهم اذ لم يهاجروا فابطل بذلك ايمانهم المطلق ثم قال تعالى * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً * فصح يقيناً ان هذه الاعمال ايمان حق وعدمها ليس ايماناً وهذا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق

الى الاشتغال به واستعماله والاهتمام بأحواله والانجذاب* اليه يخصه ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع اما بواسطة واما بمفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتاً مفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف أزمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي هي بحسب أبدانها المختلفة لا محالة باحوالها ولانها لا تموت بموت البدن لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعاً من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المكافئ في الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا تؤثر المكافاة في الوجود في فساد أحدهما بفساد الثاني لانه أمر اضافي وفساد أحدهما يبطل الاضافة لا الذات وأما ان يكون تعلقه به تعلق المتأخر في الوجود فالبدن علة للنفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئاً الا بقواه والقوى الجسمانية اما اعراض أو صور مادية فمحال ان يفيد أمر قائم بالمادة وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ولا يجوز ان يكون علة قابلية فقد بينا ان النفس ليست منطبعة في البدن ولا يجوز ان يكون علة صورية أو كمالية فان الاولى

وقال تعالى * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * فنص عز وجل في هذه الآية على من آمن بلسانه ولم يعتقد الايمان بقلبه فانه كافر ثم اخبرنا تعالى بالمؤمنين منهم وانهم الذين آمنوا وايقنوا بالسنتهم وقلوبهم معاً وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم واخبر تعالى ان هؤلاء هم الصادقون

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويلزمهم ان المنافقين مؤمنون لاقرارهم بالايمان بالسنتهم وهذا قول مخرج عن الاسلام وقد قال تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً * وقال تعالى * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * فقطع الله تعالى عليهم بالكفر كما ترى لانهم ابطنوا الكفر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وبرهان آخر وهو ان الاقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله عز وجل لان احدنا يلفظ بالكفر حاكياً وقارئاً له في القرآن فلا يكون بذلك كافراً حتى يقرأنه عقده

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان احتج بهذا أهل المقالة الاولى وقالوا هذا يشهد بان الاعلان بالكفر ليس كفراً قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد قلنا ان التسمية ليست لنا وانما هي لله تعالى فلما امرنا تعالى بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول اهل الكفر واخبرنا تعالى انه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارئ للقرآن بذلك عن الكفر الى رضى الله عز وجل والايمان بحكايته ما نص الله تعالى باداء الشهادة بالحق فقال تعالى * الا من شهد بالحق وهم يعلمون * خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفره عن ان يكون بذلك كافراً الى رضى الله عز وجل والايمان ولما قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً اخرج

ان يكون الامر بالعكس فاذا تعلق النفس بالبدن ليس تعلقاً على انه علة ذاتية لها نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا حدث بدن يصلح ان يكون آلة للنفس ومملكة لها أحدثت العلل المفارقة النفس الجزوئية فان احداثها بلا سبب يخصص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان كل كاين بعد ما لم يكن يستدعى ان يتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله أو تهيؤ نسبته اليه كما تبين ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزوئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ والاستعداد في الآلة حدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس اذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء وجب ان يبطل مع بطلانه وأما القسم الثالث مما ذكرنا وهو ان تعلق النفس بالجسم تعلق التقدم فالمتقدم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وان كان بالذات فليس فرض عدم المتأخر يوجب عدم المتقدم على ان فساد البدن بامر يخصه من تغير المزاج والتركيب ليس ذلك مما يتعلق بالنفس فبطلان

من

من ثبت اكراهه عن ان يكون باظهار الكفر كافراً الى رخصة الله تعالى والثبات على الايمان وبقي من اظهر الكفر لا قارياً ولا شاهداً ولا حاكياً ولا مكرهاً على وجوب الكفر له باجماع الامة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبنص القرآن على من قال كلمة الكفر انه كافر وليس قول الله عز وجل ولكن من شرح بالكفر صدراً على ما ظنوه من اعتقاد الكفر فقط بل كل من نطق بالكلام الذي يحكم لقائله عند اهل الاسلام بحكم الكفر لا قارياً ولا شاهداً ولا حاكياً ولا مكرهاً فقد شرح بالكفر صدراً بمعنى انه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على اهل الاسلام وعلى اهل الكفر ان يقولوه وسواء اعتقده أو لم يعتقده لان هذا العمل من اعلان الكفر على غير الوجوه المباحة في ايراده وهو شرح الصدر به فبطل تمويههم بهذه الآية وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون * فنص الله تعالى على الايمان انه شيء قبل نفي الارتياب ونفي الارتياب لا يكون ضرورة الا بالقلب وحده فصح ان الايمان اذ هو قبل نفي الارتياب شيء آخر غير نفي الارتياب والذي قبل نفي الارتياب هو القول باللسان ثم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فلا يتم الايمان بنص كلام الله عز وجل الا بهذه الاقسام كلها فبطل بهذا النص قول من زعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وحده او القول باللسان وحده او كلاهما فقط دون العمل بالبدن وبرهان آخر وهو ان نقول لهم اخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر اهم حين كونهم في النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذي بجحدهم لكل ذلك ادخلوا النار وهل هم حينئذ مقرون بذلك بالسنتهم أم لا ولا بد من

البدن لا يقتضي بطلان النفس ونقول ان شيئاً آخر لا يفسد النفس أيضاً بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شيء من شأنه ان يفسد بامر ما ففيه قوة بان يفسد وقبل الفساد فيه فعل ان يبقى ومحال ان يكون من جهة واحدة في شيء واحد قوة ان يفسد وفعل ان يبقى فان تهيوءه للفساد شيء وفعله للبقاء شيء آخر فالاشياء المركبة يجوز ان يجتمع فيها الامران لوجهين أما البسيطة فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل على ذلك أيضاً ان كل شيء يبقى وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقى أيضاً لان بقاءه ليس بواجب ضروري واذا لم يكن واجباً كان ممكناً والامكان هو طبيعة القوة فاذاً يكون له في جوهره قوة ان يبقى وفعل ان يبقى فيكون فعل ان يبقى منه أمراً يعرض للشيء الذي له قوة ان يبقى فذلك الشيء الذي له قوة على البقاء وفعل البقاء أمر مشترك له فعل البقاء كالصورة وقوة البقاء كالمادة فيكون مركباً من مادة وصورة وقد فرضنا واحداً فرداً فهو خلف فقد بان ان كل أمر بسيط فغير مركب فيه قوة ان يبقى وفعل ان يبقى بل ليس فيه قوة ان يعدم باعتبار ذاته والفساد لا يتطرق الا الى المركبات واذا تقرر ان

احدهما فان قالوا هم عارفون بكل ذلك مقرون به بالسنتهم وقلوبهم قلنا أنهم مؤمنون أم غير مؤمنين فان قالوا هم غير مؤمنين قلنا قد تركتم قولكم ان الايمان هو المعرفة بالقلب او الاقرار باللسان فقط اوكلاهما فقط فان قالوا هذا حكم الآخرة قلنا لهم فاذ جوزتم نقل الاسماء عن موضوعها في اللغة في الآخرة فمن اين منعتم من ذلك في الدنيا ولم تجوزوه لله عز وجل فيها وليس في الحماقة اكثر من هذا وان قالوا بل هم مؤمنون قلنا لهم فالنار اذن أعدت للمؤمنين لا للكافرين وهي دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن واجماع اهل الاسلام المتقين وان قالوا بل هم غير عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة في حال كونهم في النار اكذبهم نصوص القرآن وكذبوا ربهم عز وجل في اخباره انهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بالسنتهم راغبون في الرجعة والاقالة نادمون على ما سلف منهم وكذبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال اذ جعلوا من شاهد القيمة والحساب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصح بهذا انه لا ايمان ولا كفر الا ما سماه الله تعالى ايمانا او كفراً وشركاً فقط ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك الا من سماه الله تعالى بشيء من ذلك اما في القرآن واما على لسان النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأما من قال ان الايمان هو العقد بالقلب والاقرار باللسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وان كانت خطأ وبدعة واحتجوا بان قالوا اخبرونا عمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله وبريء من كل دين حاشا الاسلام وصدق بكل ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم واعتقد ذلك بقلبه ومات اثر ذلك أمؤمن هو أم لا فان جوابنا انه مؤمن بلا شك عند الله عز وجل وعندنا قالوا فاخبرونا اناقص الايمان هو أم كامل الايمان قالوا فان قلتم انه كامل الايمان فهذا قولنا وان قلتم انه ناقص الايمان سألناكم ماذا نقصه من

البدن اذا تهيأ واستعد استحق من واهب الصور نفسا مدبرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحق النفس وقارنته في الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس أخرى لانه يودي الى ان يكون لبدن واحد نفسان وهو محال فالتناسخ اذا باطل * المقالة السادسة * في وجه خروج العقل النظري من القوة الى الفعل وأحوال خاصة بالنفس الانسانية من الرؤيا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صوراً لا وجود لها من خارج من تلك الوجوه ومعنى النبوة والمعجزات وخصائصها التي تتميز بها عن المخاريق أما الاول قد بينا ان النفس الانسانية لها قوة هيولانية أي استعداد لقبول المعقولات بالفعل وكل ما خرج من القوة الى الفعل لا بد له من سبب يخرجه الى الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودا بالفعل فانه لو كان موجوداً بالقوة لاحتاج الى مخرج آخر فاما ان يتسلسل أو ينتهي الى مخرج هو موجود بالفعل لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسما لان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة أمر بالقوة فهو اذا جوهر مجرد عن المادة وهو العقل الفعال وانما سمي فعالا لان كل

الايمان

الايمان وماذا معه مع الايمان

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه مؤمن ناقص الايمان بالاضافة الى من له ايمان زائد باعمال لم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الايمان بالاضافة الى من هو افضل اعمالا منه حتى يبلغ الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا احداتم ايمانا منه بمعنى احسن اعمالا منه واما قولهم ما الذي نقصه من الايمان فانه نقصه الاعمال التي عملها غيره والتي ربنا عز وجل اعلم بمقاديرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومما يبين ان اسم الايمان في الشريعة منقول عن موضوعه في اللغة وان الكفر ايضاً كذلك فان الكفر في اللغة التغطية وسمى الزراع كافراً لتغطيته الحب وسمى الليل كافراً لتغطيته كل شيء قال الله عز وجل * فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع * وقال تعالى * كزرع اعجب الكفار نباته * يعني الزراع وقال لبيدبن ربيعة • يمينها القت زكاة في كافر • يعني الليل ثم نقل الله تعالى اسم الكفر في الشريعة الى جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الانبياء صحت نبوته في القرآن أو جحد شيء مما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بان العمل به كفر مما قد بيناه في كتاب الايصال والحمد لله رب العالمين فلو ان انساناً قال ان محمداً عليه الصلاة والسلام كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطاغوت كما قال تعالى * فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها * لما اختلف احد من اهل الاسلام في ان قائل هذا محكوم له بالكفر وكذلك لو قال ان ابليس وفرعون وابا جهل مؤمنون لما اختلف احد من اهل الاسلام في ان قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصح عند كل ذي مسكة من تمييز ان اسم الايمان والكفر منقولان في الشريعة

العقول الهيولانية منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه آخر وليس يخص فعله بالعقول والنفوس بل وكل صورة في العالم فانما هي من فيضه العام فيعطي كل قابل ما استعد له من الصور واعلم ان الجسم وقوة في جسم لا يوجد شيئاً فان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة طبيعتها عدمية فلو أثر الجسم لاثر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يوثر في الوجود فالعقل الفعال هو المجرد عن المادة وعن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه وأما الثاني من الاحوال الخاصة بالنفس النوم والرؤيا فالنوم غرور القوة الظاهرة في أعماق البدن وانحساس الارواح من الظاهر الى الباطن ونعني بالارواح هاهنا أجساماً لطيفة مركبة من بخار الاخلاط التي منبعها القلب وهي مراكب القوى النفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدة في مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواس ورقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يورد الحواس عليها فاذا وجدت فرصة الفراغ ورفع عنها المانع واستعدت الابصار للجواهر الروحانية

عن موضوعها في اللغة بيقين لا شك فيه وانه لايجوز ايقاع اسم الايمان المطلق على معنى التصديق باي شيء صدق به المرء ولا يجوز ايقاع اسم الكفر على معنى التغطية لاي شيء غطاه المرء لكن على ما اوقع الله تعالى عليه اسم الايمان واسم الكفر ولا مزيد وثبت يقيناً ان ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن ولاجماع اهل الاسلام اولهم عن آخرهم وبالله تعالى التوفيق وبقى حكم التصديق على حاله في اللغة لا يختلف في ذلك انسى ولا جني ولا كافر ولا مؤمن فكل من صدق بشيء فهو مصدق به فمن صدق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصدق بما لا يتم الايمان الا به فهو مصدق بالله تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم وليس مؤمناً ولا مسلما لكنه كافر مشرك لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين

اعتراضات للمرجئية الطبقات الثلاث المذكورة

﴿قال ابو محمد﴾ ان قال قائل اليس الكفر ضد الايمان قلنا وبالله تعالى التوفيق اطلاق هذا القول خطأ لان الايمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا فمن تلك المعاني شيء يكون الكفر ضداً له ومنها ما يكون الفسق ضداً له لا الكفر ومنها ما يكون الترك ضداً له لا الكفر ولا الفسق فاما الايمان الذي يكون الكفر ضداً له فهو العقد بالقلب والاقرار باللسان فان الكفر ضد لهذا الايمان واما الايمان الذي يكون الفسق ضداً له لا الكفر فهو ما كان من الاعمال فرضاً فان تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفر واما الايمان الذي يكون الترك له ضداً فهو كل ما كان من الاعمال تطوعاً فان تركه ضد العمل به وليس فسقاً ولا كفراً برهان ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله عز وجل اعمال البر كلها ايماناً وتسميته تعالى ما سمي كفراً وما سمي فسقاً وما

الشريفة العقلية التي فيها نقش الموجودات كلها فانطبع في النفس ما في تلك الجواهر من صور الاشياء لا سيما ما يناسب أغراض الرأي ويكون انطباع تلك الصورة في النفس كانطباع صورة في مرآة فان كانت الصور جزوئية ووقعت من النفس في المصورة وحفظها الحافظة على وجهها من غير تصرف المخيلة صدقت الرؤيا ولا يحتاج الى تعبير وان وقعت في المتخيلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة وهذه تحتاج الى تعبير وتأويل ولما لم تكن تصرفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال اختلف التعبير واذا تحركت المتخيلة منصرفة عن عالم العقل الى عالم الحس واختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا أضغاث أحلام لا تعبير لها وكذلك لو غلبت على المزاج احدى الكيفيات الاربع رأى في المنام أحوالا مختلطة وأما الثالث في ادراك علم الغيب في اليقظة ان بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس ولا يتسع بالقوة للنظر الى عالم العقل والحس جميعاً فيطلع الى عالم الغيب فيظهر له بعض الامور كالبرق الخاطف وبقى المتصور المدرك في الحافظة بعينه وكان ذلك وحياً صريحاً وان وقع في المتخيلة

سمى معصية وما سمى اباحة لا معصية ولا كفراً ولا ايماناً وقد قلنا ان التسمية لله عز وجل لا لاحد غيره فان قال قائل منهم اليس جحد الله عز وجل بالقلب فقط لا باللسان كفراً فلا بد من نعم قال. فيجب على هذا ان يكون التصديق باللسان وحده ايماناً لجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا كان يصح لكم لو كان التصديق بالقلب وحده اوباللسان وحده ايماناً وقد اوضحنا آنفاً انه ليس شيء من ذلك على انفراده ايماناً وانه ليس ايماناً الا ما سماه الله عز وجل ايماناً وليس الكفر الا ما سماه الله عز وجل كفراً فقط فان قال قائل من اهل الطائفة الثالثة أليس جحد الله تعالى بالقلب وباللسان هو الكفر كله فكذلك يجب ان يكون الاقرار بالله تعالى باللسان والقلب هو الايمان كله قلنا وبالله تعالى نتايد ليس شيء مما قلتم بل الجحد لشيء مما صح البرهان انه لا ايمان الا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ما قام البرهان ان النطق به كفر كفر والعمل بشيء مما قام البرهان بانه كفر كفر فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقي منه وما نقص فكله كفر وبعض الكفر اعظم واشد واشنع من بعض وكله كفر وقد اخبر تعالى عن بعض الكفر انه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * ثم قال * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار * وقال تعالى * أدخلوا آل فرعون اشد العذاب * فاخبر تعالى ان قوماً يضاعف لهم العذاب فاذ كل هذا قول الله عز وجل وقوله الحق فالجزاء على قدر الكفر بالنص وبعض الجزاء اشد من بعض بالنصوص ضرورة والايمان ايضاً يتفاضل بنصوص صحاح وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزاء عليه في الجنة يتفاضل بلا خلاف فان قال من الطبقتين الاولتين اليس من قولكم من

واشتغلت بطبيعة المحاكاة كان ذلك مفتقراً الى التأويل وأما الرابع في مشاهدة النفس صوراً محسوسة لا وجود لها وذلك ان النفس تدرك الامور الغائبة ادراكاً قوياً فيبقى عين ما أدركته في الحفظ وقد يقبله قبولاً ضعيفاً فيستولي عليه المتخيلة وتحاكيه بصورة محسوسة واستتبعت الحس المشترك وانطبعت الصورة في الحس المشترك سراية اليه من المصورة والمتخيلة والابصار هو وقوع صورة في الحس المشترك فسواء وقع فيه أمر من خارج بواسطة البصر أو وقع فيه أمرٌ من داخل بواسطة الخيال كان ذلك محسوساً فمنه ما يكون من قوة النفس وقوة آلات الادراك ومنه ما يكون من ضعف النفس والآلات وأما الخامس فالمعجزات والكرامات قال خصائص المعجزات والكرامات ثلاث خاصية في قوة النفس وجوهرها ليؤثر في هيولا العالم بازالة صورة وايجاد صورة وذلك ان الهيولي منقادة لتأثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية في العالم وقد تبلغ نفس انسانية في الشرف الى حد يناسب تلك النفوس فيفعل فعلها وتقوى على ماقويت هي فتزيل جبلاً عن مكانه وتذيب جوهراً فيستحيل ماءً ويجمد

عرف الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم واقربهما بقلبه فقط الا انه منكر بلسانه لكل ذلك او لبعضه فانه كافر وكذلك من قولكم ان من اقر بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم بلسانه فقط الا انه منكر بقلبه لكل ذلك او لبعضه فانه كافر

﴿قال ابو محمد﴾ فجوابنا نعم هكذا نقول قالوا فقد وجب من قولكم اذا كان بما ذكرنا كافراً ان يكون فعله ذلك كفراً ولا بد اذ لا يكون كافراً الا بكفره فيجب على قولكم ان الاقرار بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم بالقلب كفر ولا بد ويكون الاقرار بالله تعالى ايضاً وبرسوله صلى الله عليه وسلم باللسان ايضاً كفر ولا بد وانتم تقولون انهما ايمان فقد وجب على قولكم ان يكونا كفراً ايماناً معاً وفاعلهما كافراً مؤمناً معاً وهذا كما ترون

﴿قال ابو محمد﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا شغب ضعيف والزام كاذب سموه لاننا لم نقل قط ان من اعتقد وصدق بقلبه فقط بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وانكر بلسانه ذلك او بعضه فان اعتقاده لتصديق ذلك كفر ولا انه كان بذلك كافراً وانما قلنا انه كفر بترك اقراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر وبه صار كافراً وبه اباح الله تعالى دمه او اخذ الجزية منه باجماعكم معنا واجماع جميع اهل الاسلام وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغواً محيطاً كأنه لم يكن ليس ايماناً ولا كفراً ولا طاعة ولا معصية قال تعالى *لئن اشركت ليحبطن عملك* وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون* وبالضرورة يدرى كل مسلم ان من حبط عمله وبطل فقد سقط حكمه وتأثيره ولم يبق له رسم وكذلك لم نقل ان من اقر بلسانه وحده بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وجحد بقلبه ان اقراره بذلك بلسانه

كفر

جسما سائلا فيستحيل حجرًا ونسبة هذه النفس الى تلك النفوس كنسبة السراج الي الشمس وكما ان الشمس توثر في الاشياء تسخيناً بالاضاءة كذلك السراج يؤثر بقدرة وأنت تعلم ان للنفس تأثيرات جزئية في البدن فانه اذا حدث في النفس صورة الغلبة والغضب حمي المزاج واحمر الوجه واذا حدثت صورة مشتهاة فيها حدثت في أوعية المني حرارة مبخرة مهيجة للريح حتى يمتلىء به عروق آلة الوقاع فتستعد له والمؤثر هاهنا مجرد التصور لا غير والخاصية الثانية أن تصفو النفس صفاء يكون شديد الاستعداد للاتصال بالعقل الفعال حتى يفيض عليها العلوم فاننا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي تحصل لبعض النفوس حتى تستغنى في اكثر أحواله عن التفكر والتعلم والشريف البالغ منه يكاد زيتها تضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والخاصية الثالثة للقوة المتخيلة بأن تقوى النفس وتتصل في اليقظة بعالم الغيب كما سبق وتحاكي المتخلة ما أدرك النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة فيرى في اليقيظة ويسمع فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذي يراه النبي وتكون المعارف التي تتصل

كفر ولا انه كان به كافراً لكنه كان كافراً بجحده بقلبه لما جحد من ذلك وجحده لذلك هو الكفر وكان اقراره بكل ذلك بلسانه لغواً محبطاً كما ذكرنا لا ايماناً ولا كفراً ولا طاعة ولا معصية وبالله تعالى التوفيق فسقط هذا الايهام الفاسد فان قال قائل منهم اليس بعض الايمان ايماناً وبعض الكفر كفراً واراد ان يلزمنا من هذا ان العقد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح اذا كان ذلك ايماناً فابعاضه اذا انفردت ايمان أو ان نقول ان ابعاض الايمان ليست ايمانا فيموه بهذا ﴿ قال ابو محمد ﴾ لجوابنا وبالله تعالى التوفيق اننا نقول ونصرح انه ليس بعض الايمان ايماناً اصلا بل الايمان متركب من اشياء اذا اجتمعت صارت ايماناً كالبلق ليس السواد وحده بلقا ولا البياض وحده بلقاً فاذا اجتمعا صارا بلقاً وكالباب ليس الخشب وحده باباً ولا المسامير وحدها بابا فاذا اجتمعا على شكل سمي حينئذ باباً وكالصلاة فان القيام وحده ليس صلاة ولا الركوع وحده صلاة ولا الجلوس وحده صلاة ولا القراءة وحدها صلاة ولا الذكر وحده صلاة ولا استقبال القبلة وحده صلاة اصلا فاذا اجتمع كل ذلك سمي المجتمع حينئذ صلاة وكذلك الصيام المفترض والمندوب اليه ليس صيام كل ساعة من النهار على انفرادها صياماً فاذا اجتمع صيامها كلها يسمى صياماً وقد يقع في اليوم الاكل والجماع والشراب سهواً فلا يمنع ذلك من ان يكون صيامه صحيحاً والتسمية لله عز وجل كما قدمنا لا لاحد دونه بل من الايمان شيء اذا انفرد كان كفراً كمن قال مصدقاً بقلبه لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا ايمان فلو افرد لا اله وسكت سكوت قطع كفر بلا خلاف من احد ثم نسألهم فنقول لهم فاذا انفرد صيامه او صلاته دون ايمان اهي طاعة فمن قولهم لا فقد صاروا فيما أرادوا ان يموهوا به علينا من ان ابعاض الطاعات اذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصية واذا اجتمعت كانت طاعة

بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع في الحس المشترك فيكون مسموعاً قال والنفوس وان اتفقت في النوع الا انها تتمايز بخواص وتختلف أفاعيلها اختلافات عجيبة وفي الطبيعة أسرار والاتصالات العلويات بالسفليات عجائب وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد وبعد فما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل عبرة للمحصل فمن سمعه فاشمأز عنه فليتهم نفسه فانها لا تناسبه وكل ميسر لما خلق له تمت الطبيعيات بحمد الله

(آراء العرب في الجاهلية)

قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأجملنا القول فيه حيث كانت المقارنة بين الفريقين والمقاربة بين الامتين مقصورة على اعتبار خواص الاشياء والحكم بأحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيات الاشياء والحكم بأحكام الطبائع والغالب عليهم الاكتساب والجهد والآن نذكر أقاويل العرب في الجاهلية ونعقبها بذكر أقاويل الهند وقبل ان نشرع في مذاهبهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قالوا اذا كان النطق باللسان عندكم ايماناً فيجب اذا عدم النطق بأن يسكت الانسان بعد اقراره ان يكون سكوته كفرا فيكون بسكوته كافراً قلنا ان هذا يلزمنا عندكم فما تقولون ان سألكم اصحاب محمد بن كرام فقالوا لكم اذا كان الاعتقاد بالقلب هو الايمان عندكم فيجب اذا سها عن الاعتقاد واحضاره ذكره اما في حال حديثه مع من يتحدث او في حال فكره او نومه ان يكون كافراً وان يكون ذلك السهو كفراً فجوابهم انه محمول على ماصح منه من الاقرار باللسان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونقول للجهمية والاشعرية في قولهم ان جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كان كل ذلك باللسان فانه ليس كفراً لكنه دليل على ان في القلب كفراً اخبرونا عن هذا الدليل الذي ذكرتم اتقطعون به فتثبتونه يقيناً ولا تشكون في ان في قلبه جحداً للربوبية وللنبوة ام هو دليل يجوز ويدخله الشك ويمكن ان لا يكون في قلبه كفر ولا بد من احدهما فان قالوا انه دليل لانقطع به قطعاً ولا نثبته يقيناً قلنا لهم فما بالكم تحتجون بالظن الذي قال تعالى فيه * ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغني من الحق شيئاً * واعجب من هذا انكم انما قلتم ان اعلان الكفر انما قلنا انه دليل على ان في القلب كفراً لان الله تعالى سماهم كفاراً فلا يمكننا رد شهادة الله تعالى فعاد هذا البلاء عليكم لانكم قطعتم انها شهادة الله عز وجل ثم لم تصدقوا شهادته ولا قطعتم بها بل شككتم فيها وهذا تكذيب من لا خفاء به واما نحن فمعاذ الله من ان نقول او نعتقد ان الله تعالى شهد بهذا قط بل من ادعى ان الله شهد بان من أعلن الكفر فانه جاحد بقلبه فقد كذب على الله عز وجل وافترى عليه بل هذه شهادة الشيطان التي أضل بها اولياءه وما شهد الله تعالى الا بضد هذا وبانهم يعرفون الحق ويكتمونه ويعرفون ان الله تعالى حق وان محمداً رسول الله صلى الله

نريد ان نذكر حكم البيت العتيق ونصل بذلك حكم البيوت المبنية في العالم فان منها مابني على دين الحق قبلة للناس ومنها ما بني على الرأي الباطل فتنة للناس وقد ورد في التنزيل ان *أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين* وقد اختلفت الروايات في أول من بناه قيل ان آدم لما هبط الى الارض وقع الى سرنديب من أرض الهند وكان يتردد في الارض متحيراً بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتى وافى حواء بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الى أرض مكة ودعا وتضرع الى الله تعالى حتى يأذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافاً لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فأنزل الله تعالى عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجه اليه ويطوف به ثم لما توفى تولى وصيه شيث بناء البيت من الحجر والطين على الشكل المذكور حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ثم لما خربت ذلك بطوفان نوح وامتد الزمان حتى غيض الماء وقضي الأمر وانتهت النبوة الى الخليل ابراهيم وحمله هاجر الى الموضع

الله عليه وسلم حقاً ويظهرون بألسنتهم خلاف ذلك وما سماهم الله عز وجل قط كفاراً الا بما ظهر منهم بالسنتهم وافعالهم كما فعل بابليس واهل الكتاب وغيرهم وان قالوا بل يثبت بهذا الدليل ونقطع به ونوقن ان كل من أعلن بما يوجب اطلاق اسم الكفر عليه في الشريعة فانه جاحد بقلبه قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق هذا باطل من وجوه (اولها) انه دعوى بلا برهان (وثانيها) انه علم غيب لايعلمه الا الله عز وجل والذي يضمره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أبعث لاشق عن قلوب الناس فمدعى هذا مدعى علم غيب ومدعى علم الغيب كاذب (وثالثها) ان القرآن والسنن كما ذكرنا قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل (ورابعها) ان كان الامر كما تقولون فمن اين اقتصرتم بالايمان على عقد القلب فقط ولم تراعوا اقرار اللسان وكلاهما عندكم مرتبط بالآخر لايمكن انفرادهما وهذا يبطل قولكم انه اذا اعتقد الايمان بقلبه لم يكن كافراً باعلانه الكفر فجوزتم أن يكون يعلن الكفر من يبطن الايمان فظهر تناقض مذهبهم وعظيم فساده (وخامسها) انه كان يلزمهم اذا كان اعلان الكفر باللسان دليلا على الجحد بالقلب والكفر به ولا بد فان اعلان الايمان باللسان يجب ايضاً ان يكون دليلا قاطعاً باتاً ولا بد على ان في القلب ايماناً وتصديقاً لاشك فيه لان الله تعالى سمى هؤلاء مؤمنين كما سمى اؤلئك كفاراً ولا فرق بين الشهادتين فان قالوا ان الله تعالى قد أخبر عن المنافقين المعلنين بالايمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهم وكذلك اعلمنا الله تعالى واخبرنا ان ابليس واهل الكتاب والكفار بالنبوة انهم يعلنون الكفر ويبطنون التصديق ويؤمنون بان الله تعالى حق وان رسوله حق يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولا فرق وكل ما موهتم به من الباطل والكذب في هؤلاء امكن للكرامية مثله سواء بسواء في المنافقين وقالوا لم يكفروا

المبارك وولادة اسماعيل هناك ونشوؤه وتربيته ثمت وعود ابراهيم اليه واجتماعه به في بناء البيت وذلك قوله تعالى * واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * فرفعا قواعد البيت على مقتضى اشارة الوحي مرعياً فيه جميع المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محفوظاً فيها جميع المناسبات التي بينها وبين الشرع وتقبل الله ذلك منهما وبقي الشرف والتعظيم الى زماننا والى يوم القيامة دلالة على حسن القبول فاختلفت آراء العرب في ذلك وأول من وضع فيه الاصنام عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكة واستولى على أمر البيت ثم صار الى مدينة البلقا بالشام فرآى قوماً يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهيا كل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فأعجبه ذلك وطلب منهم صنماً من أصنامهم فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة وكان معه أساف ونائلة على شكل زوجين فدعا الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله تعالى وكان ذلك في أول ملك شابور ذي الاكتاف الى ان أظهر الله الاسلام وأخرجت وأبطلت

قط بابطانهم الكفر لكن لما سماهم الله بانهم آمنوا ثم كفروا علمنا انهم نطقوا بعد ذلك بالكفر والجحد بشهادة الله تعالى بذلك كما ادعيتم انتم شهادته تعالى على ما في نفوس الكفار ولا فرق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلتا الشهادتين من هاتين الطائفتين كذب على الله عز وجل وما شهد الله عز وجل قط على ابليس واولى الكتاب بالكفر الا بما اعلنوه من الاستخفاف بالنبوة وبآدم وبالنبي صلى الله عليه وسلم فقط ولا شهد تعالى قط على المنافقين بالكفر الا بما ابطنوه من الكفر فقط واما هذا فتحريف للكلم عن مواضعه وافك مفترى ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونظروا قولهم قالوا مثل هذا ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل هذه الدار اليوم الا كافر أو يقول كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كافر قالوا فدخول تلك الدار دليل على انه يعتقد الكفر لا أن دخول الدار كفر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا كذب وتمويه ضعيف بان دخول تلك الدار في ذلك اليوم كفر محض مجرد وقد يمكن ان يكون الداخل فيها مصدقاً بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم الا ان تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار برهان ذلك انه لا يختلف اثنان من أهل الاسلام في ان دخول تلك الدار لا يحل البتة لعائشة ولا لأبي بكر ولا لعلي ولا لاحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا لاحد من أصحابه رضي الله عنهم كما ان الله تعالى قد نص على انه علم ما في قلوبهم وأنزل السكينة عليهم واذ ذلك كذلك فقد وجب ضرورة انهؤلاء رضي الله عنهم لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفاراً بلا شك بنفس دخولهم فيها ولحبط ايمانهم فان قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا كانوا هم قد كفروا لانهم بهذا القول قاطعون بان كلامه صلى الله عليه وسلم كذب في قوله لا يدخلها الا كافر

وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه الباني الاول على طوالع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر اكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستند الى الوحي على يدي أصحاب الوحي ثم اعلم ان البيوت تنقسم الى بيوت الاصنام وبيوت النيران وقد ذكرنا مواضع التي كان بيوت النيران ثمة في مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية على السبع الكواكب فمنها ما كانت فيها أصنام فحولت الى النيران ومنها ما لم تحول ولقد كان بين أصحاب الاصنام وبين أصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دول فيما بينهم وكان كل من استولى وقهر غير البيت الى مشاعر مذهبه ودينه ومنها بيت فارس على رأس جبل باصفهان على ثلاث فراسخ كانت فيه أصنام الى ان أخرجها كستاشف الملك لما تمجس وجعلها بيت نار ومنها البيت الذي بمولتان من أرض الهند فيه أصنام لم تغير ولم تبدل ومنها بيت سدوسان من أرض

واحتج بعضهم في هذا المكان بقول الاخطل النصراني لعنه الله اذ يقول

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ فجوابنا على هذا الاحتجاج ان نقول ملعون ملعون قائل هذا البيت وملعون ملعون من جعل قول هذا النصراني حجة في دين الله عز وجل وليس هذا من باب اللغة التي يحتج فيها بالعربي وان كان كافراً وانما هي قضية عقلية فالعقل والحس يكذبان هذا البيت وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصراني اللعين اذ يقول عز وجل * يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم * فقد أخبر عز وجل بان من الناس من يقول بلسانه ما ليس في فؤاده بخلاف قول الاخطل لعنه الله ان الكلام لفي الفؤاد واللسان دليل على الفؤاد فاما نحن فنصدق الله عز وجل ونكذب الاخطل ولعن الله من يجعل الاخطل حجة في دينه وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان الله عز وجل قال * ولتعرفنهم في لحن القول * قلنا لولا ان الله عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ما كان لحن قولهم دليلا عليهم ولم يطلق الله تعالى هذا على كل احد بل على أولئك خاصة بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك اذ يقول * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم * فهؤلاء من اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق لم يعلمهم قط رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحن قولهم ولو ان الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضه ببعض واخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا لكن * من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً * وقد قال عز وجل * ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملي لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط

الهند أيضاً وفيه أصنام كبيرة كثيرة العجب والهند يأتون البيتين في أوقات من السنة حجاً وقصداً اليها ومنها النور بهار الذي بناه منوجهر بمدينة بلخ على اسم القمر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ ومنها بيت غمدان الذي بمدينة صنعاء اليمن بناه الضحاك على اسم الزهرة وخربه عثمان ذو النورين ومنها بيت كاووسان بناه كاووس الملك بناء عجيباً على اسم الشمس بمدينة فرغانة وخربه المعتصم واعلم ان العرب أصناف شتى فمنهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل معطلة العرب وهي أصناف فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد * وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر * اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى * أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض * وقال * أولم

الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * فجعلهم تعالى مرتدين كفاراً بعد علمهم الحق وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ما قالوا فقط واخبرنا تعالى انه يعرف اسرارهم ولم يقل تعالى انها جحد او تصديق بل قد صح ان في سرهم التصديق لان الهدى قد تبين لهم ومن تبين له شئ فلا يمكن البتة ان يجحده بقلبه اصلا واخبرنا تعالى انه قد أحبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون * فهذا نص جلي وخطاب للمؤمنين بان ايمانهم يبطل جملة واعمالهم تحبط برفع اصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم دون جحد كان منهم أصلا ولو كان منهم جحد لشعروا له والله تعالى اخبرنا بان ذلك يكون وهم لا يشعرون فصح ان من اعمال الجسد ما يكون كفراً مبطلا لايمان فاعله جملة ومنه ما لا يكون كفراً لكن على ما حكم الله تعالى به في كل ذلك ولا مزيد ﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قال قائل من أين قلتم ان التصديق لا يتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة وشجاعة أشد من شجاعة لا سيما والشجاعة والتصديق كيفيات من صفات النفس معاً فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان كل ما قبل من الكيفيات الاشد والاضعف فانما يقبلها بمزاج يداخله من كيفية أخرى ولا يكون ذلك الا فيما بينه وبين ضده منها وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أو فيما جاز امتزاج الضدين فيه كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجها فتولد حينئذ بالممازجة الشدة والضعف وكالصحة التي هي اعتدال مزاج العضو فاذا مازج ذلك الاعتدال فضل ما كان مرضه بحسب ما مازجه في الشدة والضعف والشجاعة انما هي استسهال النفس للثبات والاقدام عند المعارضة في اللقاء فاذا ثبت الاثنان فاثباتاً واحداً واقدما اقداماً

ينظروا الى ما خلق الله * وقال * يا أيها الناس اعبدوا ربكم لذي خلقكم * فثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * فاستدل عليهم بالنشأة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول فقال * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة * وقال * أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد * وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم نذكرهم وهم الذين أخبر عنهم التنزيل * وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق * الى قوله ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً فاستدل عليهم بأن المرسلين كانوا كذلك قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في

مستوياً فهما في الشجاعة سواء واذا ثبت احدهما او اقدم فوق ثبات الآخر واقدامه كان اشجع منه وكان الآخر قد مازج ثباته او اقدامه جبن واما ما كان من الكيفيات لا يقبل المزاج أصلا فلا سبيل الى وجود التفاضل فيه وكل ذلك على حسب ما خلقه الله عز وجل من كل ذلك ولا مزيد كاللون فانه لاسبيل الى ان يكون لون أشد دخولا في انه لون من لون آخر اذ لو مازج الصدق غيره لصار كذباً في الوقت ولو مازج التصديق شيء غيره لصار شكاً في الوقت وبطل التصديق جملة وبالله تعالى التوفيق والايمان قد قلنا انه ليس هو التصديق وحده بل اشياء مع التصديق كثيرة فانما دخل التفاضل في كثرة تلك الاشياء وقلتها وفي كيفية ايرادها وبالله تعالى التوفيق وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من في قلبه مثقال شعيرة من ايمان ثم من في قلبه مثقال برة من ايمان ثم من في قلبه مثقال ذرّة من ايمان الى ادنى ادنى من ذلك انما أراد عليه السلام من قصد الى عمل شيء من الخير اوهم به ولم يعمله بعد ان يكون مصدقاً بقلبه بالاسلام مقراً بلسانه كما في الحديث المذكور من قال لا اله الا الله وفي قلبه مثقال كذا

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن النصوص على ان الاعمال ايمان قول الله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما * فنص تعالى نصاً جلياً لا يحتمل تأويلاً وأقسم تعالى بنفسه انه لا يؤمن أحد الا من حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين غيره ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلا شك وفي هذا كفاية لمن عقل

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن العجب قولهم ان الصلاة والصيام والزكاة ليست ايماناً لكنها شرائع الايمان

الاسواق وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين احداهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية جحد البعث بعث الرسل فعلى الأولى قالوا * أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون * الى أمثالها من الآيات وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم

حياة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا أم عمرو

ولبعضهم في مرثية أهل بيت المشركين

فماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تكلل بالسنام
يخبرنا الرسول بأن سنحيي
وكيف حياة اصداء وهام

ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيرًا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا غلبهم الرسول فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر وأما على الشبهة الثانية كان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل * وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولا أبشر يهدوننا * فمن كان

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذه تسمية لم يأذن الله تعالى بها ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحداً من الصحابة رضي الله عنهم بل الاسلام هو الايمان وهو الشرائع والشرائع هي الايمان والاسلام وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واختلف الناس في الكفر والشرك فقالت طائفة هي اسمان واقعان على معنيين وان كل شرك كفر وليس كل كفر شركا وقال هؤلاء لا شرك الا قول من جعل لله شريكا قال هؤلاء اليهود والنصارى كفاراً لا مشركن وسائر الملل كفار مشركون وهو قول ابي حنيفة وغيره وقال آخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعي وغيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة الاولى بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين * قالوا ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك مأخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكا فليس مشركا

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه عمدة حجتهم ما نعلم لهم حجة غير هاتين

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما احتجاجهم بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * فلو لم يأت في هذا المعنى غير هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذي انزل هذه الآية هو القائل * اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً * وقال تعالى * يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله * وقال تعالى عنهم انهم قالوا أن الله ثالث ثلاثة وهذا كله تشريك ظاهر لا خفاء فاذ قد صح الشرك والتشريك في القرآن من اليهود والنصارى فقد صح انهم مشركون وان الشرك والكفر اسمان لمعني واحد وقد قلنا ان التسمية لله عز وجل لا لنا فاذ ذلك كذلك فقد صح ان قوله تعالى *

الذين

يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك ومن كان لا يعترف بهم كان يقول التشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة اما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل ودًا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرًا وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهزيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق لهمدان ونسر لذي الكلاع بأرض حمير وأما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بني كنانة وقوم من بني سليم ومناة للاوس والخزرج وغسان وهبل أعظم أصنامها عندهم وكان على ظهر الكعبه وأساف ونائلة على الصفا والمروة وضعها عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم أساف بن عمرو ونائلة بنت سهل ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما على الصفا وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذي يقول فيه قائله

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كقوله تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً * ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام في أن المنافقين كفار وكقوله تعالى * قل من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * ولا خلاف في ان جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى * فيها فاكهة ونخل ورمان * والرمان من الفاكهة والقرآن نزل بلغة العرب والعرب تعيد الشيء باسمه وان كانت قد اجملت ذكره تأكيداً لامره فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بان لفظ الشرك مأخوذ من الشريك فقد قلنا ان التسمية لله عز وجل لا لاحد دونه وله تعالى ان يوقع اي اسم شاء على اي مسمى شاء برهان ذلك ان من اشرك بين عبدين له في عمل ما او بين اثنين في هبة وهبها لهما فانه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل ان يقال ان فلاناً أشرك ولا ان عمله شرك فصح انها لفظة منقولة ايضاً عن موضوعها في اللغة كما ان الكفر لفظة منقولة ايضاً عن موضوعها إلى ما اوقعها الله تعالى عليه والتعجب من أهل هذه المقالة وقولهم ان النصارى ليسوا مشركين وشركهم اظهر وأشهر من ان يجهله احد لانهم يقولون كلهم بعبادة الآب والابن وروح القدس وان المسيح اله حق ثم يجعلون البراهمة مشركين وهم لا يقرون الا بالله وحده ولقد كان يلزم اهل هذه المقالة ان لا يجعلوا كافراً الا من جحد الله تعالى فقط فان قال قائل كيف اتخذ اليهود والنصارى ارباباً من دون الله وهم ينكرون هذا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان التسمية لله عز وجل فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم احبارهم ورهبانهم ويحلون ما احلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ ارباب من دون الله وعبادة وهذا هو الشرك بلا خلاف

وهل سعد الاصفرة بتنوفة
من الارض لا يدعو لغيّ ولا رشد

وكانت العرب اذا لبت وهللت قالت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه ومالكه ومن العرب من كان يميل الي اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يصبو الى الصابئة ويعتقد في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ومنهم من يصبو الى الملائكة فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . المحصلة من العرب اعلم ان العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة أنواع من العلوم * أحدها علم الانساب والتواريخ والاديان ويعدونه نوعاً شريفاً خصوصاً معرفة أنساب اجداد النبي عليه الصلاة والسلام والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل وتواصله في ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبد المطلب سيد الوادي سني المجد وسجد له الفيل الاعظم وعليه قصة أصحاب الفيل وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شر ابرهت وارسل عليهم طيراً أبابيل وببركة ذلك النور رأي تلك

كما سمى كفرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل وان كانوا مصدقين به تعالى لكن لما احبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة فان قالوا كيف تقولون ان الكفار مصدقون بالله تعالى والله تعالى يقول * لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى* ويقول تعالى * واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم * قلنا وبالله تعالى نتايد ان كل من خرج الى الكفر بوجه من الوجوه فلا بد له من ان يكون مكذباً بشيء مما لا يصح الاسلام الا به اورد أمراً من امور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب بذلك الشيء الذي رده أو كذب به ولم يقل الله تعالى الذي كذب بالله عز وجل لكن قال كذب وتولى ولا قال تعالى واما ان كان من المكذبين بالله وانما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط فمن كذب بامر من أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب على الاطلاق كما سماه الله تعالى وان كان مصدقاً بالله تعالى وبما صدق به

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان قالوا كيف تقولون ان اليهود عارفون بالله تعالى والنصارى والله تعالى يقول * قاتلوا الذين لا يؤمنوا بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب * قلنا وبالله تعالى التوفيق قد قلنا ان التسمية الى الله عز وجل لا لاحد دونه وقلنا ان اسم الايمان منقول عن موضوعه في اللغة عن التصديق المجرد الى معنى آخر زائد مع التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعاني بطل تصديقهم جملة واستحقوا ببطلانه ان يسموا غير مؤمنين بالله ولا باليوم الآخر فان قيل فهل هم مصدقون بالله وباليوم الآخر قلنا نعم فان قيل ففيهم موحدون لله تعالى قلنا نعم فان قيل فيهم مؤمنون بالله وبالرسول وباليوم الآخر قلنا لا لان الله تعالى نص على كل ما قلنا فاخبر تعالى انهم يعرفونه ويقرون به ويعرفون نبيه صلى الله عليه وسلم

الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف التي دفنها جرهم وببركة ذلك النور ألهم عبد المطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده وبه افتخر النبي عليه الصلاة والسلام حين قال أنا ابن الذبيحين أراد بالذبيح الاول اسماعيل وهو اول من انحدر اليه النور فاختفى وبالذبيح الثاني عبد الله ابن عبد المطلب وهو آخر من انحدر اليه النور فظهر كل الظهور وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يأمر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركة ذلك النور قد سلم اليه النظر في حكومات العرب والحكم في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة وينظر في حكومات القوم وببركة ذلك النور قال لابرهت ان لهذا البيت ربا يذب عنه ويحفظه وفيه قال وقد صعد جبل ابي قبيس

لاهم ان المرء ع
نع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكع
بتنا فأمر ما بدالك

وببركة ذلك النور كان يقول في

وانه نبي فاقررنا بذلك وأسقط تعالى عنهم اسم الايمان فاسقطناه عنهم ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى وخالف القرآن وعاند الرسول وخرق اجماع أهل الاسلام وكابر حسه وعقله مع ذلك وبالله تعالى التوفيق وهكذا نقول فيمن كان مسلما ثم أطلق واعتقد ما يوجب الخروج عن الاسلام كالقول بنبوة انسان بعد النبي صلى الله عليه وسلم أو تحليل الخمر أو غير ذلك فانه مصدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم موحد عالم بكل ذلك وليس مؤمناً مطلقاً ولا مؤمناً بالله تعالى ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر لما ذكرنا آنفاً ولا فرق لاجماع الامة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

الكلام في تسمية المؤمن بالمسلم والمسلم بالمؤمن وهل الايمان والاسلام اسمان لمسمى واحد ومعنى واحد أو لمسميين ومعنيين

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان الاسلام والايمان اسمان واقعان على معنيين وانه قد يكون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقول الله عزوجل * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم * وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له سعد هل لك يا رسول الله في فلان فانه مؤمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلم : وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في صورة فتى غير معروف العين فسأله عن الاسلام فاجابه باشياء في جملتها اقام الصلاة وايتاء الزكاة واعمال أخر مذكورة في ذلك الحديث وسأله عن الايمان فاجابه باشياء من جملتها ان تؤمن بالله وملائكته وبحديث لا يصح من ان المرء يخرج عن الايمان الى الاسلام وذهب آخرون الى ان الايمان والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد واحتجوا بقول الله عزوجل

وصاياه ان لن يخرج من الدنيا ظلوم حتي ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر فقال والله ان وراء هذه الدار داراً يجزي فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب باساءته ومما يدل على اثباته المبدأ والمعاد انه كان يضرب بالقداح على ابنه عبد الله و يقول

يارب أنت الملك المحمود
وأنت ربي المبدء والمعيد
من عندك الطارف والتليد

ومما يدل على معرفته بجال الرسالة وشرف النبوة ان أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب العظيم وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر أباطالب ابنه ان يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع في قماط فوضعه علي يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وقال يارب بحق هذا الغلام ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول بحق هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلا فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وأمطر حتى خافوا على المسجد وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللامي الذي منه

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

* فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وبقوله تعالى * يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ والذي نقول به وبالله تعالى التوفيق ان الايمان اصله في اللغة التصديق على الصفة التي ذكرنا قبل ثم اوقعه الله عز وجل في الشريعة على جميع الطاعات واجتناب المعاصي اذا قصد بكل ذلك من عمل او ترك وجه الله عز وجل وان الاسلام اصله في اللغة التبرؤ تقول أسلمت امر كذا الى فلان اذا تبرأت منه اليه فسمي المسلم مسلما لأنه تبرأ من كل شيء الى الله عز وجل ثم نقل الله تعالى اسم الاسلام ايضاً الى جميع الطاعات وايضاً فان التبرؤ الى الله من كل شيء هو معنى التصديق لأنه لا يبرأ الى الله تعالى من كل شيء حتى يصدق به فاذا اريد بالاسلام المعنى الذي هو خلاف الكفر وخلاف الفسق فهو والايمان شيء واحد كما قال تعالى * لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان * وقد يكون الاسلام ايضاً بمعنى الاستسلام اي انه استسلم للملة خوف القتل وهو غير معتقد لها فاذا اريد بالاسلام هذا المعنى فهو غير الايمان وهو الذي اراد الله تعالى بقوله * لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم * وبهذا تتألف النصوص المذكورة من القرآن والسنن وقد قال تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فهذا هو الاسلام الذي هو الايمان فصح ان الاسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على انها لفظة منقولة عن موضوعها في اللغة ان الاسلام في اللغة هو التبرؤ فأي شيء تبرأ منه المرء فقد اسلم من ذلك الشيء وهو مسلم كما ان من صدق بشيء فقد آمن به وهو مؤمن به وبيقين لا شك فيه يدرى كل واحد ان كل كافر على وجه الارض فانه مصدق باشياء كثيرة

يطيف به الهلال من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبري محمداً
ولما نطاعن دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال العباس بن عبد المطلب في النبي عليه الصلاة والسلام قصيدة منها

من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن في
خندق علياء تحتها النطق
وأنت لما ظهرت أشرقت الا
أرض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي الا
نور وسبل الرشاد نخترق

وأما النوع الثاني من العلوم فهو الرؤيا وكان أبو بكر ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية ويصيب فيرجعون اليه ويستخبرون عنه والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن هذا قال عليه الصلاة والسلام من قال مطرنا بنوء كذا

من

من أمور دنياه ومتبرئ من اشياء كثيرة ولا يختلف اثنين من اهل الاسلام في انه لا يحل لاحد ان يطلق على الكافر من اجل ذلك انه مؤمن ولا انه مسلم فصح يقيناً ان لفظة الاسلام والايمان منقولة عن موضوعها في اللغة الى معان محدودة معروفة لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله عز وجل بها الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم انه من اتى بها استحق اسم الايمان والاسلام وسمي مؤمناً مسلماً ومن لم يأت بها لم يسم مؤمناً ولا مسلماً وان صدق بكل شيء غيرها اوتبرأ من كل شيء حاشى ما اوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما في اللغة لأن الكفر في اللغة التغطية والشرك أن تشرك شيئاً مع آخر في اي معنى جمع بينهما ولا خلاف بين احدمن اهل التمييز في ان كل مؤمن في الارض في انه يغطي اشياء كثيرة ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام في انه لا يجوز ان يطلق عليه من اجل ذلك الكفر ولا الشرك ولا ان يسمى كافراً ولا مشركا وصح يقيناً ان الله تعالى نقل اسم الكفر والشرك الى انكار اشياء لم تعرفها العرب والى اعمال لم تعرفها العرب قط كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان أو غير ذلك من الشرائع التي لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله تعالى بها وحيه او كمن عبد وثنا فمن اتى بشيء من تلك الاشياء سمي كافراً او مشركاً ومن لم يأت بشيء من تلك الاشياء لم يسم كافراً ولا مشركاً ومن خالف هذا فقد كابر الحس وجحد العيان وخالف الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والقرآن والسنن واجماع المسلمين وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ واختلف الناس في قول المسلم انا مؤمن فروينا عن ابن مسعود وجماعة من اصحابه الافاضل ومن بعده من الفقهاء انه كره ذلك وكان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال بعضهم آمنت بالله وملائكته

فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها لانها نوع تحصيل فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفي وينتظر المقدم النبوي زيد بن عمرو بن نفيل كان يسند ظهره الى الكعبة ويقول أيها الناس هلموا الي فانه لم يبق على دين ابراهيم أحد غيري وسمع أمية بن أبي الصلت يوما ينشد

كل دين يوم القيامة عند الل
ه الا دين الحنيفة زور

فقال له صدقت وقال زيد ايضاً

فلن تكون لنفسي منك واقية
يوم الحساب اذا مايجمع البشر

ومن كان يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الحساب قس بن ساعدة الايادي قال في مواعظه كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد ولان ذهب ليعودن يوماً وقال ايضاً

كلا بل هو الله اله واحد
ليس بمولود ولا والد
أعاد وأبدى
واليه المآب غدا

وأنشأ في معنى الاعادة

ياباكي الموت والاموات في جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم

وكتبه ورسله وكانوا يقولون من قال انا مؤمن فليقل انه من اهل الجنة ﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا ابن مسعود واصحابه حجج في اللغة فاين جهال المرجئة المموهون في نصر بدعتهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ والقول عندنا في هذه المسئلة ان هذه صفة يعلمها المرء من نفسه فان كان يدري انه مصدق بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبكل ما أتى به عليه السلام وانه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه ان يعترف بذلك كما امر تعالى اذ قال تعالى * واما بنعمة ربك فحدث * ولا نعمة اوكد ولا افضل ولا اولى بالشكر من نعمة الاسلام فواجب عليه ان يقول انا مؤمن مسلم قطعاً عند الله تعالى في وقتي هذا ولا فرق بين قوله انا مؤمن مسلم وبين قوله انا اسود او انا ابيض وهكذا سائر صفاته التي لايشك فيها وليس هذا من باب الامتداح والعجب في شيء لانه فرض عليه ان يحقن دمه بشهادة التوحيد قال تعالى * قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون * وقول ابن مسعود عندنا صحيح لان الاسلام والايمان اسمان منقولان عن موضوعهما في اللغة الى جميع البر والطاعات فانما منع ابن مسعود من القول بانه مسلم مؤمن على معنى انه مستوف لجميع الطاعات وهذا صحيح ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك وما منع رضي الله عنه من ان يقول المرء اني مؤمن بمعنى مصدق كيف وهو يقول قل آمنت بالله ورسله اي صدقت واما من قال فقل انك في الجنة فالجواب اننا نقول ان متنا على ما نحن عليه الآن فلا بد لنا من الجنة بلا شك وبرهان ذلك انه قد صح من نصوص القرآن والسنن والاجماع ان من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به ولم يأت بما هو كفر فانه في الجنة الا اننا لا ندري ما

كما ينبه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم
خلق مضي ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم
منها الجديد ومنها الازرق الخلق

ومنهم عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول في آخرها اني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال اني أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى قال حتى يرجع الميت حياً ويعود اللاشي شيئاً ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين وقال ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها وكان قد حرم الخمر علي نفسه فيمن حرمه وقال فيه شعراً

ان اشرب الخمر اشربها للذتها
وان أدعها فاني ماقت قالي
لولا اللذاذة والقيان لم أرها
ولا رأتني الا من مدى العالي
سألت الفتى ما ليس في يده
ذهابة بعقول القوم والمال
مورث القوم اضغاناً بلا احن
ومزر يا بالفتى ذي النجدة الحالي
أقسمت بالله أسقيها وأشربها
حتي تمزق ترب الارض اوصالي

يفعل بنا في الدنيا ولا نأمن مكر الله تعالى ولا اضلاله ولا كيد الشيطان ولا ندري ماذا نكسب غداً ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في تسمية المذنب من اهل ملتنا فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الايمان وان لم يعمل خيراً قط ولا كف عن شر قط وقال بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن باي ذنب كان منه صغيراً أو كبيراً ولو فعله على سبيل المزاح وقالت الصفرية ان كان الذنب من الكبائر فهو مشرك كعابد الوثن وان كان الذنب صغيراً فليس كافراً وقالت الاباضية ان كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته ومناكحته وأكل ذبيحته وليس مؤمناً ولا كافراً على الاطلاق وروى عن الحسن البصري وقتادة رضي الله عنهما ان صاحب الكبيرة منافق وقالت المعتزلة ان كان الذنب من الكبائر فهو فاسق ليس مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً واجازوا مناكحته وموارثته واكل ذبيحته قالوا وان كان من الصغاير فهو مؤمن لا شيء عليه فيها وذهب اهل السنة من اصحاب الحديث والفقهاء الى انه مؤمن فاسق ناقص الايمان وقالوا الايمان اسم معتقده واقراره وعمله الصالح والفسق اسم عمله السيء الا ان بين السلف منهم والخلف اختلافاً في تارك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها وتارك الصوم لو مضى كذلك وتارك الزكاة وتارك الحج كذلك وفي قاتل المسلم عمداً وفي شارب الخمر وفيمن سب نبياً من الانبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثاً قد صح عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ ابن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعن ابن المبارك واحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ان من ترك صلاة فرض عامداً ذاكراً حتى يخرج وقتها فانه كافر مرتد وبهذا يقول عبد الله

ومن كان قد حرم الخمر في الجاهلية قيس بن عاصم التميمي وصفوان بن أمية بن محرب الكناني وعفيف بن معدي كرب الكندي وقالوا فيها وقال الا سلوم اليالي وقد حرم الزنا والخمر شعراً

سالمت قومي بعد طول مضاضة
والسلم أبقى في الامو وأعرف
وتركت شرب الراح وهي أميرة
والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكرماً
وكذاك يفعل ذو الحجى المتعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالى وبخلق آدم عبد الطابخة بن ثعلب ابن وبرة من قضاعة قال فيه

أدعوك يا ربي بما أنت أهله
دعاء غريق قد تشبث بالعصم
لانك أهل الحمد والخير كله
وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت الذي لم يحيه الدهر ثانياً
ولم ير عبد منك في صالح وجم
وأنت القديم الاول الماجد الذي
تبدأت خلق الناس في اكتم العدم
فأنت الذي أحللتني غيب ظلمة
الى ظلمة من صلب آدم في ظلم

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى كان يمر الغضاة وقد أورقت بعد يبس فيقول لولا ان تسبني العرب لآمنت بمن أحياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم ثم آمن بعد ذلك وقال

ابن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الاندلسي وغيره وروينا عن عمر رضي الله عنه مثل ذلك في تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك في تارك الزكاة والصيام وفي قاتل المسلم عمداً وعن ابي موسى الاشعري وعبد الله بن عمرو بن العاص في شارب الخمر وعن اسحق بن راهويه ان من رد حديثاً صحيحاً عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج من كفر المذنبين بقول الله عز وجل * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * وبقوله تعالى * فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى والمكذب المتولي كافر فهؤلاء كفار

﴿ قال ابو محمد ﴾ والعجب ان المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه الآية نفسها فقالوا قد اخبرنا ان الله عز وجل ان النار لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى فصح ان من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها قالوا ووجدنا هؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا بل هم مصدقون معترفون بالايمان فصح انهم لا يصلونها وان المراد بالوعيد المذكور في الآيات المنصوصة انما هو فعل تلك الافاعيل من الكفار خاصة

﴿ قال أبو محمد ﴾ واحتج أيضاً من كفر من ذكرنا باحاديث كثيرة منها سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرو حين ينهبها وهو مؤمن وترك الصلاة شرك وان كفراً بكم ان ترغبوا عن آبائكم ومثل هذا كثير

﴿ قال أبو محمد ﴾ وما نعلم لمن قال هو منافق حجة أصلا ولا لمن قال انه كافر نعمة الا انهم نزعوا بقول الله عز وجل * ألم ترَ الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار *

قال

في قصيدته التي أولها

أمن أم أوفى يؤخر
فيوضع كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

ومنهم علاف بن شهاب التميمي كان يؤمن بالله ويوم الحساب وفيه قال

لقد شهدت الخصم يوم رفاعة
فأخذت منه خطة المغتال
وعلمت ان الله جاز عبيده
يوم الحساب بأحسن الاعمال

وكان بعض العرب اذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي حتى أحشر عليها فان لم تفعلوا حشرت على رجلي قال جريدة بن الاشيم الاسدي في الجاهلية وحضره الموت يوصي ابنه سعداً

يا سعد اما اهلكن فانني
أوصيك ان أخا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلاً
في الحشر يصرع لليدين وينكب
وأحمل أباك على بعير صالح
وتقي الخطية انه هو أقرب
ولعل لي مما تركت مطية
في القبر أركبها اذا قيل اركبوا

وقال عمرو بن زيد بن المتمني يوصي ابنه عند موته شعراً

ابني زودني اذا فارقتني
في القبر راحلة برحل قاتر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو ملة ولا اسم دين فمن ادعى اسم دين وملة غير الايمان المطلق والكفر المطلق فقد أتى بما لا دليل عليه وأما من قال هو فاسق لا مؤمن ولا كافر فما لهم حجة اصلا الا انهم قالوا قد صح الاجماع على انه فاسق لان الخوارج قالوا هو كافر فاسق وقال غيرهم هو مؤمن فاسق فاتفقوا على الفسق فوجب القول بذلك ولم يتفقوا على ايمانه ولا على كفره فلم يجز القول بذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خلاف لاجماع من ذكر لانه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه وانما سموا بذلك عمله والاجماع والنصوص قد صح كل ذلك على انه لا دين الا الاسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل في الآخر ولا بداذ ليس بينهما وسيطة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتمية الى الاسلام على صحته وعلى القول به فلم يجعل عليه السلام ديناً غير الكفر والاسلام ولم يجعل ها هنا ديناً ثالثاً أصلاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ واحتجت المعتزلة ايضاً بان قالت قال الله تعالى * أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى قال * افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون * فصح ان هؤلاء الذين سماهم الله تعالى مجرمين وفساقاً واخرجهم عن المؤمنين نصاً فانهم ليسوا على دين الاسلام واذا لم يكونوا على دين الاسلام فهم كفار بلا شك اذ لا دين هاهنا غيرهما اصلا برهان هذا قوله تعالى * فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * وقد علمنا ضرورة انه لا دار الا الجنة او النار وان الجنة لا يدخلها الا المؤمنون المسلمون فقط ونص

للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا
مستوثقين معاً لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته
فالخلق بين مدفع أو عاثر

وكانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي ظهرها أو مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمون الناقة بلية وقال بعضهم يشبه رجالاً في بلية

كالبلايا في أعناقها الولايا

قال محمد ابن السائب الكلبي كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها كانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات وكان أقبح ما يصنعون ان يجمع الرجل بين الاختين أو يخلف على امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن قال أوس بن حجر التميمي يعير قوماً من بني قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم ثلاثة واحداً بعد واحد

ينكبوا فكيهة وامشوا حول قبتها
فكلكم لابيه ضيزن سلف

وكان أول من جمع بين الاختين من قريش أبوا جيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب

الله تعالى على ان النار لا يدخلها الا المكذب المتولي والمتولي المكذب كافر بلا خلاف فلا يخلد في النار الا كافر ولا يدخل الجنة الا مؤمن فصح انه لا دين الا الايمان والكفر فقط واذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين واخرجهم عن المؤمنين فهم كفار مشركون لا يجوز غير ذلك وقال المؤمن محمود محسن ولي لله عز وجل والمذنب مذموم مسيئ عدو لله قالوا ومن المحال ان يكون انسان واحد محموداً مذموماً محسناً مسيئاً عدواً لله ولياً له معاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذي انكروه لا نكرة فيه بل هو امر موجود مشاهد فمن احسن من وجه واساء من وجه آخر كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ولي لله فيما احسن فيه من صلاة وهو مسيئ مذموم عدو لله فيما اساء فيه من الزنا قال عز وجل *وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيأ* فبالضرورة ندري ان العمل الذى شهد الله عز وجل انه سيئ فان عامله فيه مذموم مسيئ عاص لله تعالى ثم يقال لهم ما تقولون ان عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا من المحال ان يكون انسان واحد محموداً مذموماً محسناً مسيئاً عدواً لله ولياً له معاً ثم ارادوا تغليب الحمد والاحسان والولاية واسقاط الذم والاساءة والعداوة كما اردتم انتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والاساءة والعداوة واسقاط الحمد والاحسان والولاية بما ينفصلون عنهم فان قالت المعتزلة ان الشرط في حمده واحسانه وولايته ان تجتنب الكبائر قلنا لهم فان عارضتكم المرجئة فقالت ان الشرط في ذمه واساءته ولعنه وعداوته ترك شهادة التوحيد فان قالت المعتزلة ان الله قد ذم المعاصي وتوعد عليها قيل لهم فان المرجئة تقول لكم ان الله تعالى قد حمد الحسنات ووعد عليها واراد بذلك تغليب الحمد كما اردتم تغليب الذم فان ذكرتم آيات الوعيد ذكروا آيات الرحمة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ما لا مخلص للمعتزلة منه ولا للمرجئة أيضاً

اذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فان كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم يكن له حاجة تزوجها بعض اخوته بمهر جديد قال وكانوا يخطبون المرأة الى ابيها والى أخيه أو عمها أو بعض بني عمها وكان يخطب الكفوء الى الكفوء فان كان أحدهما أشرف من الآخر في النسب رغب له في المال وان كان هجيناً خطب الى هجين فزوجه هجينة مثله ويقول الخاطب اذا أتاهم انعموا صباحاً ثم يقول نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد أصبنا رغبة واصبتمونا وكنا نصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين فان كان قريب القرابة من قومه قال لها أبوها أو أخوها اذا حملت اليه وأيسرت أذكرت ولا أنثت جعل الله منك عدداً وعزاً وخلداً احسني خلقك واكرمي زوجك وليكن طيبك الماء واذا زوجت في غربة قال لها لا أيسرت ولا أذكرت فانك تدنين البعداء وتلدين الاعداء احسني خلقك وتحبي الى احمائك فان لهم عيناً ناظرة عليك وأذناً سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات

فوضح بهذا ان كلا الطائفتين مخطئة وان الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التي في القرآن والسنن ويكفر من هذا كله قول الله عز وجل * اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى * وقوله تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت * وقوله تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره * وقال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين * فصح بهذا كله انه لا يخرجه عن اسم الايمان الا الكفر ولا يخرجه عن اسم الكفر الا الايمان وان الاعمال حسنها حسن ايمان وقبيحها قبيح ليس ايماناً والموازنة تقضى على كل ذلك ولا يحبط الاعمال الا الشرك قال تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك * وقالوا اذا اقررتم ان اعمال البر كلها ايمان وان المعاصي ليست ايماناً فهو عندكم مؤمن غير مؤمن قلنا نعم ولا نكرة في ذلك وهو مؤمن بالعمل الصالح غير مؤمن بالعمل السيء كما نقول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن معاً بما اساء فيه وليس الايمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اي ليس مطيعاً في زناه ذلك وهو مؤمن بسائر حسناته واحتجوا بقول الله تعالى * وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون * ففرق تعالى بين الفسق والايمان ﴿ قال ابو محمد ﴾ نعم وقد أوضحنا ان الايمان هو كل عمل صالح فبيقين ندري ان الفسق ليس ايماناً فمن فسق فلم يؤمن بذلك العمل الذي هو الفسق ولم يقل عز وجل انه لا يؤمن في شيء من سائر اعماله وقد قال تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم * فهؤلاء قد شهد الله تعالى لهم بالايمان فاذا

وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب بها عنه فأتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها شعراً

أيا جارتي بيني فانك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة

قالوا ثانية قال

وبيني فان البين خير من العصا
وأن لا تراني فوق رأسك بارقة

قالوا ثالثة قال

وبيني حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة قد كنت فينا ووامقة

قال وكان أمر الجاهلية في نكاح النساء على أربع يخطب فيزوج وامرأة يكون لها خليل يختلف اليها فان ولدت قالت هو لفلان فيتزوجها بعد هذا وامرأة ذات راية يختلف اليها النفر وكلهم يواقعها في طهر واحد فاذا ولدت ألزمت الولد أحدهم وهذه تدعي المقسمة قال وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون قال زهير

وكم بالقنان من محل ومحرم

قال ويطوف بالبيت أسبوعاً ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال أبو طالب

وأشواط بين المروتين الى الصفا
وما فيها من صورة ومخايل

وقع منهم فسق ليس ايماناً فمن المحال أن يبطل فسقه ايمانه في سائر اعماله وان يبطل ايمانه في سائر الاعمال فسقه بل شهادة الله تعالى له بالايمان في جهاده حق وبانه لم يؤمن في فسقه حق أيضاً فان الله عز وجل قال * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون * فيلزم المعتزلة ان يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق لان كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما انزل الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما نحن فنقول ان كل من كفر فهو فاسق ظالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافراً بل قد يكون مؤمناً وبالله تعالى التوفيق وقد قال تعالى * وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * فبعض الظلم مغفور بنص القرآن

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقالوا قد وجب لعن الفساق والظالمين وقال تعالى * ألا لعنة الله على الظالمين * والمؤمن يجب ولايته والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السارق ومن لعن اباه ومن غير منار الارض فيلزمكم ان تدعو على المرأ الواحد باللعنة والمغفرة معاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنقول ان المؤمن الفاسق يتولى دينه وملته وعقده واقراره ويتبرأ من عمله الذي هو الفسق والبراءة والولاية ليست من عين الانسان مجردة فقط وانما هي له او منه بعمله الصالح او الفاسد فاذ ذلك كذلك فبيقين ندري ان المحسن في بعض أفعاله من المؤمنين نتولاه من اجل ما احسن فيه ونبرأ من عمله السيئ فقط واما الله تعالى فانه يتولى عمله الصالح عنده ويعادي عمله الفاسد واما الدعاء باللعنة والرحمة معاً فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح وما جاء عن الله تعالى قط ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي ان يلعن العاصي على معصيته ويترحم عليه لاحسانه ولو ان امرأ زنى او سرق وحال الحول على ماله وجاهد

وكانوا يلبون الا ان بعضهم كان يشترك في تلبيته في قوله الاشريك هو لك تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوي

وأقسم بالبيت الذي حجت له
قريش وموقف ذي الحجيج على الآل

وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها الا طي وخثعم وبعض بني الحارث بن كعب فانهم كانوا لا يحجون ولا يعتمرون ولا يحرمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام وانما سميت قريش الحرب التي كانت بينها وبين غيرها عام الفجار وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وقالت امرأة منهم تنهي ابنها من الظلم

ابني لا تظلم بمكـ
ـة لا الصغير ولا الكبير
ابني من يظلم بمكـ
ـة يلق أطراف الشرور

وكان منهم من ينسى الشهور وكانوا يكبسون في كل عامين شهراً وفي كل ثلاثة أعوام شهراً وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة لم يخطبوا أن يجعلوا يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذي الحجة حتى يكون يوم النحر يوم العاشر من ذلك الشهر ويقيون بمنى فـلا ينبعون في يوم

لوجب ان يحد للزنا والسرقة ولو لعن لأحسن لاعنه ويعطي نصيبه من المغنم ونقبض زكاة ماله ونصلي عليه عند ذلك لقول الله * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * ويبقين ندري ان قد كان في اولئك الذين كان عليه السلام يقبض صدقاتهم ويصلي عليهم مذنبون عصاة لا يمكن البتة ان يخلو جميع جزيرة العرب من عاص وكذلك كل من مات في عصره عليه السلام وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه وبعده فبيقين ندري انه قد كان فيهم مذنب بلا شك واذا صلى عليه ودعا له بالرحمة وان ذكر عمله القبيح لعن وذم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونعكس عليهم هذا السؤال نفسه في اصحاب الصغاير الذين يوقع عليهم المعتزلة اسم الايمان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم اذ الصغاير ذنوب ومعاص بلا شك الا انا لا نوقع عليها اسم فسق ولا ظلم اذا انفردت عن الكبائر لان الله تعالى ضمن غفرانها لمن اجتنب الكبائر ومن غفر له ذنبه فمن المحال ان يوقع عليه اسم فاسق أو اسم ظالم لان هذين اسمان يسقطان قبول الشهادة ومجتنب الكبائر وان تستر بالصغاير فشهادته مقبولة لانه لا ذنب له وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولنا على المعتزلة الزامات أيضاً تعمهم والخوارج المكفرة ننبه عليها عند نقضنا اقوال المكفرة ان شاء الله تعالى وبه نتأيد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة كافر قال الله عز وجل * يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم * فابتدأ الله عز وجل بخطاب اهل الايمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول ونص تعالى على ان القاتل عمداً وولي المقتول اخوان وقد قال تعالى * انما المؤمنون اخوة * فصح ان القاتل عمداً مؤمن بنص

عرفة ولا في أيام منى وفيهم أنزلت * انما النسيء زيادة في الكفر * وكانوا اذا ذبحوا للاصنام لطخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم وكان قصي ابن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل

أرباً واحداً أم الف رب
أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعاً
كذلك يفعل الرجل البصير

وقيل هي لزيد بن عمرو بن نفيل وقيل للمتلمس بن أمية الكناني يخطب العرب بفناء مكة أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم قد تفردتم بآلهة شتى واني لاعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعمت انه على دين بني تميم قال وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الافوه الازدي

ألا عللاني واعلما انني غرر
فما قلت يجنيني الشقاق ولا الحذر
وما قلت يجدي ثوابي اذا بدت
مفاصل أوصالي وقد شخص البصر
وجاؤا بماء بارد يغسلونني
فيالك من غسل سيتبعه غبر

قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذ مات الرجل

القرآن وحكمه له باخوة الايمان ولا يكون للكافر مع المؤمن بتلك الاخوة وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله * فهذه الآية رافعة للشك جملة في قوله تعالى ان الطائفة الباغية على الطائفة الاخرى من المؤمنين المأمور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفيء الى أمر الله تعالى اخوة للمؤمنين المقاتلين وهذا أمر لا يضل عنه الاضال وهذه الآيتان حجة قاطعة ايضاً على المعتزلة أيضاً المسقطة اسم الايمان عن القاتل وعلى كل من اسقط عن صاحب الكبائر اسم الايمان وليس لاحد ان يقول انه تعالى انما جعلهم اخواننا اذا تابوا لان نص الآية انهم اخوان في حال البغي وقبل الفئة الى الحق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقال بعضهم ان هذا الاقتتال انما هو التضارب

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خطأ فاحش لوجهين احدهما انه دعوى بلا برهان وتخصيص الاية بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل بلا شك والثاني ان ضرب المسلم للمسلم ظلماً وبغياً فسق ومعصية ووجه ثالث وهو ان الله تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما امرنا بقتال من لا يزيد على الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغي فكل بغى فهو داخل تحت هذا الحكم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد ذكروا قول الله عز وجل * وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذه الآية بظاهرها دون تأويل حجة لنا عليهم لانه ليس فيها ان القاتل العامد ليس مؤمناً وانما فيها نهي المؤمن عن قتل المؤمن عمداً فقط لانه تعالى قال * وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً * وهكذا نقول ليس للمؤمن قتل المؤمن عمداً ثم قال تعالى * الا خطأ * فاستثنى

وحمل على سريره يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفن ثم يقول عليك رحمة الله وقال رجل من كاب في الجاهلية لابن ابن له شعرا

أعمر وان هلكت وكنت حياً
فاني مكثر لك في صلاتي
وأجعل نصف مالي لابن سام
حياتي ان حييت وفي مماتي

قال وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلى بها ابراهيم وهي الكلمات العشر فأتمهن خمس في الرأس وخمس في الجسد فاما اللواتي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك واما اللواتي في الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان فلما جاء الاسلام قررها سنة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اليمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار والضيف قال حاتم الطائي

الهم ربي وربي الهم
فأقسمت لا أرسو ولا أتعذر
لقد كان في اكثرما الناس اسوة
كان لم يسبق بجحش بعيرولا حمر
وكانوا أناساً موقنين بربهم
بكل مكان فيهم عابد بكر

آراء الهند قد ذكرنا ان الهندأمة

عز وجل الخطاء في القتل من جملة ما حرم من قتل المؤمن للمؤمن لأنه لا يجوز النهي عما لا يمكن الانتهاء عنه ولا يقدر عليه لان الله تعالى امننا من ان يكلفنا ما لا طاقة لنا به وكل فعل خطأ فلم ننه عنه بل قد قال تعالى * ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم * فبطل تعلقهم بهذه الآية وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فهو ايضاً على ظاهره وانما في هذا اللفظ النهي عن ان يرتدوا بعده الى الكفر فيقتتلوا في ذلك فقط وليس في هذا اللفظ ان القاتل كافر ولا فيه ايضاً النهي عن القتل المجرد اصلا وانما نهى عنه في نصوص اخر من القرآن والسنن كما ليس في هذا اللفظ ايضا نهى عن الزنا ولا عن السرقة وليس في كل حديث حكم كل شريعة فبطل تعلقهم بهذا الخبر وكذلك قوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر فهو ايضا على عمومه لان قوله عليه السلام المسلم هاهنا عموم للجنس ولا خلاف في ان من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لاسلامهم فهو كافر برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن في ان القاتل عمداً والمقاتل مؤمنان وكلامه عليه السلام لا يتعارض ولا يختلف وكذلك قوله عليه السلام لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر لكم ان ترغبوا عن آبائكم فانه عليه السلام لم يقل كفر منكم ولم يقل انه كفر بالله تعالى نعم ونحن نقر ان من رغب عن ابيه فقد كفر بابيه وجحده ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولكنه كافر أو فاسق ألم يقل الله عز وجل * ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم * وقال تعالى * فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن * وقال تعالى * ولا تمسكوا بعصم الكوافر * وقال تعالى * اليوم احل

كبيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلاً ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى الثنوية ويقول بملة ابراهيم عليه السلام واكثرهم على مذهب الصابئية ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام الا انهم مختلفون في شكل المسالك التي ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ومنهم حكماء علي طريق اليونانيين علماً وعملاً فمن كانت طريقته على مناهج الدهرية والثنوية والصابئية فقد أغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفرد منهم بمقالة ورأى فهم خمس فرق البراهمة وأصحاب الروحانيات وأصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما وجدنا في كتبهم المشهورة البراهمة من الناس من يظن انهم سموا براهمة لانتسابهم الى ابراهيم عليه السلام وذلك خطأ فان هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً فكيف يقولون بابراهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة ابراهيم من أهل الهند فهم الثنوية منهم القائلون بالنور والظلام على مذهب أصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هؤلاء البراهمة انتسبوا الى رجل منهم يقال

لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين * وفي سورة النساء محصنات غير مسافحات فهذه آيات في غاية البيان في انه ليس في الارض الا مؤمن أو كافر او مؤمنة أو كافرة ولا يوجد دين ثالث وان المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن وحرام نكاحها على الكافر وان الكتابية حلال للمؤمن بالزواج وللكافر فخبرونا اذا زنت المرأة وهي غير محصنة أو وهي محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو اكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهي عالمة بذلك او لم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة او بريئة من الاسلام خارجة عن الايمان وخارجة من جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها والبقاء معها على الزوجية ان كان قد تزوجها قبل ذلك أو يحرم على أبيها الفاضل او اخيها البر أن يكونا لها وليين في تزويجها واخبرونا اذا زنى الرجل او سرق او قذف او اكل مال يتيم اوفر من الزحف او سحر او ترك صلاة عمداً حتي خرج وقتها اولم يخرج زكاة ماله فصار بذلك عندكم كافراً او برئ من الاسلام وخرج عن الايمان وعن جملة المؤمنين ايحرم عليه ابتدا نكاح امرأة مؤمنة او وطؤها بملك اليمين او تحرم عليه امرأته المؤمنة التي في عصمته فينفسخ نكاحها منه او يحرم عليه ان يكون ولياً لابنته المؤمنة او اخته المؤمنة في تزويجها وهل يحرم على التي ذكرنا والرجل الذي ذكرنا ميراث وليها المؤمن او يحرم على وليها المؤمن ميراثها اويحرم اكل ذبيحته لانه قد فارق الاسلام في زعمكم وخرج عن جملة المؤمنين فانهم كلهم لايقولون بشيئ من هذا فمن الخلاف المجرد منهم لله تعالى ان يحرم الله تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونها هم ويحرم الله تعالى التي ليست مؤمنة

له برهام قد مهد لهم نفي النبوات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها ان قال ان الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين اما ان يكون معقولاً واما ان لا يكون معقولا فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه فأي حاجة لنا الى الرسول وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس معقول خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية ومنها ان قال قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعاً عالماً قادرا حكيما وانه أنعم على عباده نعما توجب الشكر فننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا واذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه فما بالنا نتبع بشرا مثلنا فانه ان كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بعقولنا وان كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه ومنها ان قال قد دل العقل علي ان للعالم صانعاً حكيما والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل

على المؤمن الا ان تكون كتابية فيحلونها هم ويقطع الله تعالى الولاية بين المؤمن ومن ليس مؤمناً فيبقونها هم في الانكاح ويحرم تعالى ذبائح من ليس مؤمناً الا ان يكون كتابياً فيحلونها هم ويقطع عزوجل الموارثة بين المؤمن ومن ليس مؤمناً فيثبتونها هم ومن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ الى الله تعالى منه

﴿ قال ابو محمد ﴾ واكثر هذه الامور التي ذكرنا فانه لا خلاف بين احد من اهل الاسلام فيها ولا بين فرقة من الفرق المنتمية الى الاسلام وفي بعضها خلاف نشير اليه لئلا يظن ظان اننا اغفلناه فمن ذلك الخلاف في الزاني والزانية فان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يفسخ النكاح قبل الدخول بوقوعه من احدهما والحسن البصري وغيره من السلف لا يجيزون للزاني ابتداء نكاح مع مسلمة ألبتة ولا للزانية ايضاً الا ان يتوبا وبهذا نقول نحن ليس لانهما ليسا مسلمين بل هما مسلمان ولكنها شريعة من الله تعالى واردة في القرآن في ذلك كما يحرم على المحرم النكاح ما دام محرماً وبالله تعالى التوفيق وذلك قوله تعالى * الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وفي هذه الآية ايضاً نص جلي على ان الزاني والزانية ليسا مشركين لان الله تعالى فرق بينهما فرقاً لا يحتمل البتة ان يكون على سبيل التأكيد بل على انهما صفتان مختلفان واذا لم يكونا مشركين فهما ضرورة مسلمان لما قد بينا قبل من ان كل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وكل من لم يكن كافراً مشركا فهو مؤمن اذ لا سبيل الى دين ثالث وبالله تعالى التوفيق ومن الخلاف في بعض ما ذكرنا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابراهيم النخعي ان المسلم اذا ارتد والمسلمة اذا لم يسلم زوجها فهي امرأته كما كانت الا انه لا يطؤها وروى عن عمر

من التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن أن يكون غـذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان قال ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرف فيك رفعاً ووضعاً أو كحيوان يصرفك اماماً وخلفاً أو كعبد يتقدم اليك أمراً ونهياً فبأي تمييز له عليك وأية فضيلة اوجبت استخدامك وما دليله على صدق دعواه فان اغتررتم بمجرد قوله فلا تمييز لقول على قول وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام مالا يحصى كثرة ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوي خبره * قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * فاذا اعترفتم بأن للعالم صانعاً خالقاً حكيما فاعترفوا بأنه آمر ناهٍ حاكم على خلقه وله في جميع ما نأتي ونذر ونعمل ونفكر حكم وأمر وليس كل عقل انساني على استعداد

ايضاً انها تخير في البقاء معه اوفراقه وكل هذا لاحجة فيه ولاحجة الا في نص قرآن او سنة واردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وايضاً فان الله عز وجل قدامر بقتل المشركين جملة ولم يستثن منهم احداً الا كتابياً يغرم الجزية مع الصغار او رسولا حتى يؤدي رسالته ويرجع الى مأمنه اومستجيراً ليسمع كلام الله تعالى ثم يبلغ الى مأمنه وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من بدل دينه فنسأل كل من قال بان صاحب الكبيرة قد خرج من الايمان وبطل اسلامه وصار في دين آخر اما الكفر واما الفسق اذا كان الزاني والقاتل والسارق والشارب للخمر والقاذف والفار من الزحف وآكل مال اليتيم قد خرج عن الاسلام وترك دينه أيقتلونه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله ام لا يقتلونه فيخالفون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن قولهم كلهم خوارجهم ومعتزليهم انهم لا يقتلونه واما في بعض ذلك حدود معروفة من قطع يد او جلد مائة اوثمانين وفي بعض ذلك أدب فقط وأنه لا يحل الدم بشيء من ذلك وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لاخفاء به

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبعض شاذة الخوارج جسر فقال تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خلاف الاجماع المتيقن وخلاف للقرآن مجرد لان الله تعالى يقول * والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا * فقد حرم الله تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع اصرارهم ولم يجعل فيهم الا رد شهادتهم فقط ولو جاز قتلهم فكيف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال الله عز وجل * لا اكراه في الدين قد تبين

ما يعقل عنه أمره ولا كل نفس بشرى بمثابة من يقبل عنه حكمه بل أوجبت منته ترتيباً في العقول والنفوس واقتضت قسمته أن يرفع * بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون * فرحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة ثم ان البراهمة تفرقوا أصنافاً فمنهم أصحاب البددة ومنهم أصحاب الفكرة ومنهم أصحاب التناسخ أصحاب البددة ومعنى البد عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت وأول بد ظهر في العالم اسمه شاكين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة قالوا ودون مرتبة البد مرتبة البردیسعية ومعناه الانسان الطالب سبيل الحق وانما يصل الى تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يجب أن يرغب فيه وبالامتناع والتخلي عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذاتها والعفة عن محارمها والرحمة على جميع الخلق والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل كل ذي روح واستحلال أموال الناس والزنا والكذب والنميمة والبذاء والشتم وشناعة الالقاب والسفه والجحد لجزاء الآخرة

الرشد

الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقداستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها *

﴿ قال ابو محمد ﴾ لا خلاف بيننا وبينهم ولا بين احد من الامة في ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله واستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فانه مؤمن مسلم فلو كان الفاسق غير مؤمن لكان كافراً ولا بد ولو كان كافراً لكان مرتداً يجب قتله وبالله تعالى التوفيق قال الله عز وجل * ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى الا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين * فوجب يقيناً بامر الله عز وجل ان لا يترك يعمر مساجد الله بالصلاة فيها الا المؤمنون وكلهم متفق معنا على ان الفاسق صاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد بالصلاة مجبر على ذلك وفي اجماع الامة كلها على ذلك وعلى تركهم يصلون معنا والزامهم اداء الزكاة وأخذها منهم والزامهم صيام رمضان وحج البيت برهان واضح لا اشكال فيه على انه لم يخرج عن دين المؤمنين وانه مسلم مؤمن وقال عز وجل * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى * الى قوله تعالى * اليوم يئس الذين كفروا من دينكم * فخاطب تعالى المؤمنين بإياس الكافرين عن دينهم ولا سبيل الى قسم ثالث وقال تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه * فصح ان لا دين الا دين الاسلام وماعداه شيء غير مقبول وصاحبه يوم القيمة خاسر وبالله تعالى التوفيق وقال عز وجل * المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * وقال تعالى * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض وقال تعالى * ومن يتولهم منكم فانه منهم * وقال تعالى * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير * فصح يقيناً انه ليس

وباستكمال عشر خصال * احديها الجود والكرم * الثاني العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم * الثالثة التعفف عن الشهوات الدنيوية * الرابعة الفكرة في التخلص الى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني * الخامسة رياضة العقل بالعلم والادب وكثرة النظر الى عواقب الامور * السادسة القوة على تصريف النفس في طلب العليا * السابعة لين القلب وطيب الكلام مع كل واحد * الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم على اختيار نفسه * التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق بالكلية * العاشرة بذل الروح شوقاً الى الحق ووصولا الى جناب الحق وزعموا ان البددة اتوهم على عدد نهر الكيل وأعطوهم العلوم وظهروا لهم في أجناس وأشخاص شتى ولم يكونوا يظهرون الا في بيوت الملوك لشرف جواهرهم قالوا ولم يكن بينهم اختلاف فيما ذكر عنهم من أزلية العالم وقولهم

المسلمين ولا منهم ولا اليهم لا بطانهم الكفر وليس في هاتين الآيتين انهم ليسوا كفاراً وقد قال عز وجل * ومن يتولهم منكم فانه منهم * فصح يقيناً انهم كفار لا مؤمنون اصلا وبالله تعالى التوفيق ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة منافق ما معنى هذه الكلمة فجوابهم الذي لا جواب لاحد في هذه المسئلة غيره هو ان المنافق من كان النفاق صفته ومعنى النفاق في الشريعة هو اظهار الايمان وابطان الكفر فيقال له وبالله تعالى التوفيق لا يعلم ما في النفس الا الله تعالى ثم تلك النفس التي ذلك الشيء فيها فقط ولا يجوز ان نقطع على اعتقاد احد الكفر الا باقراره بلسانه بالكفر وبوحي من عند الله تعالى ومن تعاطى علم ما في النفوس فقد تعاطى علم الغيب وهذا خطأ متيقن يعلم بالضرورة وحسبك من القول سقوطاً ان يؤدي الى المحال المتيقن وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه السلام اني لم ابعث لاشق عن قلوب الناس وقد ذكر الله تعالى المنافقين فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وممن حولكم من الاعراب منافقون لا تعلمهم نحن نعلمهم * فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف المنافقين وهم معه وهو يراهم ويشاهد افعالهم فمن بعده احرى ان لا يعلمهم ولقد كان الزناة على عهده صلى الله عليه وسلم والسرقة وشراب الخمر ومضيعوا فرض الصلاة في الجماعة والقاتلون عمداً والقذفة فما سمى عليه السلام قط احداً منهم منافقين بل اقام الحدود في ذلك وتوعد بحرق المنازل وامر بالدية والعفو وابقاهم في جملة المؤمنين وأبقى عليهم حكم الايمان واسمه وقد قلنا ان التسمية في الشريعة لله عز وجل لا لاحد دونه ولم يأت قط عن الله عز وجل تسمية صاحب الكبيرة منافقاً فان قالوا قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وقد ذكر خصالا من كن فيه كان منافقاً خالصاً وان صام وصلى وقال اني مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها اذا

تغمض عينها اياماً لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرد اذا اقترن به وهم آخر اشتركا في العمل خصوصا اذا كانا متفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذا دهمهم أمران يجتمع أربعون رجلاً من المهذبين المخلصين المتفقين على رأي واحد في الاصابة فيتجلى لهم المهم الذي يهضمهم حمله ويندفع عنهم البلاء الملم الذي يكادهم ثقله البكرنتينية يعني المصفدين بالحديد وسنتهم حلق الرؤس واللحى وتعرية الاجساد ما خلا العورة وتصفيد البدن من أوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر ولعلهم رأوا في الحديد خاصية تناسب الاوهام والا فالحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف يوجب ذلك (أصحاب التناسخ) قد ذكرنا مذاهب التناسخية وما من ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم في تقرير ذلك فاما تناسخية الهند

حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وذكر عليه السلام ان من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها قلنا له وبالله تعالى التوفيق صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرناك ان المنافق هو من أظهر شيئاً وأبطن خلافه مأخوذ في اصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب في جانب جحره مفتوح قد غطاه بشيء من تراب وهذه الخلال كلها التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها باطن صاحبها بخلاف ما يظهر فهو منافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذي يظن صاحبه الكفر بالله برهان ذلك ما ذكرناه آنفاً من اجماع الامة على أخذ زكاة مال كل من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفاق وعلى انكاحه ونكاحها ان كانت امرأة وموارثته واكل ذبيحته وتركه يصلي مع المسلمين وعلى تحريم دمه وماله ولو تيقنا انه يبطن الكفر لوجب قتله وحرم انكاحه ونكاحها وموارثته واكل ذبيحته ولم نتركه يصلي مع المسلمين ولكن تسمية النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر منافقاً كتسمية الله عز وجل الذراع كفاراً اذ يقول تعالى * كمثل غيث أعجب الكفار نباته * لان أصل الكفر في اللغة التغطية فمن ستر شيئاً فهو كافر له وأصل النفاق في اللغة ستر شيء واظهار خلافه فمن ستر شيئاً وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذان من الكفر الديني ولا من النفاق الشرعي في شيء وبهذا تتألف الآيات والاحاديث كلها وبالله تعالى التوفيق ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط فان قال لا قيل له هذا القول كبيرة لانه تزكية وقد نهى الله عز وجل عن ذلك فقال تعالى * فلا تزكوا أنفسكم * وقد علمنا انه لا يعرى أحد من ذنب الا الملائكة والنبيين صلى الله عليهم وسلم وأما من دونهم فغير معصوم بل قد اختلف الناس في عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وان كنا قاطعين على خطأ من جوز على

فأشد اعتقاداً في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبداً كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخاليبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل دمه منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبداً كذلك قالوا فما مثل الدنيا وأهلها في الادوار والاكوار الا كذلك قالوا واذا كانت حركات الافلاك دورية ولا محالة يصل رأس الفرجار الى ما بدا ودار دورة ثانية على الخط الاول أفاد لا محالة ما أفاد الدور الاول اذ لم يكن اختلاف بين الدورين حتى يتصور اختلاف بين الامرين فان المؤثرات عادت كما بدأت والنجوم والافلاك دارت على المركز الاول وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب ان لا يختلف المتأثرات الباديات منها بوجه وهذا

أحد من الملائكة ذنباً صغيراً أو كبيراً بعمد أو خطأ وعلى خطأ من جوز على أحد من النبيين ذنباً بعمد صغيراً أو كبيراً لكنا أعلمنا انه لم يتفق على ذلك قط وان قال بلى قد كان لي كبيرة قيل له هل كنت في حال مواقعتك الكبيرة شاكا في الله عز وجل أو في رسوله صلى الله عليه وسلم او كافراً بهما ام كنت موقناً بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبما اتى به موقناً بانك مسيئ مخطيئ في ذنبك فان قال كنت كافراً او شاكا فهو اعلم بنفسه ويلزمه ان يفارق امرأته وامته المسلمتين ولا يرث من مات له من المسلمين ثم بعد ذلك لا يجوز له ان يقطع على غيره من المذنبين بمثل اعتقاده في الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندري أننا في حين ما كان مناذنب مؤمنون بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وان قال بل كنت مؤمناً بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم في حال ذنبي قيل له هذا ابطال منك للقول بالنفاق والقطع به على المذنبين ﴿ قال ابو محمد ﴾ في اجماع الامة كلها دون مختلف من احد منهم على ان صاحب الكبيرة مأمور بالصلاة مع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وباخذ زكاة ماله واباحة مناكحته وموارثته واكل ذبيحته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الأمة المسلمة الفاضلة ويطأها وتحريم دمه وماله وان لا يؤخذ منه جزية ولا يصغر برهان صحيح على انه مسلم مؤمن وفي اجماع الامة كلها دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهان على انه فاسق فصح يقيناً انه مؤمن فاسق ناقص الايمان عن المؤمن الذي ليس بفاسق قال تعالى *يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين* فامامن قال انه كافر نعمة فما لهم حجة اصلا الا ان بعضهم نزغ بقول الله تعالى * الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار * ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان نص الآية مبطل لقولهم

هو تناسخ الادوار والاكوار ولهم اختلاف في الدورة الكبرى كم هي من السنين واكثرهم على ثلاثين الف سنة وبعضهم على ثلاثمائة الف سنة وستين الف سنة وانما يعتبرون في تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند الهند أكثرهم ان الفلك مركب من الماء والنار والريح وان الكواكب فيه نارية هوائية فلم يعدم الموجودات العلوية الا العنصر الارضي فقط (أصحاب الروحانيات) ومن أهل الهند جماعة أثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل في صورة البشر من غير كتاب فيأمرهم بأشياء وينهاهم عن أشياء ويسن لهم الشرائع ويبين لهم الحدود وانما يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الاكل والشرب والبعال وغيرها (الباسوية) زعموا ان رسولهم ملك روحاني نزل من السماء على صورة بشر فأمرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر والطيب

لان الله تعالى يقول متصلا بقوله * وبئس القرار وجعلوا لله انداداً ليضلوا عن سبيله * فصح ان الآية في المشركين بلا شك وايضاً فقد يكفر المرء نعمة الله ولا يكون كافراً بل مؤمناً بالله تعالى كافراً لا نعمه بمعاصيه لا كافراً على الاطلاق وبالله تعالى التوفيق

الكلام فيمن يكفر ولا يكفر

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس في هذا الباب فذهبت طائفة الى ان من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد او في شيء من مسائل الفتيا فهو كافر وذهبت طائفة الى انه كافر في بعض ذلك فاسق غير كافر في بعضه على حسب ما أدتهم اليه عقولهم وظنونهم وذهبت طائفة الى ان من خالفهم في مسائل الاعتقاد فهو كافر وان من خالفهم في مسائل الاحكام والعبادات فليس كافراً ولا فاسقاً ولكنه مجتهد معذور ان اخطأ مأجور بنيته وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خالفهم في مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم في مسائل الاعتقادات ان كان الخلاف في صفات الله عزوجل فهو كافروان كان فيما دون ذلك فهوفاسق وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ان أصاب الحق فاجران وان أخطأ فاجر واحد وهذا قول بن ابي ليلي وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن على رضي الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسئلة من الصحابة رضي الله عنهم لا نعلم منهم في ذلك خلافا اصلا الا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمداً حتى خرج وقتها او ترك اداء الزكاة او ترك الحج او ترك صيام رمضان او شرب الخمر واحتج من كفر بالخلاف في الاعتقادات باشياء نوردها ان شاء الله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذكروا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم ان يتوشحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الايامن الى تحت شمائلهم ونهاهم أيضاً عن الكذب وشرب الخمر وان لا يأكلوا من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل وأمرهم ان يتخذوا على مثاله صنما يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغنا والرقص وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا في التوبة الى التمسيح بها وأمرهم ان لا يجوزوا نهر الكنك (الباهودية) زعموا ان رسولهم ملك روحانى على صورة بشر واسمه باهودية أتاهم وهو راكب على ثور على رأسه اكاليل مكال بعظام الموتى من عظام الروس ومتقلد من ذلك بقلادة باحدى يديه قحف انسان وبالاخرى مزراق ذو ثلاث شعب يأمرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتخذوا على مثاله صنما

أن القدرية والمرجئة مجوس بهذه الامة وحديثاً آخر تفترق هذه الامة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشى واحدة فهي في الجنة ﴿ قال ابو محمد ﴾ هذان حديثان لا يصحان اصلا من طريق الاسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه يا كافر فقد بآء بالكفر احدهما ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان لفظه يقتضي انه يأثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام انه بذلك كافر ﴿ قال ابو محمد ﴾ والجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر في مشاتمة تجري بينهما وبهذا خالفوا الخبر الذي احتجوا به ﴿ قال ابو محمد ﴾ والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزول عنه الا بنص او اجماع واما بالدعوى والافتراء فلا فوجب ان لا يكفر احد بقول قاله الا بأن يخالف ما قد صح عنده ان الله تعالى قاله اوان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك في عقد دين او في نحلة او في فتيا وسوآء كان ما صح من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منقولا نقل اجماع تواتر او نقل آحاد الا ان من خالف الاجماع المتقين المقطوع على صحته فهو أظهر في قطع حجته ووجوب تكفيره لاتفاق الجميع على معرفة الاجماع وعلى تكفير مخالفته برهان صحة قولنا قول الله تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً * ﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلك فان قال قائل ان من اتبع غير سبيل المؤمنين فليس من المؤمنين قلنا له وبالله تعالى التوفيق ليس كل من اتبع غير سبيل المؤمنين كافراً لان الزنا وشرب الخمر واكل اموال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنا

ان

يعبدونه وان لا يعافوا شيئاً وان تكون الاشياء كلها في الربقة واحدة لانها جميعاً صنع الخالق وان يتخذوا من عظام الناس قلائد يتقلدونها واكاليل يضعونها على رؤسهم وان يمسحوا اجسادهم ورؤسهم بالرماد وحرم عليهم الذبائح وجمع الاموال وامرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة (الكابلية) زعموا ان رسولهم ملك روحاني يقال له شب اتاهم في صورة بشر متمسح بالرماد على رأسه قلنسوة من لبود أحمر طولها ثلاثة اشبار محيط عليه صفائح من قحف الناس متقلد قلادة من اعظم ما يكون متمنطق من ذلك بمنطقة متسور منها بسوار متخلخل منها بخلخال وهو عريان فأمرهم ان يتزينوا بزينته ويتزيوا بزيه وسن لهم شرائع وحدود (البهادونية) قالوا ان بهادون كان ملكا عظيما اتانا في صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه وعملا من جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحار وقيل هذا رمز والا فحال صورة البشر لا تبلغ

ان من اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك شيء ولكن البرهان في هذا قول الله عز وجل *فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا هو النص الذي لا يحتمل تأويلا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره اصلا ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الايمان

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق في اي شئ كان فلا يكون كافراً الا ان يأتي نص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو في اقاصي الزنج ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقط فيمسك عن البحث عن خبره فانه كافر فان قال قائل فما تقولون فيمن قال انا اشهد ان محمداً رسول الله ولا ادرى اهو قرشي ام تميمي ام فارسي ولا هل كان بالحجاز او بخراسان ولا ادري احي هو او ميت ولا ادري لعله هذا الرجل الحاضر ام غيره قيل له ان كان جاهلا لا علم عنده بشيء من الاخبار والسير لم يضره ذلك شيئاً ووجب تعليمه فاذا علم وصح عنده الحق فان عاند فهو كافر حلال دمه وماله محكوم عليه بحكم المرتد وقد علمنا ان كثيراً ممن يتعاطى الفتيا في دين الله عز وجل نعم وكثيراً من الصالحين لا يدري كم لموت النبي صلى الله عليه وسلم ولا اين كان ولا في اي بلد كان ويكفيه من كل ذلك اقراره بقلبه ولسانه ان رجلا اسمه محمد ارسله الله تعالى الينا بهذا الدين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك من قال ان ربه جسم فانه ان كان جاهلا أو متأولاً فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه فاذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف ما فيها عناداً فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد واما من قال ان الله عز وجل هو فلان لانسان بعينه أو ان الله تعالى يحل في جسم من اجسام خلقه أو ان بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً غير عيسى بن مريم فانه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة

الى هذه الدرجة وصورة بها دون راكب على دابة كثير الشعر قد اسبله على وجهه وقد قسم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية واسبلها كذلك على نواحي الرأس قفاء ووجهاً وامرهم ان يفعلوا كذلك ومن علم ان لا يشربوا الخمر واذا رأوا امرأة هربوا منها وان يحجوا الى جبل يدعى جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بها دون وبذلك البيت سدنة لا يكون المفتاح الا بأيديهم فلا يدخلون الا باذنهم فاذا فتحوا الباب سدوا افواههم حتى لا تصل انفاسهم الى الصنم ويذبحون له الذبائح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران في طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوء وضرر من قول وفعل (عبدة الكواكب) ولم ينقل للهند مذهب في عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم في ذلك مذهب الصابئية في توجههم

بكل هذا على كل أحد ولو امكن ان يوجد احد يدين بهذا لم يبانه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما من كفر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطأ لانه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفراً بل قد أحسن اذ فر من الكفر وايضاً فانه ليس للناس قول الا ومخالف ذلك القول يلزم خصمه الكفر في فساد قوله وطرده فالمعتزلة تنسب الينا تجوير الله عز وجل وتشبيهه بخلقه ونحن ننسب اليهم مثل ذلك سواء بسواء ونلزمهم أيضاً تعجيز الله عز وجل وانهم يزعمون انهم يخلقون كخلقه وان له شركاء في الخلق وانهم مستغنون عن الله عز وجل ومن اثبت الصفات يسمي من نفاها باقية لانهم قالوا تعبدون غير الله تعالى لان الله تعالى له صفات وانتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن اثبتها انتم تجعلون مع الله عز وجل اشياء لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غير الله لان الله تعالى لا أحد معه ولا شيء معه في الازل وانتم تعبدون شيئاً من جملة أشياء لم تزل وهكذا في كل ما اختلف فيه حتى في الكون والجزء وحتى في مسائل الاحكام والعبادات فاصحاب القياس يدعون علينا خلاف الاجماع واصحابنا يثبتون عليهم خلاف الاجماع واحداث شرائع لم يأذن الله عز وجل بها وكل فرقة فهي تنتفي بما تسميها به الاخرى وتكفر من قال شيئاً من ذلك فصح انه لا يكفر احد الا بنفس قوله ونص معتقده ولا ينتفع أحد بان يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط واما الاحاديث الواردة في ان ترك الصلاة شرك فلا تصح من طريق الاسناد واما الاخبار التي فيها من قال لا إله الا الله دخل الجنة فقد جاءت احاديث اخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهي قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله

وأني

الى الهياكل السموية دون قصر الربوبية والالهية عليها عبدة الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السفلية وهي ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينكيتية أي عباد الشمس ومن سنتهم أن اتخذوا الها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعاً وقرايا وله سدنة وقوام فيأتون البيت و يصلون ثلاث كرات ويأتيه أصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويدعون و يستشفعون به (عبدة القمر) زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي والامور الجزئية فيه ومنه نضج الاشياء المتكونة واتصالها الى كمالها وبزيادته ونقصانه وهؤلاء يسمون الجندريكينية أي عباد القمر ومن سنتهم أن اتخذوا صنما على صورة جوهر وبيد

واني رسول الله ويؤمنوا بما ارسلت به فهذا هو الذي لا ايمان لاحد بدونه

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج بعض من يكفر من سب الصحابة رضي الله عنهم بقول الله عز وجل * محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم * الى قوله * ليغيظ بهم الكفار * قال فكل من أغاظه احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد أخطأ من حمل الآية على هذا لان الله عز وجل لم يقل قط ان كل من غاظه واحد منهم فهو كافر وانما اخبر تعالى انه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لاينكره مسلم وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وايضاً فانه لا يشك احد ذو حس سليم في ان علياً قد غاظ معاوية وان معاوية وعمرو بن العاص غاظا علياً وان عماراً غاظ ابا العادية وكلهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد غاظ بعضهم بعضاً فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشى لله من هذا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونقول لمن كفر انساناً بنفس مقالته دون ان تقوم عليه الحجة فيعاند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجد في نفسه الحرج مما أتى به اخبرنا هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الاسلام الذي يكفر من لم يقل به الا وقد بينه ودعا اليه الناس كافة فلا بد من نعم ومن انكر هذا فهو كافر بلا خلاف فاذا اقر بذلك سئل هل جاء قط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يقبل ايمان اهل قرية اوأهل محلة او انسان أتاه من حر اوعبد اوامرأة الا حتى يقر ان الاستطاعة قبل الفعل او مع الفعل او ان القرآن مخلوق او ان الله تعالى يرى او لا يرى او ان له سمعاً وبصراً وحياة اوغير ذلك من فضول المتكلمين التي اوقعها الشيطان بينهم ليوقع بينهم العداوة والبغضاء فان ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع احداً يسلم الا حتى يوقفه على هذه المعاني كان قد كذب باجماع المسلمين من أهل الارض وقال ما يدري انه فيه كاذب وادعى ان جميع الصحابة رضي الله عنهم تواطئوا على

الصنم جوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه وأن يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون وينظرون الى القمر ويسألونه عن حوائجهم فاذا استهل الشهر علوا السطح وأوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار أخذوا في الرقص واللعب والمعازف بين يدي الصنم والقمر (عبدة الاصنام) اعلم ان الاصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر الامر الى عبادة الاصنام اذا كان لايستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه ومن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورتها وبالجملة وضع الاصنام حيثما قدر انما هو على معبود عليه الحيا غائب حتى يكون الصنم

كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا محال ممتنع في الطبيعة ثم فيه نسبة الكفر اليهم اذ كتموا ما لا يتم اسلام احد الا به وان قالوا انه صلى الله عليه وسلم لم يدع قط احداً الى شيء من هذا ولكنه مودع في القرآن وفي كلامه صلى الله عليه وسلم قيل له صدقت وقد صح بهذا انه لو كان جهل شيء من هذا كله كفراً لما ضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ذلك للحر والعبد والحرة والامة ومن جوز هذا فقد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ كما امر وهذا كفر مجرد ممن أجازه فصح ضرورة ان الجهل بكل ذلك لا يضر شيئاً وانما يلزم الكلام منها اذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول الله عز وجل * كونوا قوامين لله شهداء بالقسط * ولقول الله عز وجل * لتبيننه للناس ولا تكتمونه * فمن عند حينئذ بعد بيان الحق فهو كافر لانه لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سلم لما قضى به وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيراً قط فلما حضره الموت قال لاهله اذا مت فاحرقوني ثم ذروا رمادي في يوم راح نصفه في البحر ونصفه في البر فوالله لئن قدر الله تعالى علي ليعذبني عذاباً لم يعذبه أحداً من خلقه وان الله عز وجل جمع رماده فاحياه وسأله ما حملك على ذلك قال خوفك يارب وان الله تعالى غفر له لهذا القول

﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذا انسان جهل الى ان مات ان الله عز وجل يقدر على جمع رماده واحيائه وقد غفر له لاقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه ان معنى لئن قدر الله علي انما هو لئن ضيق الله علي كما قال تعالى * واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تأويل باطل لا يمكن لانه كان يكون معناه حينئذ لئن ضيق الله علي ليضيقن علي وايضاً فلو كان هذا لما كان لامره بان يحرق ويذر رماده معنى ولا شك في انه انما امر بذلك ليفلت من عذاب الله تعالى

المعمول على صورته وشكله وهيئته نائباً منابه وقائماً مقامه والا فنعلم قطعاً ان عاقلا ما لا ينحت بيده خشبا صورة ثم يعتقد انه الهه وخالقه وخالق الكل اذ كان وجوده مسبوقاً بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك عبادة وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا * فلو كانوا مقتصرين على صورها في اعتقاد الربوبية والالهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب (المهاكالية) لهم صنم يدعى مها كال له أربع أيد كثير شعر الرأس سبطها وباحدى يديه ثعبان عظيم فاغرفاه وبالاخرى عصا وبالثالثة رأس انسان وبالرابعة كأنه يدفعها وفي اذنيه حيتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا عليه وعلى رأسه اكليل من عظام القحفي وعليه

﴿قال ابو محمد﴾ وابين من شيء في هذا قول الله تعالى * واذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء * الى قوله * ونعلم ان قد صدقتنا * فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عز وجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك ايمانهم وهذا ما لا مخلص منه وانما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبيينهم لها

﴿قال ابو محمد﴾ وبرهان ضروري لا خلاف فيه وهو ان الامة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو ان كل من بدل آية من القرآن عامداً وهو يدري انها في المصاحف بخلاف ذلك واسقط كلمة عمداً كذلك او زاد فيها كلمة عامداً فانه كافر باجماع الامة كلها ثم ان المرء يخطىء في التلاوة فيزيد كلمة وينقص اخرى ويبدل كلامه جاهلا مقدراً انه مصيب ويكابر في ذلك ويناظر قبل ان يتبين له الحق ولا يكون بذلك عند أحد من الامة كافراً ولا فاسقاً ولا آثماً فاذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القرآء من تقوم الحجة بخبره فان تمادى على خطاه فهو عند الامة كلها كافر بذلك لا محالة وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة ﴿قال ابو محمد﴾ واحتج بعضهم بان قال الله تعالى * قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً *

﴿قال ابو محمد﴾ وآخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لان الله عز وجل وصل قوله يحسنون صنعاً بقوله * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم واتخذوا آياتي ورسلي هزواً * فهذا يبين ان اول الآية في الكفار المخالفين لديانة الاسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآية في المتأولين من جملة اهل الاسلام كما تزعمون لدخل في جملتها كل متأول مخطىء في تأويل

من ذلك قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظيم قدره واستحقاقه لها لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه مفزع لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بأرض الهند يأتون اليها أهل ملته في كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اختر فيه صنم عظيم على صورة هذا الصنم يأتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدنيا حتى ان الرجل يقول له فيما يسأل زوجني فلانة واعطني كذا ومنهم من يأتيه ويقيم عنده الايام لا يذوق شيئاً يتضرع اليه ويسأله الحاجة حتى ربما يتفق (البركسهيكية) من سنتهم ان يتخذوا لانفسهم صنما يعبدونه ويقربون له الهدايا وموضع تعبدهم له ان ينظروا الى باسق الشجر وملتفه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها أحسنها وأطولها فيجعلون ذلك الموضع

في فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضي الله عنهم لانهم قد اختلفوا وبيقين ندري ان كل امرئ منهم فقد يصيب ويخطى بل يلزمه تكفير جميع الامة لانهم كلهم لا بد من أن يصيب كل امرئ منهم ويخطئ بل يلزمه تكفير نفسه لانه لا بد لكل من تكلم في شيء من الديانة من ان يرجع عن قول قاله الى قول آخر يتبين له انه اصح الا ان يكون مقلداً فهذه أسوأ لان التقليد خطأ كله لا يصح ومن بلغ الى هاهنا فقد لاح غوامر قوله وبالله تعالى التوفيق وقد أقر عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسقه ولا اخبره انه آثم بذلك لكن أغلظ له في كثرة تكراره السوآل عنها فقط وكذلك اخطأ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتيا فبلغه عليه السلام ذلك فما كفر بذلك أحد منهم ولا فسقه ولا جعله بذلك آثماً لانه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيا ابي السنابل بن بعكك في آخر الأجلين والذين افتوا على الزاني غير المحصن الرجم وقد تقصينا هذا فى كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام فى اصول الاحكام هذا وأيضاً فان الآية المذكورة لا تخرج على قول احد ممن خالفنا الا بحذف وذلك انهم يقولون ان الذين في قوله تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا هو خبراً ابتداء مضمر ولا يكون ذلك الا بحذف الابتدا كأنه قال هم الذين ولا يجوز لاحد ان يقول في القرآن حذفاً الا بنص آخر جلي يوجب ذلك أو اجماع على ذلك أو ضرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل وأما نحن فان لفظة الذين عندنا على موضوعها دون حذف وهو نعت للاخسرين ويكون خبراً لابتداء قوله تعالى أولائك الذين كفروا وكذلك قوله تعالى * ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون * فنعم هذه صفة القوم الذين وصفهم الله تعالى بهذا في أول الآية ورد الضمير اليهم وهم الكفار بنص أول

الآية

موضع تعبدهم ثم يأخذون ذلك الصنم فيأتون شجرة عظيمة من تلك الشجرة فينقبون فيها موضعاً يركبونه فيهافيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة (الدهكينية) من سنتهم أن يأخذوا صنما على صورة امرأة وفوق رأسه تاج وله أيدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة عند استواء الليل والنهار والشمس والقمر ودخول الشمس في الميزان فيتخذون في ذلك اليوم عريشاً عظيما بين يدي ذلك الصنم ويقربون اليه القرابين من الغنم وغيرها ولا يذبحونها ولكن يضربون اعناقها بين يديه بالسيوف ويقتلون من أصابوا من الناس قرباناً بالفيلة حتى ينقضي عيدهم وهم مسيئون عند عامة أهل الهند بسبب الفيلة (الجلهكية) اي عباد الماء يزعمون ان الماء ملك ومعه ملائكة وانه اصل كل شيء وبه ولادة كل شيء ونمو ونشو وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا الا ويحتاج الى الماء فاذا أراد الرجل عبادته تجرد وستر

الآية وقال قائلهم أيضاً فاذا عذرتم للمجتهدين اذا أخطأوا فاعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فانهم أيضاً مجتهدون قاصدون الخير فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم يؤتها الله عز وجل أحداً دونه ولا يدخل الجنة والنار أحداً بل الله تعالى يدخلها من شاء فنحن لا نسمي بالايمان الا من سماه الله تعالى به كل ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يختلف اثنان من أهل الارض لا نقول من المسلمين بل من كل ملة في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع بالكفر على أهل كل ملة غير الاسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشى التي أتاهم بها عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك ولا يختلف أيضاً اثنان في انه عليه السلام قطع باسم الايمان على كل من اتبعه وصدق بكل ما جاء به وتبرأ من كل دين سوى ذلك فوقفنا أيضاً عند ذلك ولا مزيد فمن جاء نص في اخراجه عن الاسلام بعد حصول اسم الاسلام له اخرجناه منه سواء أجمع على خروجه منه او لم يجمع وكذلك من اجمع اهل الاسلام على خروجه عن الاسلام فواجب اتباع الاجماع في ذلك واما من لا نص في خروجه عن الاسلام بعد حصول الاسلام له ولا اجماع في خروجه ايضاً عنه فلا يجوز اخراجه عما قد صح يقيناً حصوله فيه وقد نص الله تعالى على ما قلنا فقال * ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * وقال تعالى * ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً * وقال تعالى * قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فهؤلاء كلهم كفار بالنص وصح الاجماع على ان كل من جحد شيئاً صح عندنا بالاجماع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى به فقد كفر وصح بالنص

عورته ثم دخل الماء حتى وصل الى حلقه فيقيم ساعة أو ساعتين أو اكثر ويأخذ ما امكنه من الرياحين فيقطعها صغاراً يلقى فيه بعضه بعد بعض وهو يسبح ويقرأ فاذا اراد الانصراف حرك الماء بيده ثم اخذ منه فيقطر به رأسه ووجهه وسائر جسده خارجاً ثم سجد وانصرف (الاكنواطرية) أي عباد النار زعموا ان النار أعظم العناصر جرماً وأوسعها حيزاً وأعلاها مكاناً وأشرفها جوهراً وأنورها ضياء واشراقاً والطفها جسما وكياناً والاحتياج اليها اكثر من الاحتياج الى سائر الطبائع ولا نور في العالم الا بها ولا حياة ولا نمو ولا انعقاد الا بممازجتها وانما عبادتهم لها ان يحفروا اخدودا مربعاً في الارض واججوا النار فيه ثم لا يدعون طعاماً لذيذا ولا شرابا لطيفا ولا ثوبا فاخرا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نفيسا الا طرحوها فيه تقربا اليها وتبركا بها وحرموا القاء النفوس فيها واحراق الابدان بها خلافا لجماعة

ان كل من استهزأ بالله تعالى او بملك من الملائكة او بنبي من الانبياء عليهم السلام او بآية من القرآن او بفريضة من فرائض الدين فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة اليه فهو كافر ومن قال بنبي بعد النبي عليه الصلاة والسلام او جحد شيئاً صح عنده بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كافر لانه لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين خصمه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد شقق اصحاب الكلام فقالوا ما تقولون فيمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم قم صل فقال لا افعل او قال له النبي صلى الله عليه وسلم ناولني ذلك السيف ادفع به عن نفسي فقال له لا افعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر قد كفوا وقوعه ولا فضول اعظم من فضول من اشتغل بشيء قد ايقن انه لا يكون ابداً ولكن الذي كان ووقع فاننا نتكلم فيه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد امر النبي صلى الله عليه وسلم افضل اهل الارض وهم اهل الحديبية بان يحلقوا وينحروا فتوقفوا حتى امرهم ثلاثاً وغضب عليه السلام وشكا ذلك الى ام سلمة فما كفروا بذلك ولكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها وما قال مسلم قط انهم كفروا بذلك لانهم لم يعاندوه ولا كذبوه وقد قال سعد بن عبادة والله يا رسول الله لئن وجدت لكاع يتفخذها رجل ادعهما حتى آتى باربعة شهداء قال نعم قال اذن والله يقضي اربه والله لا تجللنهما بالسيف فلم يكن بذلك كافراً اذ لم يكن عانداً ولا مكذباً بل أقرانه يدري ان الله تعالى امر بخلاف ذلك وسألوا ايضاً عمن قال انا ادري ان الحج الى مكة فرض ولكن لا ادري اهي بالحجاز ام بخراسان ام بالاندلس وأنا ادري ان الخنزير حرام ولكن لا ادري اهو هذا الموصوف الاقرن ام الذي يحرث به

﴿ قال ابو محمد ﴾ وجوابنا هو ان من قال هذا فان كان جاهلا علم ولا شيء عليه فان المشبيين لا يعرفون هذا اذا اسلموا حتى يعلموا وان كان عالماً

اخرى من زهاد الهند على وهذا المذهب اكثر ملوك الهند وعظمائها يعظمون النار لجوهرها تعظيما بالغا ويقدمونها على الموجودات كلها ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين يسدون منافسهم حتى لا يصل اليها من انفاسهم نفس صدر عن صدر محرم وسنتهم الحث على الاخلاق الحسنة والمنع من اضدادها وهي الكذب والحسد والحقد واللجاج والبغي والحرص والبطر فاذا تجرد الانسان عنها قرب من النار وتقرب اليها (حكماء الهند) كان لفيثاغورس الحكيم اليوناني تلميذ يدعى قلانوس قد تلقى الحكمة منه وتلمذ له ثم صار الى مدينة من مدائن الهند وأشاع فيها رأي فيثاغورس وكان برحمنن رجل جيد الذهن ناقد البصر صائب الفكر راغباً في معرفة العوالم العلوية قد أخذ من قلانوس الحكيم حكمة واستفاد منه علمه وصنعته فلما توفي قلانوس ترأس برحمنن على الهند كلهم فرغب الناس في تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان

فهو عابث مستهزئ بآيات الله تعالى فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ومن قذف عائشة رضي الله عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسطح وحمنة فلم يكفرا لانهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفر واما من سب احداً من الصحابة رضي الله عنهم فان كان جاهلا فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسرق وان عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب وحاطب مهاجر بدري دعني اضرب عنق هذا المنافق فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً بل كان مخطئاً متأولا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية النفاق بغض الانصار وقال لعلي لا يبغضك الا منافق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن ابغض الانصار لاجل نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانه وجد الحرج في نفسه مما قد قضى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار الايمان بايديهم ومن عادى علياً لمثل ذلك فهو ايضاً كافر وكذلك من عادى من ينصر الاسلام لاجل نصرة الاسلام لا لغير ذلك وقد فرق بعضهم بين الاختلاف في الفتيا والاختلاف في الاعتقاد بان قال قد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضاً ولا فسق بعضهم بعضاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ليس بشيء فقد حدث انكار القدر في ايامهم فما كفرهم اكثر الصحابة رضي الله عنهم وقد اختلفوا في الفتيا واقتتلوا على ذلك وسفكت الدماء كاختلافهم في تقديم بيعة علي على النظر في قتلة عثمان رضي الله عنهم وقد قال ابن عباس رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان الذي احصى رمل عالج لم يجعل في فريضة واحدة نصفاً ونصفاً وثلثاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهنا اقوال غريبة جداً فاسدة منها ان اقواماً من الخوارج قالوا كل معصية فيها حد فليست كفراً وكل معصية لا حد فيها فهي كفر

يقول اي امر هذب نفسه واسرع في الخروج من هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه ظهر له كل شيء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر وكان محبورا مسرورا ملتذا عاشقا لا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا لغوب فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا شديدا وكان يقول أيضاً ان ترك لذات هذا العالم هو الذي يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا في سلكه وتخلدوا في لذاته ونعيمه فدرس أهل الهند هذا القول ورسخ في عقولهم ثم توفي عنهم برحنن وقد تجسم القول في عقولهم لشدة الحرص واللحاق بذلك العالم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تحكم بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على قوله فليس صادقاً فيه

﴿ قال ابو محمد ﴾ فصح بما قلنا ان كل من كان على غير الاسلام وقد بلغه امر الاسلام فهو كافر ومن تأول من اهل الاسلام فاخطأ فان كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور اجراً واحداً لطلبه الحق وقصده اليه مغفور له خطؤه اذ لم يعتمده لقول الله تعالى * وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم * وان كان مصيباً فله اجران اجر لاصابته واجر آخر لطلبه اياه وان كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فهو فاسق لجراءته على الله تعالى باصراره على الامر الحرام فان عند عن الحق معارضاً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق في هذه الاحكام بين الخطأ في الاعتقاد في اي شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفتيا في اي شيء كان على ما بينا قبل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونحن نختصرها هنا ان شاء الله تعالى ونوضح كل ما اطلنا فيه قال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وقال تعالى * لانذركم به ومن بلغ * وقال تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً * فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح انه لا يكفر احد حتى يبلغه امر النبي صلى الله عليه وسلم فان بلغه فلم يؤمن به فهو كافر فان آمن به ثم اعتقد ما شاء الله ان يعتقده في نحلة او فتيا او عمل ما شاء الله تعالى ان يعمله دون ان يبلغه في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقد او ما قال او عمل فلا شيء عليه اصلا حتى يبلغه فان بلغه وصح عنده فان خالفه مجتهداً فيما لم يبين له وجه الحق في

افترقوا فرقتين ففرقة قالت ان التناسل في هذا العالم هو الخطأ الذي لا خطأ أبين منه اذ هو نتيجة اللذة الجسمانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام ومايؤدي اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل مايهيج الشهوة واللذة الحيوانية النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدى اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة واللذة الحيوانية وينشط النفوس البهيمية فحرام أيضاً فاكتفوا بالقليل من الغذاء على قدر مايثبت به أبدانهم ومنهم من كان لا يرى ذلك القليل أيضاً ليكون لحاقه بالعالم الاعلى أسرع ومنهم من اذا رأى

ذلك فهو مخطئ معذور مأجور مرة واحدة كما قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر وكل معتقد او قائل او عامل فهو حاكم في ذلك الشيء وان خالفه بعمله معانداً للحق معتقداً بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وان خالفه معانداً بقوله او قلبه فهو كافر مشرك سوآ ذلك في المعتقدات والفتيا للنصوص التي اوردنا وهو قول اسحاق بن راهوية وغيره وبه نقول وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في تعبد الملائكة ﴾

﴿ وتعبد الحور العين والخلق المستأنف وهل يعصي ملك ام لا ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد نص الله عز وجل على ان الملائكة متعبدون قال تعالى * ويفعلون ما يؤمرون * ونص تعالى على انه امرهم بالسجود لآدم وقال تعالى * وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * الى قوله * ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين * وقال تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون *

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنص الله تعالى على انهم مأمورون منهيون متوعدون مكرمون موعودون بايصال الكرامة ابداً مصرفون في كتاب الاعمال وقبض الارواح واداء الرسالة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما في العالم الاعلى والادنى وغير ذلك كما خالقهم عزوجل به عليم وقوله تعالى * انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين * فاخبر عز وجل ان جبريل عليه السلام مطاع في السموات أمين هنالك فصح ان هنالك اوامر وتدبير وامانات وطاعة ومراتب ونص تعالى على انهم كلهم معصومون بقوله عز وجل * عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * وبقوله * ومن عنده لا يستكبرون

عمره قد تدنس التي نفسه في النار تزكية لنفسه وتطهيرًا لبدنه وتخليصاً لروحه ومنهم من يجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة فيمثلها نصب عينيه لكي يراها البصر ويتحرك نفسه البهيمية اليها فتشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها بقوة النفس المنطقية حتى يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذي كان يربطها به واما الفريق الآخر فانهم كانوا يرون التناسل والطعام والشراب وسائر اللذات بقدر الذي هو طريق الحق حلالا وقليل منهم من يتعدى عن الطريق ويطلب الزيادة وكان قوم من الفريقين سلكوا مذهب

عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وبقوله * فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون * فنص تعالى على انهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتاً ولا يستحسرون من ذلك وهذا خبر عن التأييد لا يستحيل ابداً ووجب انهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على انهم كلهم معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل ابد الابد بلا نهاية فقال تعالى * من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل فان الله عدو للكافرين * فكفر تعالى من عادى احداً منهم فان قال قائل كيف لا يعصون والله تعالى يقول * ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم * قلنا نعم هم متوعدون على المعاصي كما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول له ربه عز وجل * لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * وقد علم عز وجل انه عليه السلام لا يشرك أبداً وان الملائكة لا يقول احد منهم ابداً اني اله من دون الله وكذلك قوله تعالى * يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين * وهو تعالى قد برأهن وعلم انه لا يأتي احد منهن بفاحشة ابداً بقوله تعالى * والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون * لكن الله تعالى يقول ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاخبر عز وجل بحكم هذه الامور لو كانت وقد علم انها لا تكون كما قال تعالى * لو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين * وكما قال * لو أراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء * وكما قال تعالى * ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * وكما قال تعالى * قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * وكل هذا قد علم الله تعالى انه لا يكون

ابداً

فيثاغورس من الحكم والعلم فتلطفوا حتى صاروا يظهرون على ما في أنفس أصحابهم من الخير والشر ويخبرون بذلك فيزيدهم بذلك حرصا على رياضة الفكر وقهر النفس الامارة بالسوء واللحوق بما لحق به أصحابهم ومذهبهم في الباري تعالى انه نور محض الا انه لابس جسدا ما يستتر لئلا يراه الا من استأهل رؤيته واستحقها كالذي يلبس في هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر أحد من النظر اليه ويزعمون انهم كالسبايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوية حتى منعها عن ملاذها فهو الناجي

ابداً وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل ان الملائكة مأمورون لا منهيون قلنا هذا باطل لان كل مأمور بشيء فهو منهي عن تركه وقوله تعالى * يخافون ربهم من فوقهم * يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها وقال عزوجل * ومانتزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين * ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا مبطل ظن من ظن ان هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفاً انهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون وباخباره تعالى انهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل فوجب يقيناً انه ليس في الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل * جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع * فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون فصح ان هاروت وماروت المذكورين في القرآن لا يخلو أمرهما من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكونا جنين من احياء الجن كما روينا عن خالد بن ابي عمران وغيره وموضعهما حينئذ في الجو بدل من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون الوقوف على قوله ما أنزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا واما ان يكونا ملكين انزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفراً كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمها وهي بعد كفر كانه قال تعالى * ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى * وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق *

من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي أسيرا في يدها والذي يريد تحارب هذا أجمع فانما يقدر على محاربتها بنفي التحيز والعجب وتسكين الشهوة والحرص والبعد عما يدل عليها ويوصل اليها ولما وصل الاسكندر الي تلك الديار وأراد محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة أحد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذات في هذا العالم بقدر القصد الذي لا يخرج الى فساد البدن فجهد حتى افتتحها وقتل منهم جماعة من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطروحة كأنها جثث المسك الصافية

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقول الملكين انما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهي عن المنكر واما الفتنة فقد تكون ضلالا وتكون هدى قال الله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام انه قال لربه * اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء * فصدق الله عز وجل قوله وصح ان يهدي بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى انما أموالكم واولادكم فتنة * وليس كل احد يضل بماله وولده فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم أولاد ومال وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام وقال تعالى * وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنه للذين كفروا ليستيقن الذين أوتو الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً * وقال تعالى * وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه * فهذه سقيا الماء التي هي جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة فصح ان من الفتنة خيراً وهدى ومنها ضلالا وكفراً والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدي من اتبع امرهما في ان لا يكفر ويضل من عصاهما في ذلك وقوله تعالى * فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه * حق لان اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفتهم يؤمن الزوج فيفرق ايمانه بينه وبين امرأته التي لم تؤمن وتؤمن هي فيفرق ايمانها بينها وبين زوجها الذي لم يؤمن في الدنيا والآخرة وفي الولاية ثم رجع تعالى الى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل * وماهم بضارين به من احد الا باذن الله * وهذا حق لان الشياطين في تعليمهم ما قد نسخه الله عز وجل وابطله ضارون من اذن الله تعالى باستضراره به وهكذا الى آخر الآية وما قال عز وجل قط ان هاروت وماروت علما سحراً ولا كفرا ولا انهما عصيا وانما ذكر ذلك في خرافة موضوعة لا تصح من طريق الاسناد اصلا ولا هي ايضاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي موقوفة على من دونه عليه السلام فسقط

النقية التي في الماء الصافي فلما رأوا ذلك ندموا على فعلهم وأمسكوا عن الباقين وأما الفريق الثاني الذين زعموا ان لا خير في اتخاذ النساء والرغبة في النسل ولا في شيء من الشهوات الجسدانية كتبوا الى الاسكندر كتابا مدحوه فيه على حب الحكمة وملابسته العلم وتعظيم أهل الرأي والعقل والتمسوا منه حكيما يناظرهم فنفذ اليهم واحدا من الحكماء فنضلوه بالنظر وفضلوه بالعمل فانصرف الاسكندر عنهم ووصلهم بجزائل سنية وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت الحكمة تفعل بالملوك هذا الفعل

التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين وهـذا التفسير الاخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ولا تقديم ولا تأخير ولا زيادة في الآية ولا نقص منها بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقيناً وبالله تعالى التوفيق فان قيل كيف تصح هذه الترجمة والاخرى وانتم تقولون ان الملائكة لا يمكن ان يراهم الا نبي وكذلك الشياطين ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس او كيف تعلم الجن الناس قلنا وبالله تعالى التوفيق اما الملائكة فيعلمون من أرسلوا اليه من الانبياء خاصة وينهونهم عن الكفر كما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الكفر في نص القرآن واما الشياطين فتعلم الناس بالوسوسة في الصدور وتزيين الباطل او يتمثل في صورة انسان كما تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم قال تعالى * واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله * واما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات في الجنة لاولياء الله عز وجل عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى في النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة والجنة اذا دخلها اهلها المخلدون فليست دار معصية وكذلك اهل الجنة لا يعصون فيها اصلا بل هم في نعيم وحمد لله تعالى وذكر له والتذاذ بأكل وشرب ولباس ووطء لا يختلف في ذلك من أهل الاسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين واما الولدان المخلدون فهم اولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يخلق خلقاً يملأ الجنة بهم فنحن نقر بهذا ولا ندري امتعبدون مطيعون أم مبتدؤن في الجنة والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة واما الجن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بدين الاسلام هـذا ما لا خلاف فيه بين احد من

في هذا العالم فكيف اذا البسناها على ما يجب لباسها واتصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة في كتب ارسطوطاليس ومن سنتهم اذا نظروا للشمس قد أشرقت سجدوا لها وقالوا ما أحسنك من نور وما أبهاك وما أنورك لا تقدر الابصار ان تلتذ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول الذي لا نور فوقك فلك الحمد والتسبيح واياك نطلب واليك نسعى لندرك السكنى بقربك وننظر الى ابداعك الاعلى وان كان فوقك وأعلى منك نورا آخر انت معلول له فهذا التسبيح وهذا

الامة فكافرهم في النار مع كافرنا واما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال ابو حنيفة لا ثواب لهم وقال ابن ابي ليلى وابو يوسف وجمهور الناس انهم في الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل * اعدت للمتقين * ولقوله تعالى حاكياً عنهم ومصدقاً لمن قال ذلك منهم * وانا لما سمعنا الهدى آمنا به * وقوله تعالى حاكياً عنهم * قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به * وقوله تعالى * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار * الى آخر السورة وهذه صفة تعم الجن والانس عموماً لا يجوز البتة ان يخص منها احد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلا على الله ما لا يعلم وهذا حرام ومن المحال الممتنع ان يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام وهو لا يريد الا بعض ما اخبرنا به ثم لا يبين ذلك لنا هذا هو ضد البيان الذي ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على انهم آمنوا فوجب انهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا بد ﴿ قال ابو محمد ﴾ واذا الجن متعبدون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست فذكر فيها انه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وكان من قبله من الانبياء انما يبعث الى قومه خاصة وقد نص عليه السلام على انه بعث الى الجن وقال عز وجل * قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به * الى قوله تعالى * وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فأولئك تحروا رشداً واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا * واذا الامر كما ذكرنا فلم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم انسي وباليقين ندري انهم قد انذروا فصح انهم جاءهم انبياء منهم قال تعالى * يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم * وبالله تعالى التوفيق

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله هل تعصي الانبياء)

الحمد له وانما سعينا وتركنا جميع لذات هذا العالم لنصير مثالك ونلحق بعالمك ونتصل بمسا كنك اذا كان المعلول بهذا البها والجلال فكيف بالعلة يكون بهاؤها وجلالها ومجدها وكمالها فحق لكل طالب ان يهجر جميع اللذات فيظفر بالجوار بقربه ويدخل في غمار جنده وحزبه هذا ما وجدته من مقالات اهل العالم ونقلته على ما وجدته فمن صادف فيه خللا في النقل فأصلحه اصلح الله عز وجل حاله وسدد اقواله وأفعاله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿ تم ﴾